عاشوراء

منبع الفضائل

محاضرات فكرية وعقدية من واقعة الطف

لسماحة العلامة السيد أحمد الصافي دام عزه

الجزء الثاني

تقرير

صباح الصافي

١٤٤٥هـ ٢٠٢٣م

الصافي، احمد جواد نور، ١٩٦٤- مؤلف.

عاشوراء منبع الفضائل محاضرات فكرية وعقدية من واقعة الطف لسماحة العلامة السيد احمد الصافي.- الطبعة الاولى.-كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، دار الكفيل للطباعة والنشر، ١٤٤٥ هـ = ٢٠٢٤.

مجلد ؛ ٢٤ سم

يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.
ردمك : ٩٧٨٩٩٢٢٦٨٠٥٧٦

١. الحسين بن علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام، ٤-٦١ هجري. ٢.عاشوراء (شيعة). ٣. معركة كربلاء، ٦١ هـ.--اسباب ونتائج. أ. العنوان.

LCC : BP193.13 .S34 2024
مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
الفهرسة اثناء النشر

الترقيم الدولي المعياري للكتاب
ISBN: 978-9922-680-57-6

حقوق النشر والتوزيع محفوظة للعتبة العباسة المقدسة – مركز الفكر والإبداع.
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية (١٣) لسنة ٢٠٢٤م.

الطبعة الأولى
جمادى الأولى/ ١٤٤٥هـ

عاشوراء منبع الفضائل

أحمد الصافي

النَّاشر

العتبة العبَّاسية المقدَّسة

دار الكفيل للطباعة والنشر

الإشراف والمتابعة: رضوان عبدالهادي السلامي

تقرير وتحقيق: صباح نعيم الصافي

التدقيق اللغوي: محمد رضا الأسدي

التدوين: حيدر محمد الدفاعي

التَّصميم و الإخراج

علي عبد الحليم المظفر

كرار عامر الصـــافي

عدد النّسخ

٥٠٠

العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
مركز الفكر والإبداع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي
إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي
عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي

صَدَقَ اللهُ العَلِيُّ العَظِيمْ

الفجر: ٢٧

الفصل الرابع

أضواءٌ على زيارةِ عاشوراء

المبحث الأول

مِن علومِ نصوصِ الزّيارة

من القضايا المعرفية المهمّة فيما يتعلّق بزيارات الإمام الحسين عليه السلام أنّنا نمتلك نوعين من الزّيارات؛ الزيارة التي لا تُحدّد بوقتٍ خاصّ ونُعبّر عنها بالزيارات المطلقة للإمام الحسين عليه السلام؛ ومنها الزّيارة المشهورة التي درج عليها المؤمنون وهي زيارة وارث، وهناك زيارات خاصّة ولها وقتٌ خاصّ، والنّوعان يحتلّان من روايات الأئمّة عليهم السلام الكمّ الكبير والحثُّ المتواصل على شدّ الرّحال لزيارة الإمام الحسين عليه السلام.

وحينما نرى هذا التراث الضّخم الذي يدور حول زيارة الإمام الحسين عليه السلام قد ينبثق تساؤل حول دلالات هذه الزّيارات؛ وقبل أن نتطرّق للإجابة في ثنايا الكلام لابُدَّ أن نلفت النّظر إلى حقيقة عظمة الإمام الحسين عليه السلام؛ فالإمام الحسين عليه السلام شخصيّة مهمّة اهتم بها النّبي صلى الله عليه وآله قبل أيّ أحد، وأشار في جملة إشاراته:

«**أنّ أُمّتي تقتل ابني هذا**»[1]، ثمّ تأتي بعض الرّوايات، وتحثّ الزّائر على الاغتسال مثلاً من ماء الفرات، وزيارة الإمام الحسين عليه السلام بالكيفيات التي تذكرها روايات الزّيارات، وسبق وبيّنّا أنّ هناك بعض المواقع والأمكنة لها خصوصيّة عند الشّارع المقدّس، وهناك بعض الأزمنة لها خصوصيّة عند الشّارع المقدّس؛ فمثلاً مكّة المعظمة لها خصوصيّة عند الشّارع بحيث يأمن فيها الخائف، ولا يحقّ لأحدٍ أن يطارد أحدًا إذا وصل إلى البيت، فالبيت يعصمه؛ واحترام الكعبة المشرّفة احترام خاصّ؛ وكلّ هذه الأمور لخصوصيّة هذه البقعة الطّاهرة، كذلك المدينة المنوّرة؛ والمساجد بصورة عامّة أيضاً لها حرمة، ولها مكانة؛ والمشاهد المشرّفة للأئمّة الأطهار عليهم السلام، وفي الوقت نفسه هناك أزمنة خاصّة يعتبرها الشارع، ويهتمّ بها؛ لما لها من أثر في التّربية، ولما

١ - بحار الأنوار: ٤٤، ٢٤٧.

لها من أثر من انقياد الإنسان إلى الله تعالى؛ فالوضع الطّبيعي للإنسان أن يكون مُنقادًا إلى الله تبارك وتعالى؛ وعند التّأمّل في زيارات الإمام الحسين ﷺ نخرج بمجموعة تصوّرات، ومجموعة قيم نستفيد من بركات الزّيارة؛ فالإمام الحسين ﷺ بنفسه عِبرة وعَبرة؛ والإنسان كلّما اقترب من المكان المقدّس وجلس وتأمّل وزار في حالة من الخشوع والانقياد إلى الله تبارك وتعالى وتفكَّر بأولياء الله تعالى؛ فهذا سيجعل الإنسان دائماً قريباً من الله تعالى، وهذه بنفسها غاية؛ وهي نعمَ الغاية وأن يكون الإنسان دائماً قريباً من الله تبارك وتعالى.

الصّراعُ بَين الحقّ والباطل

عندما يتأمّل الزّائر في نصوص الزّيارة سيكتشف وجود صراعٍ حقيقيّ بين الحقّ وبين الباطل، بين الخير وبين الشّر، وبطل هذا الصّراع من جهة كان الإمام الحسين ﷺ، ومن جهة أخرى كان التّسلّط الأموي في مقابل ذلك، وسيعرف أيضًا أنَّ هذا الصّراع منشأه أنَّ هناك كلمة حقّ لا بُدَّ أن تبقى؛ وهذه الكلمة تستوجب في بعض الحالات أن يُقتل الإنسان من أجل بقاء هذه الكلمة؛ والذي حصل فعلاً هو هكذا، فالإنسان حينما يأتي إلى مشهد الإمام الحسين ﷺ ويتأمّل، ويعيد شريط واقعة الطّف بحسب إدراكه الشّخصي سيرى أنَّ هذا الصّراع تجسّد بشكلٍ حقيقيّ في واقعة الطَّفّ، وفاز فيه الإمام الحسين ﷺ أيّ فوز.

ولولا الحثّ على الزّيارات قد تغيب شخصيّة الإمام الحسين ﷺ كما تغيب شخصيّة أيّ مصلح لو لم تكن هناك جهة تعزّز بقاء هذه الشّخصيّة في النّفس، فمن غير المعلوم أنَّ الإمام الحسين ﷺ لولا هذه الحفنة الكبيرة من الزّيارات قد تبقى هذه الصّورة عالقة في الأذهان على أهمّيّتها، لكن كان هناك

حثٌّ وتواصلٌ وسعيٌ من الأئمَّة عليهم السلام على زيارته عليه السلام؛ إضافة إلى ذلك هناك تحشيد من الأئمّة عليهم السلام بأنفسهم الزّكية على توطين النّفس والذّهاب والإتيان إلى العراق والمرور بقبر الإمام الحسين عليه السلام، بل وكانوا يعطون نمط وطريقة الزّيارة، وهذا يُمثّل تعزيز حالة الصّراع التي مرّت بالإمام الحسين عليه السلام وانتصر فيها الإمام الحسين عليه السلام.

فإبقاء هذا الصّراع قائمًا لا بُدّ أن يستمر؛ ما دام هناك حقّ وباطل في الدّنيا، فهذا الصّراع له معصوم يُمثّله هو الإمام الحسين عليه السلام.

ومن جانب آخر فإنَّ التّربية الرّوحية التي يستشعرها الزّائر من خلال الكلمات الجليلة المبثوثة في الزّيارات، تورث عنده التّواضع والخضوع القهري؛ وهذا الحالة يستشعرها الزَّائر حينما يأتي للإمام الحسين عليه السلام؛ ويتأمّل في تلك الشّخصيات التي أُريقت دماؤها على عرصة كربلاء؛ وكلّما طال البقاء عند الإمام الحسين عليه السلام، وانشغل بالزّيارة كلّما أثّرت هذه المسألة على نفسيّته؛ فهذا التّنقّل والتّقلّب بين الإمام الحسين عليه السلام وزيارة ولده علي بن الحسين وزيارة الشّهداء وزيارة أبي الفضل عليه السلام يعطي انطباعًا أنّ هذه الصّفوة على ما هم عليه من الجلالة والقدر قد أريقت دماؤهم وذبحوا ومثّلوا بهم بتلك الطّريقة المروّعة في أرض كربلاء؛ ومما لا شكّ فيه حينما يرى الزَّائر والقارئ هذه العظمة تُهتك بهذه الطَّريقة؛ فهنا لا يجعل لنفسه اعتبارًا في قبال تلك الصّفوة.

المعرفةُ التَّنزيهيّة

ومن ثمار التّدبّر والتّأمّل في نصوص هذه الزّيارات الشّريفة تعزيز التّوحيد، فالإنسان عندما يزور الأئمّة الأطهار عليهم السلام تتعزّز عقيدة التّوحيد فيه، وبعد إلقاء السّلام على الإمام الحسين عليه السلام والسلام عليه بصفته ابن رسول الله، وأنّه ابن

أمير المؤمنين، ثمّ بعد فراغه من الصّلاة، يقول: « **اللهُمَّ إِنِّي صَلَّيْتُ وَرَكَعْتُ وَسَجَدْتُ لَكَ وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ لاَنَّ الصَّلاةَ وَالرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ لا يَكُونُ إِلّا لَكَ لاَنَّكَ أَنْتَ الله لا إِلهَ إِلّا أَنْتَ، اللهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَبْلِغْهُمْ عَنِّي أَفْضَلَ السَّلامُ وَالتَّحِيَّةِ وَارْدُدْ عَلَيَّ مِنْهُمْ السَّلامَ، اللهُمَّ وَهاتانِ الرَّكْعَتانِ هَدِيَّةٌ مِنِّي إِلى مَوْلايَ الحُسِينِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام، اللهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلَيْهِ وَتَقَبَّلْ مِنِّي وَأَجِرْنِي عَلى ذلِكَ بِأَفْضَلِ أَمَلِي وَرَجائِي فِيكَ وَفِي وَلِيِّكَ يا وَلِيَّ المُؤْمِنِينَ**[1] » وأصلُ هذا الدّعاء بعد الصّلاة هو تعزيز لعمليّة التّوحيد؛ وكلّما كان توحيد الإنسان كبيراً كلّما تحقّقت الغاية التي خلق من أجلها؛ فمن ذلك نعرف أنَّ زيارة الأئمّة الأطهار عليهم السلام؛ وقصد مراقدهم الطّاهرة؛ وخصوصاً القصد إلى الإمام الحسين عليه السلام هو مما يُجذّر ويعمّق التّوحيد لدى المؤمنين والمؤمنات؛ فقد ورد في الرّوايات الشَّريفة أنَّ من زار الإمام الحسين عليه السلام كان كمن زار الله تعالى في عرشه[2].

التّعريفُ الحقيقيّ للإمامِ الحسين عليه السلام

قال الإمام الباقر عليه السلام: « **السَّلامُ عَلَيْكَ يا أَبا عَبْدِ الله، السَّلامُ عَلَيْكَ يابْنَ رَسُولِ الله، السَّلامُ عَلَيْكَ يابْنَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ وَابْنَ سَيِّدِ الوَصِيِّينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يابْنَ فاطِمَةَ سَيِّدَةِ نِساءِ العالَمِينَ**»[3].

من مقدّمات معرفة عظمة الموقف الذي وقفه الإمام الحسين عليه السلام في العاشر

---

١ - مصباح المتهجد: ٧٢٢.

٢ - ينظر: كامل الزيارات: ٢٧٨.

٣ - المصباح (مصباح الكفعمي)، الطبعة الثانية سنة: ١٤٠٥ هجرية / انتشارات رضي، قم / إيران، الشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي العاملي الكفعمي ت ب سنة ٩٠٥ هجرية: ٤٨٢ .

من المحرم معرفة عظمة الإمام الحسين عليه السلام [١] حتّى يتجلّ لنا بوضوح الموقف الذي وقفه يوم الطّف، وتظهر لنا حقيقة العمق في شخصيّته عليه السلام، ولعلَّ أفضل طريقة التصدي والتّعريف بهذه الشّخصية، وأن يوجد شخص في مستواه عليه السلام يستطيع الاطلاع على أسراره، وإظهارها لنا بالمظهر الحقيقي، وقد امتاز الإمام الحسين عليه السلام عن بقيّة الأئمّة عليهم السلام بأنّه قد سلّط عليه الضّوء من أكثر من جهة للتّعريف به، ونرى أنَّ خير من يعرِّف الإمام الحسين عليه السلام هم الأئمّة عليهم السلام، وخير تعريف هي الزّيارات الخاصّة والعامة التي ذكرها المعصومون عليهم السلام في حقّه؛ وما دمنا في شهر محرّم فإنَّنا نرى من المناسب جدًّا أن نستجلي ونستوضح هذه الشّخصية العظيمة من خلال زيارة عاشوراء بمقدار ما نتمكن منه.

نحن نعلم ونعرف أنَّ الإمام الحسين عليه السلام قد نال أهمّيّة عظيمة من قِبل جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، وبقيّة الأئمّة عليهم السلام من ولده ومن والده أمير المؤمنين عليه السلام، ومن أخيه الإمام الحسن عليه السلام، وأنَّ هذه العظمة لم تنشأ من حالة نسبية، ولم تنشأ من حبٍّ عاطفيّ من قبل النبي صلى الله عليه وآله لسبطه عليه السلام، أو من قِبل الأئمّة لأبيهم أو لجدّهم، وإنَّما نشأت من مكنون خاصّ، ومن سرٍّ دفين؛ وهو أنَّ البعد التاريخي لواقعة الطّف مهمٌّ جدًّا، ويُعدّ من مقدّمات الوقوف على قبره الشّريف لغرض زيارته عليه السلام.

نحن لا نستطيع الآن أن نُوجز زيارة عاشوراء [٢]، وإنّما نقف على بعض الفقرات منها، ولعلّنا نُوفّق لإتمام البقية في مستقبل الأيّام، وأرجو أن نُركّز جميعًا في هذه المقدّمة أنّ الزيارة عندما تكون من شخصٍ كالإمام الصّادق عليه السلام

---

١ - عن حذيفة بن اليمان قال: ((رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله آخِذاً بِيَدِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ أَلَا فَاعْرِفُوهُ وَفَضِّلُوهُ فَوَ الله لَجَدُّهُ أَكْرَمُ عَلَى الله تَعَالَى مِنْ جَدِّ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ عليه السلام هَذَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ جَدُّهُ فِي الْجَنَّةِ وَجَدَّتُهُ فِي الْجَنَّةِ وَأُمُّهُ فِي الْجَنَّةِ وَأَبُوهُ فِي الْجَنَّةِ وَعَمُّهُ فِي الْجَنَّةِ وَعَمَّتُهُ فِي الْجَنَّةِ وَخَالُهُ فِي الْجَنَّةِ وَخَالَتُهُ فِي الْجَنَّةِ وَأَخُوهُ فِي الْجَنَّةِ وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ وَمُحِبُّوهُمْ فِي الْجَنَّةِ وَمُحِبُّو مُحِبِّيهِمْ فِي الْجَنَّةِ)). كشف اليقين فى فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن مطهر (ت: ٧٢٦هـ)، طهران ١٤١١هـ، الأولى: ٣٠٦-٣٠٧.

٢ - ينظر: كامل الزيارات، ابن قولويه، جعفر بن محمد (ت: ٣٦٧هـ)، دار المرتضوية، النجف ١٣٩٧هـ، الأولى: ١٧٤.

أو تكون من قبيل الإمام الهادي أو من الإمام الباقر عليهما السلام كما تنسب زيارة عاشوراء، أو أن تكون من الإمام الحجّة(عجل الله تعالى فرجه الشريف) في حقِّ الإمام الحسين عليه السلام فلابُدَّ أنّها تنطوي على أسرارٍ خاصّة.

مِن فلسفةِ نصوصِ الزّيارة

إنَّ أحاديث الأئمّة عليهم السلام كما قال الإمام الصادق عليه السلام: ((**حَدِيثِي حَدِيثُ أَبِي وَحَدِيثُ أَبِي حَدِيثُ جَدِّي وَحَدِيثُ جَدِّي حَدِيثُ الْحُسَيْنِ وَحَدِيثُ الْحُسَيْنِ حَدِيثُ الْحَسَنِ وَحَدِيثُ الْحَسَنِ حَدِيثُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَحَدِيثُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَدِيثُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَحَدِيثُ رَسُولِ اللهِ قَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ**))[1]، وهذه السلسلة الذّهبيّة لمسألة النّقل تُعطينا صورة واضحة عن شخصيّة المَزور، فعندما تقف أمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام في الزيارات العامّة؛ كزيارة وارث، والزيارة الخاصّة كزيارة عاشوراء، وزيارته في النّصف من شعبان، وفي ليلة القدر، وفي العيدين؛ ستجد أنَّ هناك اهتماماً كبيراً وواضحاً من قبل الأئمة عليهم السلام في التّعامل مع الإمام الحسين عليه السلام، ومادام الإمام الحسين عليه السلام بين أظهرنا وقريباً منّا وكل واحدٍ منَّا قد يتوفّق أن يزوره أكثر من مرّة في اليوم نفسه؛ لنحاول بقدر المستطاع أن لا نجعل كلامنا معه كلاماً غير مفهوم بالنسبة لنا، وإنَّما نقرأه من باب التّعبد، وأن نقف قليلاً مع الإمام الحسين عليه السلام في هذه الزّيارة الكريمة التي تُعدّ من أوائل الزّيارات.

من الأمور الملفتة للنظر إنَّ زيارة عاشوراء تُعدّ من أوائل الزّيارات للإمام الحسين عليه السلام؛ لأنَّها منقولة عن الإمام الباقر عليه السلام؛ والإمام الباقر عليه السلام كان يعيش ظروفًا صعبة من التّقيّة وما أشبه، ومع ذلك جهر بهذه الزّيارة وكشف عن

١ - الكافي، الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق(ت: ٣٢٩هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران١٤٠٧هـ، الرابعة: ١/ ٥٣.

حقائق غريبة جدًّا، وتحدّى العصر الذي كان فيه، وبيَّن بكلّ صراحة عظمة الأئمّة عليهم السلام من خلال عظمة الإمام الحسين عليه السلام، فقد دخل الإمام الباقر عليه السلام في هذه الزّيارة الشّريفة إلى بيان حقائق عظيمة؛ لكن دخل لها من خلال الإمام الحسين عليه السلام.

فبدأ ببيان النّسب الشّريف؛ لأنَّه أحد مواضع العظمة في هذه الشّخصية العظيمة.

تعريفُ المعصومِ للمعصوم

قال الإمام الباقر عليه السلام: **((اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا اَبا عَبْدِ الله اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَا بْنَ رَسُولِ الله اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا خِيَرَةَ الله وابْنَ خِيَرَتِهِ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَا بْنَ اَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وابْنَ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَا بْنَ فاطِمَةَ سَيِّدَةِ نِساءِ الْعالَمِينَ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا ثارَ الله وَابْنَ ثارِهِ وَالْوِتْرَ الْمَوْتُورَ))**[1].

لكلّ شخص منَّا في الغالب بطاقة تعريف، وتحمل بطاقة تعريف اسمك، واسم الأب، والعنوان، والسكن، وعندما تذهب مع صديق لزيارة مريض معيّن ستسأل من هذا المريض الذي تجشمنا العناء لزيارته؟ سيقول لك: فلان بن فلان. وهذا نصطلح عليه تعريفاً شخصيًّا؛ وهنا ينبغي التنبه أنَّ الإمام الباقر عليه السلام عرَّف لنا الإمام الحسين عليه السلام بتعريف آخر، نحتاج أن نقف عنده ونتأمّل فيه:

الإضاءة الأولى: قوله عليه السلام: **(اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَا بْنَ رَسُولِ الله)**.

ليس من الغريب أن يُسلم الزّائر على الإمام الحسين عليه السلام بكنيته، يا أبا جعفر، أو يا أبا عبد الله، أو يا أبا القاسم، ولكن الغريب في الأمر أنَّ الإمام الباقر انتقل من هذا السلام إلى سلام آخر، فلم يبدأ السّلام قائلاً: السلام

١ - كامل الزيارات: ١٧٦.

عليك يا حسين بن علي، أو السلام عليك يا سبط محمد، أو السلام عليك يا أخا الإمام الحسن، بل دخل لنا من مدخل آخر قائلاً: «**السلام عليك يا بن رسول الله**»، والأمر الملفت في النّظر أنَّ الإمام الباقر عليه السلام قال هذا الكلام في ظرف كانت الأجواء تُعبّر عن الإمام الحسين عليه السلام أنَّه خارجيّ، وقد لعبت الثّقافة الأموية دورًا كبيرًا وواسعًا من أجل تغيير معالم الواقع، وعندما يعرّف الإمام الحسين عليه السلام في قاموس أهل الشام بأن الحسين خارجي من الخوارج، ويأتي الإمام الباقر عليه السلام يعرّفه بتعريفٍ آخر قال: «**السلام عليك يا بن رسول الله**»، فهنا عرَّفه بجانبه المعنوي بالإضافة الى نسبه؛ وهنا الإشارة ليست فقط بطاقة شخصية، واسمك، واسم الأب، واسم الجد، وإنَّما هنا الإشارة أنت من تكون؟ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَا بْنَ رَسُولِ اللهِ.

هذه نقطة بالغة الأهمية في وقت تشريع الزّيارة، وفي وقتنا الحالي أن نعرف الموقع الحقيقي للإمام الحسين عليه السلام قبل الدّخول إليه عليه السلام.

سَرِقةُ الألقاب

ثم قال عليه السلام: (**اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا خِيَرَةَ اللهِ وابْنَ خِيَرَتِهِ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَا بْنَ اَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وابْنَ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ**).

هناك سرقات في التّاريخ الإسلامي؛ وهذه السّرقات ليست سرقات مادية؛ وإنَّما سرقات تصنعها الأقلام وتصنعها الأهواء؛ وعلى سبيل المثال لا الحصر هناك فتوحات إسلامية عديدة سُرِق قسم منها، فقد حصلت معارك حقيقية عديدة، وجاهد فيها المسلمون، وقتلوا الكفرة، لكن الأسماء سُرِقت، وأُعطِيت هذه الأسماء بقرار رئاسيّ من حكومات ذلك الوقت إلى أشخاصٍ آخرين.

من جملة الأشياء التي سُرِقت لقب أمير المؤمنين[١]، فمن المعروف أنَّ لقب الأئمّة الهداة عليهم السلام نابع من أكثر الصّفات ظهوراً بين الناس في العصر الذي هو فيه، ولو تأمّلنا جيّدًا في هذه الألقاب لوجدنا أنَّ كلَّ إمام عُرِف بلقبٍ خاصّ به، وإن كان يشترك معه بقية المعصومين عليهم السلام. نعم هنالك لقب انفرد به الإمام علي عليه السلام ألا وهو أمير المؤمنين الذي لقّبه به الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله، وتعمّد البعض سرقة هذا اللقب ونسبوه لشخصيّات ليسوا أهلاً له؛ في حين إنَّنا نجد الأئمّة المعصومين من ذرّيّة الإمام علي عليه السلام لم يتّصف أحد منهم بهذا اللقب؛ حتَّى أنَّ الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف لا يُقال له أمير المؤمنين.

روي: أنَّه دخل رجل على أبي عبد الله عليه السلام. فقال: ((**السّلام عليك يا أمير المؤمنين! فقام على قدميه، فقال: مه، هذا اسم لا يصلح إلَّا لأمير المؤمنين عليه السلام، سمّاه الله به. ولم يسمَّ به أحد غيره، ... قال: قلت: فماذا يدعى به قائمكم؟! قال: السلام عليك يا بقية الله، السلام عليك يا بن رسول الله**))[٢]. فأمير المؤمنين لقبٌ خاصّ للإمام علي عليه السلام لكنه سُرِق.

ثأرُ الله تعالى

قال الإمام الباقر عليه السلام: «**السَّلامُ عَلَيْكَ ياثارَ الله وَابْنَ ثارِهِ وَالوِتْرَ المَوتُورَ، السَّلامُ عَلَيْكَ وَعَلى الاَرْواحِ الَّتِي حَلَّتْ بِفِنائِكَ عَلَيْكُمْ مِنِّي جَميعاً سَلامُ الله أَبَداً مابَقِيتُ وَبَقِيَ اللَيْلُ وَالنَّهارُ.**

يا أَبا عَبْدِ الله لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتْ وَعَظُمَتِ المُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنا وَعَلى

---

١ - ينظر: اليقين باختصاص مولانا عليّ عليه السلام بإمرة المؤمنين، ابن طاووس، علي بن موسى(ت: ٦٦٤هـ)، دار الكتاب، إيران؛ قم١٤١٣هـ، الأولى: ١٥٢- ١٥٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ابن بابويه، محمد بن علي(ت: ٣٨١هـ)، نشر جهان، طهران١٤٢٠هـ، الأولى: ٢/ ٦.

٢ - تفسير العيّاشي، محمد بن مسعود(ت: ٣٢٠هـ)، المطبعة العلمية، طهران١٤٢٢هـ، الأولى: ١/ ٢٧٦.

جَمِيعِ أَهْلِ الإِسْلامِ، وَجَلَّتْ وَعَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ فِي السَّماواتِ عَلى جَمِيعِ أَهْلِ السَّماواتِ، فَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أَساسَ الظُّلْمِ وَالجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ»[1].

حتّى نستوضح شيئاً من عظمة الإمام الحسين عليه السلام نأخذ بعض دُرر كلمات أبنائه البررة الأئمّة الهداة عليهم السلام؛ وقد أصبح واضحًا أنَّ الإمام الحسين عليه السلام، عندما يُعلّم الأئمّة عليهم السلام شيعتهم أن يزوروه يوصونهم الابتداء بتعريفه عليه السلام، وهذا التّعريف ليس تعريفاً شخصيّاً بقدر ما هو تعريف معنويّ يُسلّط الضّوء على سيّد الشّهداء عليه السلام.

وبعد أن فرغ الإمام الباقر عليه السلام من تعريفه ابتدأ بقوله عليه السلام: **((السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ثَارَ اللهِ وَابْنَ ثَارِهِ وَالْوِتْرَ الْمَوْتُورَ السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى الْأَرْوَاحِ الَّتِي حَلَّتْ بِفِنَائِكَ وَأَنَاخَتْ بِرَحْلِكَ عَلَيْكُمْ مِنِّي جَمِيعاً سَلَامُ اللهِ أَبَداً مَا بَقِيتُ وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ))**[2].

إنَّ الإمام الحسين عليه السلام إلى يومنا هذا لم يُطلب بثأره، وأرجو الالتفات إلى نقطة بالغة الأهمّيّة ألا وهي إنَّ الإمام الحسين عليه السلام حينما قدَّمه وعرَّفه الإمام الباقر عليه السلام لم يُقدّمه أو تعامل معه تعاملاً شخصيًّا؛ وإنَّما تعامل معه تعاملاً معنويًّا خاصًّا، وأراد من هذا التّعامل المعنوي أن يُهيّئ إلى شيء، قد ورد في الأخبار أنَّ المختار الثقفي [3] قد قتل قتلة الإمام الحسين عليه السلام وتتبّعهم بعد أن دخل الى

١ - المصباح (مصباح الكفعمي): ٢٨٤ .

٢ - كامل الزيارات: ١٧٦.

٣ - المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عفرة بن عميرة بن عوف الثقفي، ولد في الطائف في السنة الأولى للهجرة.

الكوفة[1] وقتلهم شّر قتلة حتّى أنَّ الإمام السجاد عليه السلام عندما جاءه رأس عبيد الله بن زياد خضع لله تعالى ساجدًا، والسّؤال هل إنَّ المختار قد ثأر للإمام الحسين عليه السلام أو لا ؟

الجواب: كلّا. إنَّ المختار إنَّما فعل هذا الفعل لكون الإمام الحسين عليه السلام مظلومًا، والذي قتله ظالم، وهذه المساحة المحدودة لا يتعدّاها المختار، ولا يمكن أن يتعدّاها المختار؛ فثأر الإمام الحسين عليه السلام بمعنى ثأر الإمامة، وثأر الإمام الحسين عليه السلام بمعنى ثأر امتداد النّبوّة، والذي يثأر للإمام الحسين عليه السلام لابُدَّ أن يكون مرتبطاً بالله تبارك وتعالى؛ لأنَّ النّبوّة والإمامة ترتبطان بالله تعالى، والاعتداء على الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطّف لم يكن على الإمام الحسين بن علي عليهما السلام فقط، وإنَّما الاعتداء في واقعة الطّفّ كان على الإمام الحسين عليه السلام، والإمام الحسين منصوب من الله تبارك وتعالى، وهو وصي النّبي الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله.

لقد كان الاعتداء في واقعة الطف على أمرٍ إلهيّ خاصّ، ومن هنا لابُدَّ للشخص الذي يتأهّل إلى الأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام أن يكون بمستوى الإمام عليه السلام؛ ولذلك عندما يضاف الثأر – تارة إلى العشيرة، فالعشيرة تقتص من القاتل وينتهي الأمر، وتارة يُضاف الى الله سبحانه؛ فيكون هذا ثأر الله تعالى؛ وهنا أرجو التّركيز على نقطة إضافة الثأر إلى الله تعالى بمعنى أنَّ الله وحده هو الذي يتكفّل المطالبة بهذا الثّأر، وهذا لا يتم، وإلى الآن غير حاصل، ولا يتم إلّا أن يُقيّض الله سبحانه وتعالى شخصًا بمرتبة الإمام الحسين عليه السلام، وهذا غير حاصل في حياة الأئمّة عليهم السلام بعد سيّد الشّهداء عليه السلام؛ وإنَّما يحصل فقط عند

١ – ((فَلَمَّا مَضَتْ سِتَّةُ أَشْهُرٍ بَعْدَ هَلَاكِ يَزِيدَ قَدِمَ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ الْكُوفَةَ فِي النِّصْفِ مِنْ رَمَضَانَ))، ينظر: الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الأولى: ٣/ ٢٥٢.

ظهور قائم آل محمّد (عجّل الله تعالى فرجه الشريف)، وهذه المرتبة للإمام الحسين ﷺ، وعندما يكون الإمام الحسين ﷺ هو ثأر الله جلّ شأنه، ونقول: ((**يَا ثَارَ اللهِ وَابْنَ ثَارِه**))[١]، وحينما يوصي أمير المؤمنين ﷺ ولده الإمام الحسن ﷺ بأن يقتصّ من ابن ملجم؛ وأن يضربه ضربة بضربة؛ فهذا لم يكن ثأرًا لأمير المؤمنين ﷺ؛ أمّا ثأر أمير المؤمنين ﷺ بوصفه إمامًا أيضاً لم يؤخذ بثأره؛ وإن قُتل ابن ملجم عشرين قتلة، ولذلك أنت تلاحظ الإمام الباقر ﷺ عندما ينحو بنا هذا المنحى في تعريفه للإمام الحسين ﷺ؛ أي مهّد إلى أنَّ المسألة دخلت في عالم السّماوات وفي عالم الله سبحانه وتعالى، وخرجت عن الحدود الضّيّقة، وسيأتي في بقيّة فقرات الزّيارة ما يؤكِّد هذا المعنى.

معنى الوتر الموتور

ثم قال ﷺ: ((**وَالْوِتْرَ الْمَوْتُور**))[٢].

الوتر؛ الفرد الذي لا زوج له، ولا شفيع له، وموتور مأخوذ ومطلوب، ومن لم يؤخذ بدمه؛ وهذه صفات حقيقية وليست صفات تشريفيّة، والإمام الباقر ﷺ لا يعطي الإمام الحسين ﷺ صفات تشريفية؛ وإنَّما صفات حقيقية، وهذا هو المعنى الحقيقي عندما تخاطب الإمام الحسين ﷺ وتقول له: ((**الْوِتْرَ الْمَوْتُور**)).

أي ثأر الله جلَّ وعلا؛ فهو الذي يثأرُ اللهُ تعالى له أو هو الذي كان الثأرُ له ثأرًا لله جلَّ وعلا. أو هو الذي كانت مظلوميّتُه واقعةً في سياق الانتهاك لحقِّ الله جلَّ وعلا؛ لأنَّ المراد من الموتور لغةً هو مَن قُتل حميمُه أو أحد أقربائه فلم يؤخذ بثأره من القاتل. فالقاتل واتر، ومَن قُتل حميمُه أو ولده موتور[٣].

---

١ - كامل الزيارات: ١٧٦.

٢ - م.ن: ١٧٦.

٣ - ينظر: لسان العرب: ٥، ٤٧٢.

وقد كان الإمام الحسين ﷺ موتورًا قبل أنْ يُقتل حيث قُتل أولاده وأولاد أخيه وبنو عمومته أمامه وعلى مرأىً منه، لذلك فهو موتور؛ لأنَّ أولاده قد قُتلوا فلم يسعْه أن يقتصَّ ممَّن قتلهم.

استحالةُ المعرفةِ الحسينيّة على غير المعصوم

ثم قال ﷺ: ((**السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى الْأَرْوَاحِ الَّتِي حَلَّتْ بِفِنَائِك**))[1].

الظّاهر أنَّ المراد من الأرواح ليست الملائكة، وإنَّما أصحاب الإمام الحسين ﷺ؛ ومعنى الفناء ليس وسط الدّار كما يتخيّل البعض؛ إذ عندنا الآن بعض البيوت المعبّرعنها بالبيوت الشّرقيّة، وغالباً ما تكون هناك فسحة داخل البيت؛ وبعضهم يقول هذا هو الفناء الذي يظهر من كتب اللغة، ولكن في الواقع ليس هذا الفناء؛ وإنَّما الفناء هو ما يحيط الدّار من الخارج[2] وعلى هذا المعنى سترى مدى الدّقّة في تعبير الإمام ﷺ لأصحاب الإمام الحسين ﷺ، وقد ذكرنا سابقًا أنَّ أصحاب الإمام الحسين ﷺ لا يدانيهم أحد، وقد وصلوا إلى ما وصلوا من مراتب عالية جدًّا، وقد كانوا يربّون أنفسهم على الوقوف مع الإمام الحسين ﷺ دون انهزام أو تراجع، وكان بعضهم يُصلّي صلاة الصّبح لمدّة عشرين عامًا بوضوء صلاة العشاء؛ أي أنَّه لم ينم ليلًا، وبعض الرّوايات تصل إلى أربعين سنة.

إنَّ هؤلاء الصّفوة عرفوا سيِّد الشّهداء الحسين ﷺ معرفة دقيقة جدًّا، ومن الحقائق التي رويت عنهم أنَّهم عندما كانوا يتقدّمون بين يديه ﷺ كانوا يستأذنون حتّى في تلك اللحظات، ويدعون الله تعالى التّوفيق للشّهادة بين يدي الإمام

---

١ - كامل الزيارات: ١٧٦.

٢ - المصباح (مصباح الكفعمي): ٢٨٤.

الحسين ﷺ؛ وقد وصلوا إلى مراتب عالية، وكذلك ورد في بعض الرّوايات أنَّ الله سبحانه وتعالى قد كشف لهم بصيرتهم، وأراهم مواقعهم في الجنّة، وهذه المرتبة العظيمة بناءً على التّفسير الثّاني يظهر أنّه لم يصلوا إلى كلّ حقيقة الإمام الحسين ﷺ، وعندما نقارن أصحابًا مع أصحاب الإمام الحسين ﷺ وعلى سبيل المثال مع أصحاب أمير المؤمنين ﷺ أو أصحاب الإمام الحسن ﷺ أو أصحاب الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) فلا شكَّ أنَّ أصحاب الإمام الحسين ﷺ تكون كفّتهم راجحة، أما عندما نُقارن أصحاب الإمام الحسين ﷺ مع سيد الشهداء ﷺ فنرى أنَّ هناك بُعدًا كبيرًا بينهم وبين أبي عبدالله الحسين ﷺ؛ ولذلك نجد الزّيارة تُعبّر أنَّهم حلّوا بفناء الإمام الحسين ﷺ؛ وهذا أقصى ما وصلوا إليه، وأنَّهم كانوا على الجهة المحيطة بالإمام الحسين ﷺ، ولم يدخلوا إلى حرم شخصيّة الإمام الحسين ﷺ؛ وهذه إلتفاتة رائعة من الإمام الباقر ﷺ عندما يُعرّف لنا عظمة الأصحاب الى هذا المنعطف أو إلى هذا الحدّ دون غيره، وهذا ليس غريبًا فنحن لا نُغالي في الأئمّة ﷺ، ولكن الأئمّة لهم مقامات هائلة جدًّا.

والنّتيجة إنَّ الإمام الحسين ﷺ شخصيّة عظيمة لا يمكن أن يعرفها لنا إلَّا الأئمّة الهداة من أمثال الإمام الباقر ﷺ.

من آثارِ المُصابِ الحسينيّ

ثم قال ﷺ: **((أَبَداً مَا بَقِيتُ وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَار يَا أَبَا عَبْدِ الله لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض))**[1].

من الحقائق التي يجب الاعتراف بها أنّنا منذ أن ولدنا في هذه الدّنيا نُمارس الشّعائر الحسينية ونجلس تحت المنبر ونقرأ عن الإمام الحسين ﷺ؛ لكن أنا

١ - كامل الزيارات: ١٧٦.

شخصيًّا أعترف أنّني لم أستطع إلى الآن فهم سرّ الإمام الحسين ﷺ، والواقع كلّما حاولت فإنّي أعجز عن ذلك، وعندما أقرأ هذه الفقرة من الزّيارة الشّريفة أفهم أنَّ مصيبة الإمام الحسين ﷺ مصيبة كانت جللاً؛ سواء كانت في شخصه ﷺ، بعائلته، بأطفاله، بإخوته، بنسائه، بأصحابه، وكذلك أرى صورة واقعة الطّف صورة غريبة جدًّا؛ فهي في كلِّ سنة تتجدّد، ونكتشف فيها أشياء أخرى واقعة غريبة لشخوصها وأحداثها وأسرارها، وعندما نقرأ حديث الإمام الباقر ﷺ يتبيّن أنَّ المصيبة مصيبة جميع أهل الإسلام، وكلّ من له انتماء إلى الإسلام فإنَّه يتأذّى ويتألّم لمصاب أبي عبد الله ﷺ، لكن حينما نقرأ سويّة نرى أنَّ هناك شيئاً آخر قد خفي علينا، نعم نفهم أنَّ المصيبة كيف تكون عظيمة في الدّنيا عند أهل الإسلام وكلّ من انتمى إلى هذا الدّين الحنيف، وحينما يسمع في وقته أو الآن فلا شكّ أنَّه يتأذّى لما جرى على الإمام الحسين ﷺ، لكن عندما تعظم هذه المصيبة في السّماوات فإنّه شيء لا نستطيع فهمه؛ لأنَّنا لسنا من أهل السّماوات، بل نكتشف كأنّ الأرض ليست لها طاقة على تحمّل مصيبة سيّد الشّهداء ﷺ؛ ولذلك لابُدَّ أن تشاركها جهة أخرى هي السّماوات وساكنو السّماوات لعظم هذه المصيبة، وعندما تسمع من أرباب المقاتل أنَّ الإمام الحسين ﷺ بعد أن أُصيب أخذ بكفّه الشّريف بعض دمه، ورماه إلى السّماء، ويذكر أربابُ المقاتل، ويقولون لم ينزل منه قطرة إلى الأرض[1]. وترى ذلك الموقف مع هذا الموقف، وعندنا زيارة رجب تُبيّن أنَّ دم الإمام الحسين ﷺ سكن في العرش، وتُصرّح بهذه الحقيقة (الزيارة الرّجبية)[2] في بعض فقراتها؛ والواقعة التي تنقل أنّه رمى بدمه الشّريف إلى السّماء، ولم تنزل قطرة وهذا

١ - المصباح (مصباح الكفعمي): ٢٨٤.
٢ - ينظر: كامل الزيارات: ٣٦٤.

المعنى أنَّ هناك تفاعلاً مع مصيبة سيّد الشّهداء، وتدبَّر قوله عليه السلام: وجلّت وعظمت مصيبتك في السّماوات على جميع أهل السماوات؛ أي جميع ساكني السّماوات قد عظمت هذه المصيبة عندهم.

إنَّ هناك أكثر من خمسمائة رواية تذكر أنَّ التّباكي على الإمام الحسين عليه السلام ومن جملة ما تذكر: ((**أَرْبَعَةُ آلَافِ مَلَكٍ شُعْثٌ غُبْرٌ يَبْكُونَ الْحُسَيْنَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا يَأْتِيهِ أَحَدٌ إِلَّا اسْتَقْبَلُوهُ وَلَا يَمْرَضُ أَحَدٌ إِلَّا عَادُوهُ وَلَا يَمُوتُ أَحَدٌ إِلَّا شَهِدُوه**))[1]؛ فملائكة تنزل، وملائكة تصعد، ولاحظ هذا الاضطراب، والأمر غير الطّبيعي الذي أحدثته واقعة الطّف بحيث أنَّ السّماء تفاعلت معه؛ فما أعظم الإمام الحسين عليه السلام عندما يؤثّر هذا الأثر الكبير بحيث يبكيه أهل الأرض، ويبكيه جميع أهل الإسلام ولا تتحمل الأرض؛ وإنَّما يرتفع المصاب إلى الملك الأعلى وتشترك فيه جميع سكّان السّماوات وسكّان الأرض.

هذه بعض ما للإمام الحسين عليه السلام من شخصيّة أضافها ووضّحها لنا الإمام الباقر عليه السلام بعبارة واضحة ودقيقة، ونبقى وأبقى أنا قاصراً عن فهم شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام، وأدعو الله تعالى بالحسين عليه السلام أن يعرّفني، وأن أوفق، وتوفقوا بأن نحظى بمعرفة هذا الإمام الذي لولاه لكنّا نسبّح ونقدّس بمعاوية ويزيد وأمثالهما.

١ - وسائل الشيعة: ١٤/ ٤٢٠.

المبحث الثاني

ظلمُ المراتبِ والدَّرجات الإلهيّة

قال الإمام الباقر عليه السلام: ((**وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقامِكُمْ وَأَزالَتْكُمْ عَنْ مَراتِبِكُمُ الَّتِي رَتَّبَكُمُ اللهُ فِيها، وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ وَلَعَنَ اللهُ المُمَهِّدِينَ لَهُمْ بِالتَّمْكِينِ مِنْ قِتالِكُمْ**)). ما زال الكلام يدور حول زيارة عاشوراء؛ التي تعدّ من الزّيارات المهمّة التي أطلقها الإمام الباقر عليه السلام وهو يعلّمنا كيف ندخل إلى الإمام الحسين عليه السلام، وكيف نفهم سرّ هذه الشّخصية العظيمة من خلال الكلمات الرّائعة التي أطلقها عليه السلام، ومن جملة ما قال عليه السلام: ((**فَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أَساسَ الظُّلْمِ وَالجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقامِكُمْ وَأَزالَتْكُمْ عَنْ مَراتِبِكُم**))[1].

أساليبُ مواجهةِ الحقّ

أنتم تعلمون أنَّ الله سبحانه وتعالى بمقتضى رحمته وسعة هذه الرّحمة أنّه عندما أوجدنا إلى هذا العالم، وأوجدنا في هذه الدّنيا؛ فإنَّه نصب لنا أعلامًا لهدايتنا، ونصب لنا أئمّة، ونصب لنا أنبياء؛ حتَّى نأخذ منهم ونتعلّم ونقتدي بهم، وقد كانت هناك محاولات كثيرة هدفها نصب العداء للأنبياء، وتحجيم دورهم، وبعد ذلك تصفيتهم جسديًّا ومعنويًّا؛ والهدف من ذلك منع الأوامر والأحكام الإلهية من النّفوذ وإصلاح المجتمع، وقد استخدمت عدّة طرق، وكانت الطَّريقة الأولى والمواجهة المعروفة هي أن تُجيّش الجيوش، ويقف من يقف، ويعلن العداء لهذه الأوامر والوظائف الإلهيّة، وبذلك حورب الأنبياء بشكلٍ صريح، واتّهم الأنبياء بشكلٍ صريحٍ، وقتل الأنبياء وأنصار الأنبياء أيضاً بشكلٍ صريحٍ، ونفس مظاهر العداء مارسوها مع النَّبي صلى الله عليه وآله، وخاض حروبًا كثيرة؛ لأنَّ الأعداء قد أعدّوا له العدّة، وأعلنوا أنَّهم في جهة والنبي صلى الله عليه وآله في جهة ثانية، ولا بُدَّ من التّخلّص منها؛ وقد أعلن إصراره وأنّه لا يمكن أن يتوقّف؛ فأصبح هدفهم قتله صلى الله عليه وآله، وقتل أهل

١ - كامل الزيارات: ١٧٦.

بيته وأنصاره؛ وهذا موقف في قمّة الخطورة، ويحتاج إلى ثبات من أهل الحقّ حتَّى يواجهوا هذا الخطر.

أمّا الطّريقة الثّانية والمحاولة الأخرى إبدال العنصر المتديّن حقيقة بآخر متديّن ظاهرًا، وإبدال الوظيفة الإلهية بأخرى مزيّفة، وهذه أخطر من الأولى، فبعد أن فشلت قريش مع النّبي صلى الله عليه وآله حاولت استعمال هذه الطّريقة الثّانية؛ وهي طريقة الاستبدال، وطريقة جعل أنموذج يضاف له مجموعة من الصّفات الإلهية؛ وهو غير إلهي؛ وغير مرتبط بالله سبحانه وتعالى، وقد ذكرت سابقًا أنَّ أوّل لقب سرق من شخصيّة الإمام علي عليه السلام، وأعطي إلى جملة كبيرة من الأشخاص قد يصعب عدّها الآن هو لقب أمير المؤمنين[1]؛ فهذا اللقب أعطي لشخص واحد دون غيره، ولكن هذا اللقب أخذ وسرق وألبس بأشخاصٍ آخرين.

الخسارةُ التي لا تُعوّض

في هذه الفقرة من الزّيارة الشّريفة أراد الإمام الباقر عليه السلام الإشارة إلى مسألة بالغة الأهمّيّة ألا وهي: أنّنا نعلم أنَّ الله تعالى ليس له قرابة مع أحدٍ، وإنَّما الله سبحانه نصب أعلامًا لهداية البشر، والإنسان بيده الخيرة إن شاء اهتدى لهذه العلامة وإن لم يشأ ابتعد عن خطّ الحقّ وما يورث السّعادة في الدّنيا والآخرة، ولله تعالى الحجّة البالغة على الخلق، ولكن الإمام الباقر عليه السلام يرى في هذا المقطع أنَّ الأمّة حرمت نفسها (وهذه حقيقة لا خلاف فيها) من لذائذ معنوية كبيرة، ومادّيّة أيضاً[2]. وقد نشأ هذا الحرمان بسبب إقصاء أئمّة أهل البيت عليهم السلام عن

---

١ - ينظر: اليقين باختصاص مولانا عليّ عليه السلام بإمرة المؤمنين، ابن طاووس، علي بن موسى(ت: ٦٦٤هـ)، دار الكتاب، إيران؛ قم١٤١٣هـ، الأولى: ١٥٢- ١٥٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ابن بابويه، محمد بن علي(ت: ٣٨١هـ)، نشر جهان، طهران١٤٢٠هـ، الأولى: ٢/ ٦.

٢ - ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً﴾. (الجن: ١٦).

مواقعهم التي لم يجعلها النّبي صلى الله عليه وآله، وإنّما جعلها الله تبارك وتعالى لهم. وأمام هذا الاختيار الإلهي كانت هناك محاولات عديدة لإقصاء أهل البيت عليهم السلام من مراتبهم التي رتّبها الله تعالى لهم، وأن مكان الخلافة ليس خاصًّا بأهل البيت عليهم السلام، وأنّ هذا المكان يجب أن يشغله فلان ابن فلان؛ مع أنَّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قد أوضح الأسماء بلا إشراك الاسم مع اثنين أو أكثر حتّى نقول لعلّ النّبي قصد فلاناً أو فلاناً، بل أوضح الأسماء بمسمّياتها، ولا بُدَّ من الإلتفات أنّ النّبي محمد صلى الله عليه وآله عندما أشار إلى أسماء خاصّة؛ ليس لأنَّ آل محمد عليهم السلام هم أقرباؤه صلى الله عليه وآله، فهذا ممّا لا يمكن فعله وفق آرائه وهواه الشّخصي، إذ يستحيل أنَّ هوى المصطفى صلى الله عليه وآله يخالف الله تعالى وحاشاه[1]، وإنّما يفعل امتثالًا لأمر الله سبحانه وتعالى، ففي الزّيارة الكريمة للإمام الباقر عليه السلام يقول: **(لَعَنَ اللهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقَامِكُمْ)** وأرجو التّركيز على إنَّ هذه المسألة غير مرتبطة بالإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطَّفّ، بل هذه المسألة مرتبطة بما قبل الإمام الحسين عليه السلام؛ أي أنّ قتل الإمام الحسين عليه السلام إنّما جاء نتيجة لأعمال سابقة، والدّفع عن المقام لا يقتصر على الدّفع الحسّيّ بأن يصعد فلان، وتأتي أنت تجلبه، وتنزله؛ فهذا ليس المقصود؛ وإنَّما المراد كلّ عمل يؤدّي هذا المؤدّى وإن كان قليلاً ما دام يشارك في تحقيق الدّفع عن مقام الأئمّة أو جعله الله سبحانه وتعالى لهم، وبذلك فإنَّ هذا الفعل يعدُّ تحدّيًا صارخاً عن أمر الله تبارك وتعالى؛ لأنَّ هذا الفعل يصب في الأصل الذي جعله الله تعالى يستوجب اللعن، وأن يكون ضمن من يحاول أن يدفع كلّ منصب إلهي، ويعطيه لغير أهله.

١ – ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿**وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى**﴾.(النجم: ٣-٤).

مراتبُ العداءِ

يقول الإمام عليه السلام: (**وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقَامِكُمْ وَأَزَالَتْكُمْ عَنْ مَرَاتِبِكُم**).

من يتأمل في هذا النّص الذي أورده الإمام الباقر عليه السلام يكتشف أنَّ هناك مراتب ومقامات جعلها الله تعالى لأوليائه؛ فهو سبحانه الذي رتّبها فقط، وكما أنَّ الله اختار الأنبياء والأوصياء صلوات الله عليهم؛ واختار مقاماتهم، واختار الأئمة عليهم السلام بأن يشغلوا هذا الحيّز، والقيام بأيّ فعل يحاول النّيل أو الغصب لهذه المراتب فيعد هذا من مراتب الدّفع عن المقام، ومحاولة إزالة المرتبة، وكلّ فعل يدخل ضمن هذه الأقسام يستوجب اللعن من الله سبحانه وتعالى؛ أي الطّرد من رحمة الله جلّ شأنه.

ثمّ بعد ذلك قال عليه السلام: ((**وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ، وَلَعَنَ اللهُ الْمُمَهِّدِينَ لَهُم**))[1].

من الأمور التي لا شكّ فيها أنَّ القتل من أشنع الأفعال وأبشعها؛ ولذلك قيّد بقيودٍ شرعيّة جدًّا دقيقة، والقيام به لا يكون إلّا وفق شروطٍ عديدة لو دعت الضّرورة إلى ذلك.

والقتل هو إزالة الرّوح عن هذا الجسم، أو الجسد الذي ألبسه الله سبحانه وتعالى، والقتل بغير حق من أكبر الكبائر، وأكثرها جرماً؛ وهذا الفعل الجرمي بعد أن كانت مقدّماته في نفوسهم فعلوه مع أهل البيت عليهم السلام، تلك النّفوس المؤمنة والمحترمة وقادة الملّة والمجتمع[2]، مع أنّهم عرفوا بشاعة الجرم في قتل إنسان عاديّ ليس له المقام الإلهيّ الموجود عند المعصومين صلوات الله عليهم؛ كما أخبرَ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله : ((**زَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ إِرَاقَةِ دَمٍ مُسْلِمٍ**))[3]، فقتْلُ المسلمِ ظُلْماً بغيرِ مبرر شرَعيٍّ مِن الكبائرِ؛ لأنَّ ما

---

١ - كامل الزيارات: ١٧٦.

٢ - قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي قُرَّةَ: نَقَلْتُ مِنْ كِتَابِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سُفْيَانَ الْبَزَوْفَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هَذَا الدُّعَاءَ، وَذَكَرَ فِيهِ أَنَّهُ الدُّعَاءُ لِصَاحِبِ الزَّمَانِ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ وَعَجَّلَ فَرَجَهُ وَفَرَجَنَا بِهِ فِي النديبة: ((...وَلَمَّا قَضَى نَحْبَهُ وَقَتَلَهُ أَشْقَى الْآخِرِينَ، يَتْبَعُ أَشْقَى الْأَوَّلِينَ، لَمْ يُمْتَثَلْ أَمْرُ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله فِي الْهَادِينَ بَعْدَ الْهَادِينَ، وَالْأُمَّةُ مُصِرَّةٌ عَلَى مَقْتِهِ، مُجْمِعَةٌ عَلَى قَطِيعَةِ رَحِمِهِ وَإِقْصَاءِ وُلْدِهِ، إِلَّا الْقَلِيلَ مِمَّنْ وَفَى لِرِعَايَةِ الْحَقِّ فِيهِمْ. فَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ، وَسُبِيَ مَنْ سُبِيَ، وَأُقْصِيَ مَنْ أُقْصِيَ، وَجَرَى الْقَضَاءُ لَهُمْ بِمَا يُرْجَى لَهُ حُسْنُ الْمَثُوبَةِ)). المزار الكبير، ابن مشهدي، محمد بن جعفر(ت: ٦١٠هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة، قم١٤١٩هـ، الأولى: ٥٧٨.

٣ - تنبيه الخواطر ونزهة النواظر المعروف، ورام بن أبي فراس، مسعود بن عيسى(ت: ٦٠٥هـ)، مكتبة الفقيه، قم١٤١٠هـ، الأولى: ١/ ٨٥.

سِوى الإنسانِ المسلمِ في هذا العالمِ مِن السَّمواتِ والأرضِ مخلوق لأجْلِه، فصار زَوالُه أعظَمَ مِن زوالِ التَّابعِ.. فكيف إذا كان هذا المقتول هو الإمام المعصوم عليه السلام، وكيف إذا كان هذا المقتول هو القرآن النّاطق **(فأهل البيت هم القرآن النّاطق)**، وهذا يُفسّر صعوبة التّلفّظ بهذه الألفاظ عندما نستعرض حالة الإمام الحسين عليه السلام وحالة البقية من أهله عليهم السلام.

من صفاتِ مستحقّي اللّعن

إنَّ جرأة بعض النَّاس قد تصل إلى الحدّ الذي يُحاول فيه أن يزيح أحدًا من مقامه، أو محاولة إزالته عن الرّتبة التي رتّبها الله تعالى، ومثل هذا الصّنف من النّاس لا تصدقوا أنّه سيقف عند حدٍّ من الحدود؛ بل سيقاتل الأنبياء والأوصياء من أجل تحقيق هدفه؛ ومثال ذلك يحيى بن زكريا عليه السلام قتل من أجل نزوة، ورأسه عليه السلام يُطاف به في الأسواق.

إنّ غضّ النّظر عن بعض المقدّمات السّيّئة وعدم مراعاته لبعض الحدود قد تدفعه إلى حالة وسلوك يصل بذلك السّلوك إلى حالة يبيح لنفسه حتّى قتل شعب مسلم. وهنا المسألة تدور بين شخص أراده الله تعالى لمنصب ورتبة خاصّة وبين آخر ألصق نفسه بهذا المنصب، والنَّتيجة إنّ الله سبحانه وتعالى يدعو الإمام أن يلعن كلّ من دفع عن ذلك المقام، وكلّ من حاول إزالة تلك المراتب التي رتّبها الله فيها، وأن يلعن أيضًا تلك الأمّة التي قتلت الأئمّة عليهم السلام.

ثم قال عليه السلام: ((**ولَعَنَ اللهُ المُمَهِّدِينَ لَهُمْ بِالتَّمْكِينِ مِنْ [قِتَالِكَ] قِتَالِكُم**))[1].

من جملة الأشياء الممهّدة للظّلم هو السّكوت عن الحقّ؛ فالإنسان عندما يسكت عن الحقّ يجعل الطّرف الآخر يتمادى، ويجعل الطّرف المتمادي يظنّ بأنَّ عمله مقبول، وأنَّ عمله مرغوب، فالسّكوت يمهّد التجاوز، وقد تصل الحالة أنَّ الإنسان يعمل عملاً؛ وهذا العمل يساهم في تقوية أهل الباطل ويمهّد في

١ - كامل الزيارات: ١٧٦.

المستقبل إلى التّجاسر والتّعدّي؛ ولذلك كان الإمام الصّادق عليه السلام يُحارب بكلامه كلّ من يُساهم في تأسيس أسس الباطل، ويقول من جملة ما يقول: ((**لَا تُعِنْهُمْ عَلَى بِنَاءِ مَسْجِدٍ**))[1]، أي مجرد هذا البناء للمسجد فيه إعانة؛ ومعنى الإعانة تقوية، والتّقوية مقدّمة لأشياء أخرى من أقسام الظّلم. وفيما أتذكّر أنّه جاء بعض الأصحاب للإمام الصّادق عليه السلام، وبيَّن موقفه وحرفته ودوره في جيش عبيد الله بن زياد على أنّه كان خيّاطًا في واقعة الطّفّ وكان يخيط الملابس لجند عبيد الله بن زياد، فهذا يتصوّر أنَّه كان من الرّاكنين إلى الظّلمة ﴿**وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ**﴾[2]، فأراد أن يتحلّل من ذلك ويستغفر عن طريق بيان موقفه إلى الإمام الصّادق عليه السلام،وإن كان باب التّوبة مفتوحًا، لكن المعادلة خاطئة؛ فأجابه الإمام عليه السلام: أنت لم تكن من الرّاكنين للظلمة، أنت من الظلمة، فأنت غير راكن، بل أنت ظالم، ولعلّ الذي باع الخيط مثلاً هو من الذين ركنوا إلى الظّلمة؛ أما أنت بشخصك ظالم.

فهذه مراتب مختلفة للظلم الذي يخص الدّرجات والمراتب التي وضعها الله تعالى لأوليائه ومحاولة إزالتها ودفعها أو التّمهيد لهذه الأفعال والجرائم؛ والذي يقوم بذلك العمل والذي يمهّد كلها عناصر مجتمعة أدّت إلى نتيجة مفادها أنَّ هناك قوّة تخالف إرادة الله سبحانه وتعالى في الأرض، وتحاولُ أن يُعبد الشّيطان دون الله سبحانه وتعالى؛ فلذلك هذه عناصر كلّها تستوجب اللعن، وهذه المسألة كما تعلمون غير مختصّة بزمانٍ أو مكان؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى له الحجّة دائماً في كلّ زمانٍ ومكان؛ وسواء كان التّعدّي على الإمام عليه السلام أو من يُمثّل الإمام عليه السلام؛ لذا يجب أن لا يتسرّع الإنسان عندما يتّخذ موقفًا، فقد تسلب بعض الأعمال

١ – تهذيب الأحكام، الطوسي، محمد بن الحسن(ت: ٤٦٠هـ) تحقيق الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، الرابعة: ٦،٣٣٨.
٢ – هود: ١١٣.

التّوفيق والسّداد، ومن جملة مصادق التّوفيق التّوبة نفسها. بل هناك من الأعمال ما تجعل الإنسان يسلب منه حتّى الاختيار؛ لأنَّ بعض الأعمال تكون عظيمة الأثر، ومما يذكر في التاريخ أنَّ يزيد بعد واقعة الطَّف أراد أن يسأل الإمام عليه السلام على أن يتوب عن فعلته، والإمام لا يسدّ الباب أمام أحد، فهو رحمة الله الواسعة، فاشترط عليه الالتزام بصلاة الغفيلة، لكن يزيد فَعَلَ أفعالاً بسببها لا يوفّق إلى مسألة التّوبة، إلى أن هَلك.

إنّ من جملة القواعد المهمّة في السير إلى الله تعالى أن لا يستصغر الإنسان فعله أمام الله تعالى، فإنَّ الله قد يدخلنا النّار بأفعال قد نرى نحن أنّها صغيرة، كما ورد عنه صلى الله عليه وآله: ((**يَا أَبَا ذَرّ، لَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِ الْخَطِيئَةِ وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى مَنْ عَصَيْت**))[1].

جنّبنا الله سبحانه وتعالى وإيّاكم كلّ معصية، ووفّقنا دائمًا أن نراجع أنفسنا حتّى نرى أنّنا لا يمكن أن نتخطّى الحدود التي رسمها الله سبحانه وتعالى؛ سائلين المولى بحرمة محمّد وآل محمّد وحرمة هذه الأشهر؛ أشهر الحزن على محمد وآله أن يجعلنا من ﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَه**﴾.

١ - الأمالي، الطوسي، محمد بن الحسن(ت: ٤٦٠هـ)، دار الثقافة، قم١٤١٤هـ، الأولى: ٥٢٨.

المبحث الثالث

حقائقُ حولَ اللّعن

قالَ الإمامُ الباقرُ عليه السلام: «**بَرِئْتُ إِلى الله وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ وَمِنْ أَشْياعِهِمْ وَأَتْباعِهِمْ وَأَوْلِيائِهِمْ. يا أَبا عَبْدِ الله إِنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سالَمَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حارَبَكُمْ إِلى يَوْمِ القِيامَةِ، وَلَعَنَ الله آلَ زِيادٍ وَآلَ مَرْوانٍ وَلَعَنَ الله بَنِي أُمَيَّةَ قاطِبَةً وَلَعَنَ الله ابْنَ مَرْجانَةَ وَلَعَنَ الله عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ وَلَعَنَ الله شِمْراً، وَلَعَنَ الله أُمَّةً أَسْرَجَتْ وَأَلْجَمَتْ وَتَنَقَّبَتْ لِقِتالِكَ**».

زيارات المعصوم تضع منهاجًا عمليًّا على مدار السَّنة، وإن كانت خصوصيّة اليوم أو خصوصيّة المكان تُلحظ لكنّها لا تتحدّد بهذا الوقت فقط وإنَّما هي باب واسع لأن نلج منه إلى معانٍ عظيمة؛ واستكمالًا لذلك نذكر أنَّ المتابعة مع بعض فقرات الزيارة له دخل فيما أريد أن أبيّنه خصوصًا، وأنَّنا نستطيع الدّخول إلى ساحة الإمام الحسين عليه السلام من خلال الكمّ الهائل من الزيارات التي زاره بها الأئمّة عليهم السلام، ومن جملة الأشياء الموجودة في نصوص الزّيارات مسألة البراءة؛ وهي قاعدة إنَّنا سلمٌ لمن سالم الأئمّة عليهم السلام وحربٌ لمن حارب الأئمّة عليهم السلام وهذه القاعدة عقائديّة، وليس لها دخل بالمسائل الشّخصيّة؛ إذ يمكن أن أختلف مع شخص لكن أجد من باب النّصوص الشَّرعية أن أكون سلمًا له ما دام يكون موالِيًا للأئمّة عليهم السلام ولا يحقّ لي أن أكون حربًا له؛ لأنَّ هذا خلاف هذه القاعدة التي ذكرتها الزّيارة الكريمة.

في الزيارة هناك مسألة كثر فيها البحث؛ وهي مسألة احتواء هذه الزّيارة على مسألة اللعن؛ فنقرأ في أكثر من مورد، تارة يلعن بالجملة كما لعن الله تعالى بني أميّة قاطبة، وتارة يلعن أفرادًا؛ مثل لعن الله عمر بن سعد، ولعن الله الشمر، ولعن الله ابن مرجانة، وهكذا فما هو المدرك لمسألة اللعن وهل يجوز للمؤمن أن يلعن أو لا يلعن؟

اللعنُ حقيقةٌ قرآنيّةٌ

حينما نتأمّل في الآيات الشَّريفة في القرآن الكريم نرى أنَّ مسألة اللّعن هي مصطلح قرآني، ولعلّنا نظفر بأكثر من أربعين موردًا في القرآن الكريم تصب اللعنات أو فيها كلمة اللعن على مجموعة من الشّخصيّات؛ واللعن هو دعاء للطرد من رحمة الله تعالى، وعندما تقول: لعن الله تعالى فلانًا فذلك يعني أنّك تدعو عليه بالطّرد من رحمة الله تبارك وتعالى، وهذه مسألة قرآنية، ومصطلح قرآني، وبلا شكّ أنَّ مسألة اللعن نستعملها في موارد قد يصل فيها الملعون إلى حالة يستوجب بها هذا الدّعاء أو هذا الفعل؛ ونضرب مثالاً على ذلك حينما نقرأ في سورة القصص عن فرعون، ولا بأس بذكر بعض الآيات إلى أن نصل الى مورد الشّاهد، فالقرآن عبّر عن فرعون قال: ﴿**وَقالَ فِرْعَوْنُ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْري فَأَوْقِدْ لي يا هامانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلى إِلهِ مُوسى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكاذِبين**﴾[1]، ويكمل القرآن الكريم، ويقول: ﴿**وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنا لا يُرْجَعُونَ**﴾[2]، وأركّز على هذه المسألة ﴿**وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لاَ يُرْجَعُونَ**﴾، وهذه حقيقة قد تستوقفنا كثيرًا؛ فالمسألة غير مختصّة بفرعون، وهناك غفلة قد تصدر منّا؛ ونتعامل وكأنّ الموت بعيد عنَّا، فترانا نتعامل في الدّنيا تعاملاً كأنّنا نأخذ ضمانًا بأنّنا سنُخلّد في الدّنيا، وكأنَّ مسألة الإياب إلى الله تعالى، والرجوع إلى الله سبحانه تنتهي من قاموس حياتنا، وهؤلاء الذين يتّصفون بهذه الصّفة تجد أنَّهم طغاة أو أصحاب أموال أو أصحاب الجاه الذين أصيبوا بهذه الغفلة، والقرآن الكريم من جملة ما يعرض؛ يعرض مسألة فرعون وأتباعه واستكباره

١ - القصص: ٣٨.

٢ - القصص: ٣٩.

هو وجنوده؛ قال: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾، فماذا فعل الله تبارك وتعالى به؟، يقول سبحانه: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ* فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾[1].

ثم يقول: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾ -قادة، لكن قادة إلى النّار- ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ * وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ * وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هُذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾[2]، ثمَّ بعد ذلك القرآن يقول: ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هُذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً * وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾[3].

فنستنتج من ذلك أنَّ اللعن مصطلح قرآنيّ؛ ويوجد أكثر من أربعين موردًا في القرآن يؤكّد ويدعو ويذكر اللعن على طبقة معيّنة من البشر.

هؤلاء الذين تجرّأوا على قتل سيّد الشّهداء عليه السلام مجموعة أسّسوا قواعد الظّلم، وأعطوا للظلم مشروعًا؛ وهذا المشروع قد وصل إلى أعلى مستوياته عندما تجرّأوا على قتل من نصبه الله تبارك وتعالى في هذا المقام، وكما قلنا سابقًا هناك مقام للأئمّة عليهم السلام، ومراتب للأئمّة عليهم السلام، وهؤلاء دفعوهم عن مراتبهم التي رتّبهم الله تعالى؛ فإذن هؤلاء يستوجبون ويستحقّون اللعن كما عبَّر الإمام عليه السلام يقول:((فَلَعَنَ اللهُ آلَ زِيَادٍ وَآلَ مَرْوَانَ وَلَعَنَ اللهُ بَنِي أُمَيَّةَ قَاطِبَةً وَلَعَنَ اللهُ ابْنَ مَرْجَانَةَ وَلَعَنَ اللهُ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ وَلَعَنَ اللهُ شَمِرا))[4]، وواضح وجود عمر بن سعد في اللعن، وكذلك شمر بن ذي الجوشن، وابن مرجانة عبيد الله بن زياد مثلاً، أمّا كون لعن الله بني أمية قاطبة كيف نخرج منها؟.

نحن قلنا إنَّ اللعن يحتاج إلى حالة يستوجب صاحبها اللعن؛ أمَّا أن يلعن

١ - القصص: ٤٠.
٢ - القصص: ٤١-٤٢.
٣ - القصص: ٤٢.
٤ - كامل الزيارات: ١٧٦، ١٧٧.

الإنسان كونه قد نسب إلى جهة معيّنة فهذا أمر خارج عن إرادته، ومجرد انتمائه إلى العشيرة الفلانية ليس مبرّرًا للّعن؛ فهو لم يرتكب أي ذنب حتى ينتسب إلى تلك العشيرة، وإنّما يلعن الإنسان على عمل تحت سلطنته، وكان قادرًا على الفعل؛ غير أنّه لم يفعل، ومقتضى الاختيار الإلهي الذي جعله الله تعالى فينا أنَّنا مختارون، ومقتضى القاعدة أنَّنا مخيّرون في سلوك طريق الجنّة أو اختيار طريق النّار؛ أمَّا أن أُلعن على أمرٍ خارج عن إرادتي فمثل الانتماء إلى العشيرة الفلانية فأين المسوّغ في هذا اللعن؟، والزّيارة تذكر عمر بن سعد الذي عمل عملاً كبيرًا يوم الطّف، وشمر بن ذي الجوشن، كذلك ابن مرجانة، وكذلك الإمام يعمّم لعن الله بني أمية قاطبة، وبني أميّة جزمًا فيهم من اتصف بالصّلاح وإن قلّوا، ثمّ إنَّ اللعن على بني أميّة لجهة نسبية ما المبرر لذلك؟

دفعُ إشكالٍ

هناك جوابان في دفع هذا الإشكال:

الجواب الأوَّل: إنَّ بني أميّة أضحى عنوانًا للظّالمين؛ وكما تقول: إنَّ فلانًا فرعون مع أن فرعون اسم شخصي لذلك الذي عاشره موسى عليه السلام، فتقول فلان فرعون فخرج فرعون عن تلك الذّات، وأخذ هذه الصّفة كلُّ من ظلم على شكلِ فرعون، والكلام ليس بالذات؛ وإنَّما في الصّفة؛ فبنو أميّة تمادوا في الغيّ وأصبحوا مثالاً لكلّ رذيلة ولكلّ ظلم؛ وحينما نذكر بني أميّة لا يتبادر مع هذا الذّكر أيّ فضيلة؛ وإنَّما تذكر الرّذيلة وظلم وإقصاء للأئمّة عليهم السلام ومن هنا فإنَّ المعنى المتبادر من هذه الفقرة ليس النّسب، وإنَّما الصّبغة والصّفة الأمويّة والتي هي صفة الإقصاء والتّعدّي والتّجاوز والتّجاسر على أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

الجواب الثّاني: ليس المقصود باللعن هنا المؤمن من آل أميّة، وممّا لا شكَّ فيه أنَّ اللعن لا يشير إلى هذا الصّنف من النّاس؛ لأنَّ اللعن عندما ذكر ذكر بفعل -انتبهوا- فنستكشف من هذه العبارة أنَّ أغلب بني أميّة يستحقّون اللعن (**وأرجو أن نلتفت**)إلى إشارة القرآن الكريم عندما يُعبّر: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾[1]، فقد نزلت في حياته أنباء أنَّ هذا الرّجل لا يتوب، وطريق التّوبة لا يوفّق لها أصلاً، وهنا إخبار عن المستقبل، وهكذا عندما نقول: لعن الله بني أميّة قاطبة؛ فمعنى ذلك أنَّ هذه أنباء أنَّ بني أميّة والعناصر الموجودة هم عمومًا يستحقّون اللعن وإن خرج بعض الآحاد؛ لكن هذا لا يؤثّر على صفة الجمع لبني أميّة.

وقد ورد في الأخبار عندنا شخصٌ أو شخصان أو ثلاثة لعلّهم من بني أميّة كانوا موالين للأئمّة عليهم السلام وحتّى الذي تبوأ مركزًا قياديًّا من بني أميّة، وسُمّي في التاريخ بأنّه الخليفة العادل الذي هو عمر بن عبد العزيز، ولا أريد أن أدخل في بعض التّفاصيل لكن يجب أن ندرس التاريخ بتمعّن وندرس التاريخ بدقّة، نعم عمر بن عبد العزيز له منقبة؛ وهي رفع سبّ أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر وهذه تذكر له، لكن هذا لا يعني أن نجعله في مصافي الأولياء، وعندما ندرس الوقائع التاريخية نرى أنَّ الوضع تأزّم فاضطر هذا الرّجل أن يُنفّس عن الناس وعن الطّالبين بأن يرفع هذا اللعن فلعلّه غير معتقد أصلاً بمسألة رفع اللعن لكنّها مسألة أشبه ما تكون بمصطلحات العصر مسألة سياسيّة، وعلى كلٍّ حال فبمجرّد تبوّئه بمركز ليس له ولا يحق له، والقاعدة تقول: من تقدّم وفي الناس من هو أفضل منه كما في بعض المناصب فعليه اللعن، وأنا لا أريد أن أتعرّض للرجل بمقدار ما أريد أن أُبيّن القاعدة التي ذكرتها الزّيارة.

---

١ - المسد: ١.

فتكون هذه الألفاظ أنباء عن مجموعة من بني أميّة لها مصادق وعناصر خارجيّة موجودة؛ و هؤلاء لم يوفّقوا أصلاً لفعل الخير إطلاقًا، وهذه من الإنباءات لمسألة الزيارة التي في زمن الإمام الباقر عليه السلام؛ ويعني بذلك أنّ بني أمية كانوا موجودين.

طلبُ المقامات العالية

ثم يقول عليه السلام: ((**وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً أَسْرَجَتْ وَأَلْجَمَتْ وَتَهَيَّأَتْ لِقِتَالِكَ، يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَقَدْ عَظُمَ مُصَابِي بِك**))[1].

الجانب العاطفي عند شيعة أهل البيت عليهم السلام جانب كبيرٌ وكريم في الوقت نفسه، ومصاب الإمام الحسين عليه السلام في الواقع عظيم جدًّا، ولعلَّه المولود الوحيد الأوّل الذي بكاه النّبي صلى الله عليه وآله في لحظات ولادته، وبلا شكّ يجب التّأسي بالنّبي صلى الله عليه وآله، فبكاء النّبي صلى الله عليه وآله لا يدخل ضمن بكاء العاطفة؛ وإنّما بكاه لشيء سيجري عليه أكبر مما نحن نتصوّر؛ والذي جرى على الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطّف أمرٌ كبيرٌ جدًّا ومهول رغم كلّ ما قِيل، وتبقى هناك بعض الأسرار والمشاهدات التي لم تصل إلينا. فإذن الإمام الحسن عليه السلام يقول: ((**لَا يَوْمَ كَيَوْمِكَ يَا أَبَا عَبْدِ الله**))[2]، ومصاب الإمام الحسين عليه السلام هو جزمًا مصابٌ عظيم وجلل، والزّيارة الشّريفة تؤكِّد هذا المعنى: ((**لَقَدْ عَظُمَ مُصَابِي بِك**))، بعد ذلك أشار الإمام عليه السلام إلى مطلب سامٍ وراقٍ وكريم لابُدَّ أن نطلبه؛ فقال عليه السلام: ((**فَأَسْأَلُ اللهَ الَّذِي أَكْرَمَ مَقَامَك**))[3].

لو عدنا إلى القرآن الكريم ونقرأ قوله تعالى: ((**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً**

١ - كامل الزيارات: ١٧٧.
٢ - الأمالي للصدوق: ١١٦.
٣ - كامل الزيارات: ١٧٧.

لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا))[1]؛ ومن جملة المقامات المحمودة أن يوفّق الإنسان إلى التّهجّد ليلاً، وممّا لا شكَّ فيه أنَّ الإمام الحسين عليه السلام من المعصومين عليهم السلام الذين أكرم الله تعالى مقامهم، والمقامات كثيرة؛ والمقام اسم مكان للقيام، والآن حينما تقوم من مكان وتنتقل منه تستطيع أن تشير إلى هذا المكان، وتقول هذا مقامي؛ أي المكان الذي كنتُ أنا جالسًا فيه، وهذا المصطلح فسّر بالمكان الرّفيع دائماً؛ ومقامك الرّفيع والعالي جاهك، فإذا مقام فلان كأنّه شيء عظيم، شيء كبير انتقل من هذا المكان الحسّيّ إلى هذا المعنى العام، وعلى كل حال فإنَّ المقام المحمود الذي بعثه إلى أوليائه، والإمام عليه السلام له هذا المقام؛ وهذا واضح في نصوص الزّيارة: ((**فَأَسْأَلُ اللهَ الَّذِي أَكْرَمَ مَقَامَكَ أَنْ يُكْرِمَنِي بِكَ وَيَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكَ مَعَ إِمَامٍ مَنْصُور**))[2].

هذه الجملة الاعتراضية إقرار لعظمة الإمام الحسين عليه السلام، وإقرار بأنّي مكرّم بالإمام الحسين عليه السلام -وهذه نقطة مهمّة جدًا- وإنّي كُرمت عن طريق أو بواسطة أبي عبدالله الحسين عليه السلام ولهذا دخل بما أطلب وماذا نسأل الله تعالى ونحن على أعتاب الإمام الحسين عليه السلام وليس من المناسب أن يعدد الإنسان مراتب الإمام الحسين عليه السلام ثمّ يسأل سؤالاً متدنيًا لا يتناسب مع عظمة الكلمات التي ذكرها.

عندنا في الدّعاء والرّوايات أنَّ الإنسان يطمح ويطلب الرّزق والذّرّيّة والدّار الوسيعة وطول العمر، وليس في ذلك أيّ مانع لكن الآن مع هذه الوقفة وهذه الكلمات غير مناسب للإنسان طلبه لشيء بسيط، وإلّا يصبح التّفريق الذي ذكرناه، والمقدّمة ليس لها دخل بالمعنى، بل لابُدَّ أن يكون الطلب بمستوى ماذكرناه فالإمام عليه السلام الذي طلب من الباري (عزّوجل): ((**فَأَسْأَلُ اللهَ الَّذِي أَكْرَمَ مَقَامَكَ أَنْ يُكْرِمَنِي بِكَ وَيَرْزُقَنِي**

١ - الاسراء: ٧٩.

٢ - كامل الزيارات: ١٧٧.

طَلَبَ ثَارِكَ))، وقد ذكرنا في بداية البحث عندما يسلّم على الإمام**((السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ثَارَ اللهِ))**[١] فإنَّ إضافة الثّأر إلى الله تعالى يؤكّد أنَّ المختار وغير المختار لم يثأروا حقيقة للإمام الحسين ﷺ وإنَّما ما زال دم الإمام الحسين ﷺ يفور، وما زال ينتظر شخصيّة تتناسب مع الثأر لله تعالى، والله تعالى سيُهيّئ على شاكلة سيّد الشّهداء الحسين ﷺ من يطلب ثأره ﷺ، ويجب أن يكون إمامًا معصومًا؛ وهذا الدّعاء لدعم ذلك القول الأوّل؛ فأنا أطالب بثأر الإمام الحسين ﷺ لكن ليس لوحدي وإنَّما مع إمامٍ منصورٍ من أهل بيت محمّدٍ ﷺ والأئمّة ﷺ بلا شك كلّهم أئمّة منصورون، ولكن لم يملكوا الأمر، وهذه حقيقة أشار لها دعاء الافتتاح حينما يذكر الإمام الحجّة المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشّريف) ويقول: " حَتّى لا يَسْتَخْفِيَ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ، مَخافَةَ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ"[٢]. فإذن الأئمّة ﷺ بحسب موازيننا منصورون لكن لم يكونوا يملكون الأمر كما هو المرجو؛ لظرفهم الخاصّ، ولابُدّ أن يكون هذا الإمام إمامًا منصورًا يملأ قلوبهم الرّعب والخوف، وهذا لا يكون إلّا عن طريق قائم آل محمّد (عجل الله تعالى فرجه الشَّريف).

صفاتُ القائمِ بالثّأر

قال الإمام الباقر ﷺ:« **بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَقَدْ عَظُمَ مُصابِي بِكَ فَأَسْأَلُ اللهَ الَّذِي أَكْرَمَ مَقامَكَ وَأَكْرَمَنِي بِكَ أَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثارِكَ مَعَ إِمامٍ مَنْصُورٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. اللهُمَّ اجْعَلْنِي عِنْدَكَ وَجِيهاً بِالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي الدُّنْيا وَالآخِرةِ**»[٣]،

هناك قيود أرجو الالتفات إليها جيّدًا ذكرها الإمام ﷺ في هذه الفقرة من الزّيارة؛ ومنها: أن يرزقني طلب ثأرك أوّلًا، مع إمام ثانيًا، منصور ثالثًا من

١ – كامل الزيارات: ١٧٧.

٢ – مصباح المتهجّد وسلاح المتعبّد، الطوسي، محمد بن الحسن(ت٤٦٠ هـ)، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، الأولى: ٢: ٧٧٥

٣ – م .ن:٢، ٧٧٤.

أهل البيت؛ وهذه القيود الثلاثة لا تنطبق إلّا على شخصية واحدة وهي شخصية الإمام الحجة المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشّريف)، ولاحظوا، إمام، منصور، من أهل بيت محمد؛ فالإمام واضح المقصود؛ والإمام منصب إلهي يطلق على من يترأّس على جهة تنقاد معه، والقرآن الكريم يُشير إلى هذه الحقيقة: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾[1]، ولفظة الإمام لا تنطبق دائماً على الرّجل المعروف بالخير، وإنّما هنا يقصد المنصب الإلهي بالمعنى الشّرعي؛ أي إمام منصّب من الله سبحانه وتعالى فهو إمام بهذه القيود؛ وهذا الإمام ليس فقط منصب، بل يكون منصورًا؛ والنصرة لا تخصّ هذا الإمام فقط الذي يطالب بالثّأر، بل يشمل بقيّة الأئمّة؛ فهم منصورون؛ ولكن هنا النّصر يشير إلى شيءٍ آخر وحقيقة أخرى، وبتعبير آخر لم ينقل لنا التاريخ أنَّ هناك إمامًا من الأئمّة في مورد من الموارد قال لا أدري، إطلاقًا، ولم ينقل لنا التاريخ أيّ كلمة عن الأئمّة بقوله لا أدري، فالإمام دائماً وأبدًا يكون منصورًا؛ بل أكثر من ذلك إنَّ الأئمّة يكونون منصورين في الواقع حتى في مواقف المعاجز وموارد إلفات نظر الناس إليهم.

عن كافور الخادم؛ قال: كان في الموضع مجاور الإمام من أهل الصّنائع صنوف من النّاس، وكان الموضع كالقرية، وكان يونس النّقاش يغشى سيّدنا الإمام ويخدمه، فجاءه يوماً يرعد، فقال له: يا سيّدي، أوصيك بأهلي خيرًا. قال: وما الخبر؟ قال: عزمت على الرّحيل. قال: ولِمَ يا يونس؟ ـ وهو يتبسّم قال يونس: ابن بغا وجّه إليّ بفصّ ليس له قيمة، أقبلت أنقشه فكسرته باثنين، وموعده غدًا وهو موسى بن بغا، إمّا ألف سوط أو القتل.

قال: امض إلى منزلك، إلى غد فرج، فما يكون إلّا خيراً؟

١ – الاسراء: ٧١.

فلـمّا كان مـن الغـد وافى بكـرة يرعـد، فقـال: قـد جـاء الرّسـول يلتمـس الفـص. قـال: امـض إليـه فـما تـرى إلَّا خـيراً. قـال: ومـا أقـول لـه، يـا سـيّدي؟ قـال: فتبسّـم وقـال: امـض إليـه واسـمع مـا يخـبرك بـه، فلـن يكـون إلَّا خـيراً. قـال: فمـضى وعـاد يضحـك. قـال: قـال لي، يـا سـيّدي: الجـواري اختصمـوا، فيمكنـك أن تجعلـه فصّـين حتـى نُغنيـك. فقـال الإمـام: اللهـمّ لـك الحمـد إذ جعلتنـا ممّـن يحمـدك حقّـاً، فـأيّ شيء قُلـت لـه؟ قـال: قُلـت: أمهلنـي حتـى أتأمّـل أمـره كيـف أعملـه. فقـال: أصبـت.

هـذه المواقـف في حيـاة الأئمّـة عليهم السلام كثـيرة فدائـمًا الأئمّـة عليهم السلام هـم المنصـورون؛ والمقصـود مـن النّـصرة اسـتتباب الأمـر للإمـام الحجـة (عجـل الله فرجـه) لنـصرة عسـكريّة وتمكّنـه مـن الأمـر بـلا منـازع، فهـذا إمـام منصـور مـن أهـل بيـت النّبـي صلى الله عليه وآله ينحـصر مصداقـه في شـخصيّة الإمـام المهـدي (عجـل الله فرجـه الشّريـف)؛ والإنسـان عندمـا يقـف عنـد الإمـام الحسـين عليه السلام ويتفاعـل مـع الزّيـارة بالبيـان الـذي ذكرتـه الزيـارة لابُـدَّ أن يطلـب طلبًـا يتـلاءم مـع فقـرات الزيـارة التـي ذكرهـا كـما قلنـا؛ وكذلـك يطلـب أن يرزقـه الله سـبحانه وتعـالى داراً، وزوجـة صالحـة، ومـالًا، وكلّ هـذه الأمـور جيّـدة، وهنـاك روايـات كثـيرة في ذلـك لكـن الموقـف الـذي يقفـه مـع الإمـام الحسـين عليه السلام، وهـذه المقدّمـات التـي ذكرناهـا لا تتناسـب أن يدعـو الإنسـان بدعـاء دنيـويّ صغـير، فهـذا ممكـن أن يدعـو لهـا في مـكانٍ آخـر.

إنّ زيـارة الإمـام الحسـين عليه السلام توفيـق ونعمـة مـن الله تعـالى؛ وخاصّـة إذا اسـتحضر مظلوميـة الإمـام الحسـين عليه السلام؛ وهـو في حالـة تعـب وبـذل الجهـد؛ فهنـا حينـما يريـد أن يدعـو لا بُـدّ أن يسـتغل الفرصـة، ويدعـو بـما دعـى بـه الإمـام الباقـر عليه السلام، وأن يطلـب التّوفيـق إلى طلـب ثـأر الإمـام الحسـين عليه السلام مـع إمـام منصـور مـن أهـل بيـت محمـد صلى الله عليه وآله.

الوجاهةُ الحسينيّةُ

ثم قال عليه السلام: ((**اللهُمَّ اجْعَلْنِي عِنْدَكَ وَجِيهاً بِالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة**))[1].

وهنا الفقرات تُبيّن التَّرابط القوي والوشيج بين فقرات الزّيارة؛ وقبل أن نُبيّن ذلك نشير إلى مضمون الدّعاء: اللهم اجعلني وجيهًا في الدّنيا والآخرة؛ فقد جعلنا هذه الكلمة والجملة الاعتراضية (**اللهم اجعلني وجيهاً عندك بالحسين**) فالسؤال هنا بكرامة الإمام الحسين عليه السلام، وبدم الحسين، وبشيبة الحسين، وبمصيبة الحسين أن تجعلني وجيهاً في الدّنيا والآخرة، وهذا المعنى ينسجم مع المعنى الذي قبله.

إنَّ الوجاهة أمر محبوب وكل إنسان يتمنى في داخله أن يكون له شأن في هذه الحياة الدّنيا؛ وهناك أناس في متن الحدث وأناس على هامش الأحداث، وكل إنسان يرغب أن يكون في متن الأحداث وأن يكون وجيهاً لكن وفق الشّريعة المقدّسة، وأن تكون دائماً وأبداً طلباتنا ناظرة إلى جهة الرّضا الإلهي؛ أي ليس عندنا هناك دعاء مختصّ بالدّنيا فقط مع غضّ النّظر عن الآخر؛ فالدّعاء بالمحرّم لا يجوز؛ لأنّه مرتبط بالآخرة؛ ومثال ذلك قد يكسب الإنسان مالاً بالحرام ويتمتّع في الدّنيا بهذا المال، لكنه في الآخر ليس له حظّ أو نصيب من ذلك المال؛ والعكس قد يكون في جهنّم؛ وتقول: ((**اللهُمَّ اجْعَلْنِي عِنْدَكَ وَجِيهاً بِالْحُسَيْنِ**)) فهناك ترابطٌ، وعندما تقدّم الإمام الحسين عليه السلام قبل الحاجة لابُدَّ أن تكون الوجاهة مؤطّرة بالإطار الشّرعي.

بعض الناس حازوا على الوجاهة إمَّا بسبب المال أو السّلوك أو له حظّ في التّأثير على الآخرين بمقدار ما يحيط به؛ وهنا لابُدَّ أن تستغل هذه الوجاهة

١ – مصباح المتهجد وسلاح المتعبد:٢، ٧٧٤.

لأمور، منها:

السّعي لإحياء شريعة سيّد المرسلين ﷺ بكلّ ما تعني الكلمة من معنى، والسّعي لقضاء حوائج الناس؛ عن علي بن الحسين عليه السلام قال: خرج الحسن يطوف بالكعبة فقام إليه رجل فقال: يا أبا محمد إذهب معي في حاجتي إلى فلان. فترك الطّواف وذهب معه، فلمّا ذهب خرج إليه رجل حاسد للرجل الذي ذهب معه، فقال:

يا أبا محمد تركت الطّواف، وذهبت مع فلان إلى حاجته؟ قال: فقال له الحسن عليه السلام: وكيف لا أذهب معه؟ ورسول الله ﷺ قال: من ذهب في حاجة أخيه المسلم فقضيت حاجته كتبت له حجّة وعمرة وإن لم تقض له كتبت له عمرة. فقد اكتسبت حجّة وعمرة ورجعت إلى طوافي[1].

حتّى في هذا المقدار يستغل الجاه بقضاء حوائج النّاس؛ فقد يمتلك الإنسان الجاه ولكن يستغله لوضعه الشّخصي فقط؛ وسوف يحاسب الإنسان على هذه الأرزاق، فالرّزق قد لا يتقوّم بالمال وإن كانت الأموال جزءًا من الرّزق؛ لكن هناك أرزاق لا تأتي بمال، وعندما تثق الناس بك فهذا لا يأتي بالمال، وعندما تتهيّأ لك ظروف أن تخدم الآخرين فهذه لا يتهيّأ بالمال، وإنّما هذا رزق ساقه الله إليك، أو جعلك الله تعالى في هذا المحل؛ ليرى الله تعالى ماذا تصنع بهذا الجاه، وسيحاسب الإنسان في يوم القيامة عن كلّ حركة صغيرة وكبيرة، ﴿**مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا**﴾[2]، والقصد من كل ذلك أن يقف الإنسان عند الإمام الحسين عليه السلام، ويطلب أن يكون وجيهاً في

---

١ - ترجمة الإمام الحسن عليه السلام/ ابن عساكر / ص ١٥١. تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت: ١٧٥هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م: ١٣ صفحه: ٢٤٨.

٢ - الكهف: ٤٩.

الدنيا، ومنحه لا يكون للكل وإنّما لأشخاص تتوفر فيهم صفات خاصّة.

لقد مرَّت علينا ظروف صعبة في النّظام السَّابق، وكان بعض الشّخصيات عنده جاه وبسبب ذلك الجاه يتدخل من أجل إحياء شعيرة مقدّسة، أو يتدخّل من أجل دفع الظّلم عن المؤمنين؛ وهذا عمل صالح وأجره على الله تعالى، وهذه وجاهة كانت تصب في خدمة سيّد الشّهداء عليه السلام، وهناك وجاهة في الآخرة **((اللهُمَّ اجْعَلْنِي عِنْدَكَ وَجِيهاً بِالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة))**.

وتبقى الإشارة أنّ أهل الآخرة أيضاً يتفاوتون في مقاماتهم، وهناك روايات تؤكد هذه المعاني، وأنَّ في الآخرة وجاهات وتفاوت في الطّبقات، وهناك طبقات دنيا من الجنان، وهناك طبقات عليا من الجنان، والإنسان إذا كان يطلب لابُدّ أن تكون همّته عالية.

البعض يتحدّث ويطلب ويريد الجنّة والتّخلص من نار جهنّم، لكن مستوى هذا الطّموح يتّسم صاحبه بالهمّة الفاترة؛ لذلك ينبغي أن تكون همّة الإنسان الجلوس مع الصّدّيقين، ومع الأنبياء، ومع الشّهداء؛ فإن جاءت ففضل من الله تعالى، وإن لم تجئ فهو يبقى في الجنة، ولكن في مرتبة أدنى.

إنّ الدّعاء بطلب وجاهة في الآخرة مرتبة أدنى من حشره مع الأنبياء ومع الصّدّيقين ومع الشّهداء صلوات الله عليهم؛ فهذه طبقة خاصّة يمكن للإنسان أن يدركها؛ فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: **((من شرفت همّته عظمت قيمته)**[1]؛ وهذه الهمّة في نفوسنا جميعًا موجودة؛ لكنّها تتفاوت بتفاوت الدّرجة؛ والمهم أنَّها عندما تكون تحت سيطرتنا ينبغي استغلالها والاستفادة منها في تحقيق وجاهة في الدّنيا بالمقدار الذي ذكرناه، أو وجاهة في الآخرة بالمعنى الذي نطلبه

١ - غرر الحكم ودرر الكلم، التميمي الآمدي، عبد الواحد بن محمد(ت: ٥٥٠هـ)، دار الكتاب الإسلامي، قم١٤١٠هـ، الثانية، ح٨٣٢٠.

مـن الله ونحـن بجـوار سـيّد الشّـهداء عليه السلام.

خلاصـة المطلـب إنَّ الإنسـان عندمـا يوفّـق ويـزور الإمـام الحسـين عليه السلام لا بُـدَّ مـن جعـل دعائـه يتناسـب مـع هـذه الوقفـة، وأن يتفاعـل مـع الزّيـارة، ويُبـيّن مصائـب أهـل البيـت عليهم السلام، وليـس مـن المناسـب طلـب حاجـات الدّنيـا؛ فهـذه المقدمـة التـي ذكرناهـا لا تتناسـب مـع هـذا تفريـع الإنسـان بطلـب حفنـة قليلـة مـن المـال، ولكـن مـا يناسـب هـذا الدّخـول إلى الزيـارة البقـاء في جـوّ الإمـام الحسـين عليه السلام، وطلـب الثّـأر للإمـام الحسـين عليه السلام مـع ذلـك الإمـام المنصـور الـذي يكـون مـن أهـل البيـت عليهم السلام وأن أكـون وجيهًـا في الدنيـا، ووجيهًـا في الآخـرة، وعـلى كلّ حـال تبقـى زيـارة عاشـوراء منهجًـا لنـا في كيفيـة التّعامـل مـع الإمـام المعصـوم عليه السلام.

نسـأل الله سـبحانه وتعـالى أن نتوفّـق إلى أن نثـأر للإمـام الحسـين عليه السلام مـع إمـام منصـور مـن أهـل بيـت النّبـي صلى الله عليه وآله، ونسـأله تبـارك وتعـالى أن يرزقنـا وإيّاكـم بالحسـين عليه السلام، ويجعلنـا وجهـاء في الدنيـا حتـى نتمكـن مـن قضـاء حوائـج النـاس، وقـد ورد في كثـير مـن الأخبـار: ((**إِنَّ حَوَائِـجَ النَّـاسِ إِلَيْكُـمْ نِعْمَـةٌ مِـنَ اللهِ عَلَيْكُـمْ فَاغْتَنِمُوهَـا فَـلَا تَمَلُّوهَـا فَتَتَحَـوَّلَ نِقَـما**))[1].

١ – عيون الحكم والمواعظ: ١٥٨.

المبحث الرابع

التَّبرّي والمعارفُ الحسينيّة

قال الإمام الباقر عليه السلام: « **يا أَبا عَبْدِ الله إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلى الله وَإِلى رَسُولِهِ وَإِلى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِلى فاطِمَةَ وَإِلى الحَسَنِ وَإِلَيْكَ بِمُوالاتِكَ وَبِالبَرائَةِ مِمَّنْ قاتَلَكَ وَنَصَبَ لَكَ الحَرْبَ وَبِالبَرائَةِ مِمَّنْ أَسَّسَ أَساسَ الظُّلْمِ وَالجَوْرِ عَلَيْكُمْ، وَأَبْرَأُ إِلى الله وَإِلى رَسُولِهِ مِمَّنْ أَسَّسَ أَساسَ ذلِكَ وَبَنى عَلَيهِ بُنْيانَهُ وَجَرى فِي ظُلْمِهِ وَجَوْرِهِ عَلَيْكُمْ وَعَلى أَشْياعِكُمْ، بَرِئْتُ إِلى الله وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ وَأَتَقَرَّبُ إِلى الله ثُمَّ إِلَيْكُمْ بِمُوالاتِكُمْ وَمُوالاةِ وَلِيِّكُمْ وَالبَرائَةِ مِنْ أَعْدائِكُمْ وَالنَّاصِبِينَ لَكُمْ الحَرْبَ وَبِالبَرائَةِ مِنْ أَشْياعِهِمْ وَأَتْباعِهِمْ.**

إِنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سالَمَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حارَبَكُمْ وَوَلِيٌّ لِمَنْ وَالاكُمْ وَعَدُوٌّ لِمَنْ عاداكُمْ، فَأَسْأَلُ الله الَّذِي أَكْرَمَنِي بِمَعْرِفَتِكُمْ وَمَعْرِفَةِ أَوْلِيائِكُمْ وَرَزَقَنِي البَرائَةِ مِنْ أَعْدائِكُمْ أَنْ يَجْعَلَنِي مَعَكُمْ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَأَنْ يُثَبِّتَ لِي عِنْدَكُمْ قَدَمَ صِدْقٍ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ»[1].

نهضة سيّد الشّهداء الإمام الحسين عليه السلام جديرة بالتّأمّل على مدار السّنة؛ لأنّ الظّروف التي زامنت واقعة عاشوراء -أي ما قبلها وما بعدها- في غاية الأهمّيّة، ولعلّ الإنسان كلّما اطّلع عليها ازداد وعيًا، فقضيّة كربلاء في غاية الأهمّيّة، وأنتم تعلمون أنَّ الرّوايات تقول: ((**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ مِنَ الضَّعِيف**))[2]، والقوّة هنا لا تعني القوّة البدنيّة وإنّما المؤمن القويّ يعني القويّ في إيمانه، والإيمان يُمكن أن يتفاوت عند المؤمنين، والإيمان مراتب، فهناك شخصٌ مؤمنٌ، وهناك شخصٌ أكثر إيمانًا منه، وواقعة عاشوراء فيها جانب تربويّ؛ وتكمن التّربية أنَّ الإنسانُ المؤمن قد يرى نفسه مؤمنًا قويًّا لكنّه في الواقع أقلّ قوّةً ممّا يتصوّر، فيحتاج إلى تجربةٍ في ذلك، ويحتاج إلى فتنةٍ تُظهر له معدن الإيمان، وواقعةُ الطّفّ

١ - مصباح المتهجد: ٥٧٧

٢ - ينظر: مجمع البحرين: ١/ ٣٥٢.

تصلح من هذه الجهة؛ بل تصلح لأشياء كثيرة، ولكن أنا أتحدّث من هذه الجهة أنَّها تصلح للإنسان إذا اطّلع عليها بشكلٍ ووقَفَ على كلِّ مجرياتها، وتصلح أن تكون جهةً اختباريّة للإنسان المؤمن.

الابتلاءُ وكشفُ الحقائق

إنَّ الظّروف الصّعبة التي زامنت الواقعة حقيقةً كانت ظروفًا قويّة وقاهرة، وشدّة الابتلاء التي كانت فيها أيضًا شديدةً جدًّا، وأنتم تعلمون أنَّ التأريخ يُعيد نفسه، وأنّنا بين فترةٍ وأخرى نعيش ظروفًا شبيهة بظروف الواقعة، وقد يتبدّل الأشخاص ولكن معركة الحقّ ضدّ الباطل مسألةٌ مستمرّة، وستبقى إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها.

قد يضعف الإنسان في بعض الأحيان بعد العلم بالحقّ عن مجابهة الباطل، ويحاول أن يكسب سنواتٍ إضافيّة إلى عمره ولكن هو يعرف أنَّ الحقَّ مشخّص، وللإمام الصادق عليه السلام حديث مع بعض أصحابه يُبيّن مسألة الفتن وما يُمكن أن يحيط بالإنسان من هذا التّدليس، فكان أحدُ أصحابه يُحاول أن يُبيّن للإمام عليه السلام أنّنا سنحتار إذا كانت هناك فتن كثيرة، والإمام عليه السلام أشار إلى الشّمس وقال: ((**أَمْرُنَا أَبْيَنُ مِنْ هَذِهِ الشَّمْس**))[1].

مُقتضى القاعدة إنَّ الله تعالى يُريد منّا حقًّا واتّباع الأدلّة على هذا الحقّ، وليس من عذر للإنسان إذا لم يسعَ للحقّ بدعوى أنَّه كان عليّ تلبيس، وإنَّما واجبُك أن تكشف القناع وواجبُك أن تعرف الحقّ، وإلّا على طول الدّهر توجد مشاكل، وتوجد فتن، وتوجد صعاب، كما ورد عن أبي عبد الله الصّادق عليه السلام: ((**لَوْ أَنَّ مُؤْمِناً كَانَ فِي قُلَّةِ جَبَلٍ لَبَعَثَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ مَنْ**

١ - الكافي: ١/ ٣٣٩.

يُؤْذِيهِ لِيَأْجُرَهُ عَلَى ذَلِك))[1]، فالأذيّة لا لأنَّ المؤمن رخيص عند الله بالعكس ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِين**﴾[2]، ولكن زيادة رفعة المؤمن عن طريق ما يكسب من منزلة عن طريق الاختبار، وإلّا ليس من السّهل أن يقول الإنسان: أنا على خير وهو لم يُفتتنْ، ففي الفتنة وفي معركة الحقّ والباطل تُكشف سريرة الإنسان، وتُكشف قوّة الإيمان عنده.

لذلك تجدون في هذه الزيارة عبارات شديدة.

هذه الزيارة من إنشاء الإمام الباقر عليه السلام، وتوجد زيارات أخرى قبل زيارات الإمام الحسين المطلقة والخاصّة بعضها يُنسب للإمام الصّادق عليه السلام وبعضها مثل الزّيارة الجامعة من إنشاء الإمام الهادي عليه السلام؛ لكن من خصائص زيارة عاشوراء أنَّها تشتمل عبارات قويّة؛ وخاصّة في الموارد التي يعلن فيها البراءة من الأعداء والسلم لِمَنْ سالَمهم.

فلسفةُ البراءةِ

لاحظوا مسألة البراءة كما نقرأ في بدء هذه السورة: ﴿**بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ**﴾[3]، وهذه البراءة من الله تعالى؛ لأنّه لابُدّ أنّ هؤلاء جاءوا بشيءٍ ولا أقول يُنافي الرحمة فقط وإنَّما لا تُبدأ هذه السّورة بالرّحمة ولا تبدأ بـ(**بسم الله الرحمن الرحيم**)، فقد جاءوا بشيء يستحقّ العقوبة، نعَمْ.. الله رحيم وقلنا بمقتضى ثقافة أهل البيت عليهم السلام أنَّ رحمته سبقت غضبه، والإنسان له يُمكن أن يتصرّف تصرّفات يحلّ عليه الغضب، فالله تعالى في القرآن الكريم يُرينا بعض المقاطع والصور التي حلّ بها الغضب الإلهيّ، وعلى سبيل المثال قوم لوط الذين لم

١ - علل الشرائع: ١/ ٤٤، وسائل الشيعة: ١٢/ ١٢٣.
٢ - المنافقون: ٨.
٣ - التوبة: ١.

يستجيبوا لدعوة لوط ولا لدعوة إبراهيم(عليه السلام)، وبقيت حالة العناد والعصيان مستحكمة عندهم، فكانت النّتيجة أنَّ الله تعالى جعل عاليها سافلها.

وكذلك لم يؤمن فرعون بموسى(عليه السلام) على الرغم من جميع الآيات التي جاء بها موسى وهارون، وبدأ يتحدّى موسى بزعمه أنّ هذا الجيش الذي عنده قادر على أن يهزم موسى(عليه السلام)، والله تعالى عندما أهلك فرعون جعله آيةً: ﴿**فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً**﴾[1]، فأراد الله تعالى أن يُبيّن حالة الانتقام من أمثال هؤلاء، مثلاً النبيّ نوح(عليه السلام) لبثَ في قومه ألف سنة إلّا خمسين عاماً، (٩٥٠) سنة كان يدعو قومه، ولكن هؤلاء تجبّروا، وطغوا، وبدأوا يستهزئون بالنبيّ نوح(عليه السلام)، بحيث لا يتحمّلون كلامه مع أنَّ كلام نوح كان من أجل هدايتهم؛ ليعلمهم كيف يعيشون في الدّنيا حتّى يستفيدوا من نعيم الآخرة، والنّتيجة هي أنّ المعيشة نفسها للصالح والطالح، وهؤلاء يأكلون؛ سواء كانوا من المؤمنين أو الكافرين، ويشربون ويسكنون في الدّنيا؛ ولكن هذا له حساب وهذا له حساب، فأراد نوح(عليه السلام) إرشادهم إلى ما فيه صلاحُهم، ولكنّهم جعلوا أصابعهم في آذانهم لا يريدون أن يسمعوا من نوح(عليه السلام)، وكانت العاقبة أنَّ الله تعالى أباد هؤلاء وجعل جيلاً جديداً عندما ملأ الطّوفانُ الأرض.

أراد الإمام الباقر(عليه السلام) أن يُلفت نظرنا إلى أنَّ هؤلاء صنعوا في واقعة الطّفّ أمرًا كبيرًا استوجبوا بسببه اللعن، والقرآن الكريم مشحونٌ بعبارات اللّعن وهناك أكثر من أربعين آية استعملت اللعن، ولكنّها تلعنُ مَنْ يستوجب اللّعن؛ وهو الذي يجيء بفعلٍ خلاف ما أراده الله تعالى، فيقتل الأنبياء، ويعصي الله تعالى، ويقتل أبناء الأنبياء، ويحرّف الكلمَ عن مواضعه: ﴿**قَاتَلَهُمُ**

١ - يونس: ٩٢.

اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[1]، فالله تعالى يأتي بالحقّ وهم يحرّفونه ويأتون بالباطل.

وكذلك يُبيّن الإمام عليه السلام أنَّ هؤلاء مجموعةٌ من عُتاة البشر ظلموا سيّد الشّهداء عليه السلام ظلماً لا مثيل له به وبعيالاته، وقد تكون النّاس في غفلةٍ من ذلك، وهذا يعني أنَّ الناس عندما يقرؤون المشهد للتاريخ السّطحيّ، أوعندما يقرأ شخصٌ المقتل يرى أنَّ المعركة كانت عاديّة جدّاً، فاز فيها جماعةٌ، وخسر فيها آخرون، ولكن المشهد ليس كذلك؛ وإنَّما المشهد الحقيقي أنَّ هناك أمرًا حدث في واقعة الطّفّ وهو كبير عند الله تعالى، ولذلك هذه الزّيارة مشحونة بعباراتٍ قويّة تُبيّن أنَّ الله تعالى والملائكة والسماوات كلّها حزنت على سيّد الشهداء عليه السلام، والنّتيجة إذا كانت هذه الأشياء حزنت على سيّد الشهداء عليه السلام إذن ما هو عِظَم الجُرم الذي حصل؟ لا شكّ أنَّ هذا الجرم الذي حصل يستوجبُ منّا أن نبرأ إلى الله تعالى من هذا الفعل وما هو على شاكلته.

أصالةُ مدرسةِ أهلِ البيت عليهم السلام

إنَّ قضيّة الإمام الحسين عليه السلام منهجها واضح جدّاً، ولاحظوا ما يقوله الأئمّة عليهم السلام، ونحن نعتقد أنَّ مدرسة أهل البيت عليهم السلام تبدأ من أمير المؤمنين إلى الإمام الحسن العسكريّ عليهم السلام وهم أئمّةٌ بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، والإمام الحسن العسكريّ قبيل شهادته كان عنده الإمام المهدي(عجل الله تعالى فرجه الشريف)، والإمام المهديّ لم يمتْ وإنّما هو حيٌّ يُرزق إلى أن يشاء الله تعالى بأن يكحل أعيننا وأعينكم بظهوره المبارك، فهؤلاء أئمّةٌ اثنا عشر إماماً بعد النبيّ، وهذه عقيدتُنا.

وتأملوا أنَّ كلّ إمامٍ من الأئمّة خصَّ سيّد الشهداء عليه السلام بمجموعة من الذّكر، إمّا عن طريق السّلوك الخاصّ أو الأحاديث التي يتحدّث بها عن

١ - التوبة: ٣٠.

سيّد الشّهداء عليه السلام، ودائماً العبارات مؤثّرة عن الإمام الحسين عليه السلام: فتارةً الحثّ على الزيارة، وتارةً الحثّ على البكاء، وتارةً الحثّ على عقد المجالس، فمثلاً الإمام الرضا عليه السلام يُبيّن أنَّ قتل الإمام الحسين عليه السلام قد أقرَحَ جفونهم من كثر البكاء، والناس تُقتل على مرِّ التّاريخ، ولكن أن يُقتل الإمام الحسين عليه السلام فيها أكثر من عنوان، والعنوان الأوّل أنَّ الإمام الحسين عليه السلام بما هو إمام لا يوجد مبرّر حقيقيّ لقتله؛ وهو ابنُ بنت من نفخر أن يكون نبيّنا، ومع ذلك نتجرّأ على عترته وعلى ولدِه وابن بنته ونتجرّأ على قتله.

الإمام الحسين عليه السلام هو إمام معصوم وقد أخلف النّبيّ صلى الله عليه وآله وهو الإمام بعد الإمام أمير المؤمنين والإمام الحسن عليهما السلام، فهناك جنبة غير مربوطة بالأرض، فمعنى الخلافة -خلافة الإمام- قضية غير متعلقة بالأرض وإنَّما هذا أمرٌ من السماء، وهذا الجانب من الاعتداء لا يقتصر على الجهة الأرضيّة بل اعتداءٌ على السّماء.

والإمام الباقر عليه السلام يُلفت نظرنا، ويقول بمعنى: بأنَّ منصب الإمامة منصبٌ سماويّ، فالله - تبارك وتعالى- والسماوات ومَنْ فيها والسكّان يبكون، لأنّ هذه حصّة سماويّة -التفتوا-، الإمام من هذه الجهة كالنبيّ؛ لأنّ النبيّ يُبعث إلى قومٍ، ويرى الوحي، والإمام كمنزلة كما يقول النّبيّ في الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ((**أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**))[1] وهارون كان نبيّاً، قال: ((**إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**))، لكن هذه المنزلة -منزلة الإمامة- منزلة هائلة مرتبطة بالسماء، والإنسان ليس من حقّه أن يقول «**أنا إمام**» فهذه دعوى، لكن لكونه إماماً ومنصّباً من قِبل الله - تبارك وتعالى- وهؤلاء يأتون ويحاولون أن يقتلوا الإمامة، فتأمّلوا الجريمة التي حدثت.

١ - الكافي: ٨، ١٠٧.

قتلُ الإمامةِ

ولذلك هذه الجريمة تنطبق على ما لاقى بقيّة الأئمّة عليهم السلام ابتداءً من الإمام الصّادق عليه السلام الذي هو أكبرهم سنًّا إلى الإمام الجواد عليه السلام؛ والظّالم لا يتجرّأ أن يقتل شخصًا عاديًّا وإنّما يقتل الإمامة، وهذه الإمامة هي وضعٌ إلهيّ، والذي حدث في عاشوراء ليس أمراً سهلاً، وقد يكون الناس في غفلة فبدأ الأئمّة عليهم السلام يحثّون الناس على إحياء عاشوراء بكلّ ما أوتوا من لسانٍ وظرف، وأصبحت كربلاء ومرقد سيّد الشهداء عليه السلام لها شأنيّة خاصّة، فالإمام عندما يقول: إنّ الدّعاء تحت قبّته مستجاب، ومما لا شكَّ فيه أنَّ الإنسان يدعو الله تعالى في كلّ مكانٍ وزمان والله لا يحتجب عن خلقه، ولكن الشارع المقدّس ندب إلينا أمكنةً أنَّ الدعاء فيها يكون أكثر تأثيراً؛ مثل الدعاء عند مكّة المكرمة وهي بيت الله الحرام، وكذلك حين يوفّق في الذَّهاب إلى الحجّ والعمرة والطلب من الله تعالى هناك له مدخلية في الاستجابة، وبعض الرّوايات تُصرّح وتُشير وتقول: يرجع كما ولدته أمّه، وهكذا الدّعاء عند روضة سيّد الأنبياء والمرسلين النبيّ صلى الله عليه وآله، وداخل المساجد، إضافة إلى باقي الأضرحة المطهّرة، لكن الخصوصيّة أنَّ الدّعاء تحت قبّته مستجاب؛ وهنا إشارة إلى شدّ الرّحال حتّى تدعو الله عند سيّد الشّهداء إظهارًا لبعض منزلته عليه السلام، والأئمّة عليهم السلام يُشجّعون على الإكثار من التّواصل مع سيّد الشّهداء عليه السلام، بل البعض يشكو للإمام عليه السلام قائلًا: شُقّ بيني وبين الإمام الحسين عليه السلام، أيْ أنّه بعيد خصوصاً في الأزمنة السّابقة، والإمام عليه السلام لا يعفيه قال: اصعد إلى السّطح وتوجّه إلى سيّد الشهداء عليه السلام وقل: «صلّى الله عليك يا أبا عبد الله»، هذا الحثّ والكم من أحاديث الأئمّة لسيّد الشهداء عليه السلام دليل

على أهمّيّة زيارته، وجاء بعدهم العلماء وأيضاً نصبوا مجالس العزاء إلى يومنا هذا على أبي عبدالله الحسين عليه السلام.

هناك خصوصيّة موجودة عند الإمام الحسين عليه السلام، في بعض الحالات ونحن قد لا نُدرك جميع أبعادها، ولكن ما نشاهده بالحسّ الملموس أنّ قضيّة سيّد الشّهداء عليه السلام فيها جانبان في غاية الأهمّيّة:

الجانب الأوّل: كانت مدعاة لهداية كثيرٍ من النَّاس إلى الصّيام والصّلاة وباقي الفرائض والعبادات، فقد يكون الإنسان مؤمنًا لكنّه كلّما نظر إلى سيّد الشّهداء عليه السلام أحسّ بهذه الحالة الرّوحانيّة التي تشدّه إلى واقعيّة الدِّين.

الجانب الثّاني: أصبح سيّد الشّهداء عليه السلام مائزًا للطواغيت، فلا تجد طاغوتًا ظالماً يحبّ سيّد الشهداء عليه السلام مع أنّه لم يشترك في قتله، وأقصد هنا الشّراكة البدنيّة؛ فطاغوتٌ مولودٌ بعد مائتي أو ثلاثمائة سنة بعد الإمام، لكن عندما يأتي ذِكر الإمام الحسين عليه السلام يهتزّ وكأنّ الإمام الحسين عليه السلام لا يزال يقضّ مضجع هذا الطّاغوت، ويقول: له أنت ظالم، وحقيقة الأمر أنَّ الإمام الحسين عليه السلام أعطانا صورة واضحة وأفرز الطواغيت من غير الطواغيت، ويمكن لنا أن نسأل ما الضرر من ذهاب شخص إلى سدرةٍ تظلّل قبر سيّد الشهداء عليه السلام أو بجنب قبر سيّد الشهداء عليه السلام فيأتي ذلك الظالم، ويجتثّها؟ هل لأنَّ هؤلاء يجتمعون تحت السدرة يستظلّون بها، ويأتون شتاءً وصيفاً فيستظلّون تحت هذه السدرة للراحة ويستذكرون قضيّة الحسين عليه السلام؟

البعض يعتقد أنَّ هذه المسألة ليست لها أهمّيّة، ويقول: ما يضرّ ذلك الظّالم؟

نعم إنَّ ذلك يؤذي الظالم؛ وإلّا لما كان يُقدم على هذه القضيّة، وعشراتٌ من بعده يحاولون دائمًا أن يمنعوا، وأن يُحاربوا، وأن يُضيّقوا، وأنت تتأمّل لماذا هؤلاء يفعلون هكذا.

إنَّ هذه القضيّة خارجة في بعض الأوقات عن الحسابات؛ فالإمام الحسين عليه السلام مصباحُ الهدى لنا -كما يقول النّبيّ- والنّبيّ لا يتحدّث جزافاً، فقوله: ((**إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النّجاة**))[1]، له دلالته، فمصباحُ الهدى يعني في كلّ زمانٍ وأوانٍ يهديك إلى الحقّ، وإذا كان يهدي فكلّ مَنْ يُعادي سيّد الشهداء عليه السلام هو ظالمٌ وضالّ ومنافق، والمسألة ليست محصورة في مَنْ قتله في سنة (٦١هـ)؛ وإنَّما في كلّ زمان هناك منهج الحقّ المنير، ومنهج الباطل المظلم، والإمام الحسين لا يزال ينوّرنا، فلا تُخدعوا بمَنْ يحاول تزييف الحقائق، لأنَّ الدّخول إلى رحاب الإمام الحسين عليه السلام يعطينا الوعي والبصيرة.

تأثيرُ منهجِ المعرفةِ

ثمّ يقول عليه السلام: ((**وَرَزَقَنِي الْبَرَاءَةَ مِنْ أَعْدَائِكُم**))[2]؛ وهنا يتحدّث الإمام عليه السلام في هذه الزّيارة، ويخاطبنا أنّه كلّما أردتم أن تزوروا الإمام الحسين عليه السلام بهذه الزّيارة فهذه صياغتُنا، وأورد هنا البراءة لِعِلَّة معيّنة يمكن معرفتها من خلال الرّجوع إلى سورة براءة، وسوف نلاحظ عند التّدبّر في آياتها أنَّ القرآن الكريم يبدأها بـ ﴿**بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ**﴾[3]، فنعرف من ذلك أنَّ هناك مجموعة من العصاة وقفوا أمام الحقّ ثمّ زوّروا وكذّبوا واتّهموا واختلقوا كلَّ شيء، والنَّتيجة انقلبت القضيّة رأسًا على عقب وتكوّن دينٌ مقلوب، وانتهى ذلك بخداع النّاس، وهذا أخطر شيء، فالإنسان لو رفع هويّةً وقال: أنا كافر أسهل على الناس من أن يرفع هويّةً ويقول: أنا مؤمن وهو كافر، ولعلّ بعض الرّوايات التي نقرأها يقول هؤلاء: عجّلوا بقتل الحسين عليه السلام، لأنّهم لم يُصلّوا في عاشوراء فقط،

١ - مثير الأحزان: ٤.
٢ - م. ن: ١٧٧.
٣ - التوبة: ١.

والإمام الحسين عليه السلام صلّى ومجموعةٌ من صحبه، أمّا الأعداء لم يصلّوا، حتّى أنَّ بعض السّهام وصلت إلى بعض أصحابه واستُشهد وهو يدافع عن الحسين عليه السلام حتّى يُكمل الحسين صلاته، فهؤلاء لم يصلّوا إنّما قالوا: عجّلوا بقتل الحسين عليه السلام حتّى لا تفوتنا الجماعة.

إنَّ هذا المغلوب على أمره والسّاذج والبسيط والذي عاش في ظرفٍ مقلوب كلّه كذب يتوقّع أنّ هؤلاء أيضاً يصلّون، وهذا أكثر خديعة للآخرين، والإنسان ممكن أن يأتي إلى الدين لغرض الدنيا، وهو ليست له علاقة بالدّين أصلاً، ولكن ما دامت حياته وما دامت أمواله وما دام موقعُه يستمرّ بهذه الطّريقة هو يتشبّث بالدّين، وهذا سيّد الشهداء عليه السلام بنفسه يقول: ((**وَالدِّينُ لَعْقٌ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ يَحُوطُونَهُ مَا دَرَّتْ مَعَايِشُهُمْ فَإِذَا مُحِّصُوا بِالْبَلَاءِ قَلَّ الدَّيَّانُون**))[1].

إنَّ الإنسان إذا مُحّص يقلّ الدّيّانون، وليس كلّ من يدّعي الحقّ أصابَه خصوصاً إذا حَمي الوطيس واشتدّت القضيّة، وليس من المعلوم أنَّ الذي كان يدّعي أنّه على حقّ يصبر بل لعلّه يبدأ يتذرّع بذرائع كثيرة، بأنَّ لي أولادًا وأطفالًا وأنا مريض، وكما تعرفون أنّ هذه التعليلات سهلة عند الإنسان لكن واقع القضيّة هو حالة من الرّكون إلى الباطل.

والله تعالى يعلم نوايانا، ويعلم أسرار الناس جميعًا، ويعلم الإنسان من يكون معه ومن يكون ضدّه، ولذلك أحبّ أن أُلخِّص ما ذكرتُ: إنّ قضيّة سيّد الشهداء عليه السلام ليست حدثاً عابراً، وإنّما هي منهج، وقد فرّغ الأئمّة عليهم السلام جزءًا من وقتهم لزيادة هذا المعنى في نفوس الناس، وجميع الأئمّة عليهم السلام بل لعلّه من وظائف الإمام المهدي عليه السلام أنّه هو الطّالب بالثّأر.

إنَّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام لا تمرّ مرّ الكرام وإنّما هي تنبّهُ وتزيدُ عمليّة

١ – تحف العقول: ٢٤٥، بحار الأنوار: ٤٤/ ٣٨٣.

الوعي، فالذي يقرأ يعرف كيف تسير الأمور، وكما قلت التّاريخ يُعيد نفسه دائماً وأبداً معركة حقّ ومعركة باطل، وأصحابُ الحقِّ لا يستطيعون أن يتكلّموا إلّا بالحقِّ، ولا يستطيعون أن يكذبوا أو يدلّسوا، ولكن أهلُ الباطل يكذبون ويدلّسون ويفترون ويدّعون ويزيّفون التاريخ، فعلى مرّ التاريخ هذا منهج وهذا منهجٌ آخر، والإنسان إذا دخل في قضيّة سيّد الشّهداء تتّضح هذه المسألة عنده بشكلٍ واضح جدًّا فلا يُخدع.

ونحن على مرّ الدّنيا ما دمنا في الدّنيا نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجنّبنا الخديعة والضّلال، وأن نكون دائماً على بصيرةٍ من أمرنا، اللهمّ أدخلنا في كلّ خيرٍ أدخلت فيه محمّداً وآل محمّد، وأخرجنا من كلّ سوءٍ أخرجت منه محمّداً وآل محمّد.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يُحيينا حياة النّبيّ، ويميتنا ممات النبيّ وآله بمحمّدٍ وآله، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمّدٍ وآله الطيّبين الطاهرين.

المبحث الخامس

ثمنُ الولايةِ لآلِ محمَّدٍ عليهم السلام

زيارة عاشوراء بوّابة مهمّة للدّخول إلى المعارف الخاصّة بالإمام الحسين ﷺ، فتحها لنا حفيده الإمام الباقر ﷺ، وحاول الأخذ بأيدينا، والوقوف عند ضريح سيّد الشهداء ﷺ مستأذنين إيّاه أن نُردّد كلمات هي عنوان زيارته ﷺ وتصلح أن تكون منهاجًا تربويًّا واسعًا يفتح لنا الكثير من أبواب العلم والمعرفة، ولكن بشرط التّدبّر في هذه الكلمات القدسية المباركة، ولانزال في رحاب سيّد الشهداء ﷺ لنغترف القربات والفضائل من معينه الذي لا ينضب لتهدينا في الدّنيا، وتنجينا في الآخرة.

إنَّ من جملة ما يطلب الزّائر من سيّد الشّهداء ﷺ أن يوفّقه الله سبحانه لأن يكون وجيهًا في الدّنيا، وأن يكون وجيهًا في الآخرة.

إنَّ الوقوف عند سيّد الشّهداء ﷺ مع استحضار مقدِّمات الزّيارة من اعتراف الإنسان بالمقام الكبير للأئمّة ﷺ، والاعتقاد بعصمتهم ﷺ؛ والتّركيز على طلب من الله تعالى يتناسب مع هذا الوقوف المبارك، وهذا الشّيء الذي ذكرناه وهو التّوفيق للطلب بثأر الإمام الحسين ﷺ مع إمام معصوم من أهل بيت النّبي ﷺ وذكرنا أنّ الحصر لا يكون إلَّا في شخص الإمام الحجّة المنتظر (عج)، وبعد ذلك قال الإمام الباقر ﷺ:

((يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ وَإِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِلَى فَاطِمَةَ وَإِلَى الْحَسَنِ وَإِلَيْكَ بِمُوَالاتِكَ وَبِالْبَرَاءَةِ مِمَّنْ أَسَّسَ أَسَاسَ ذَلِكَ وَبَنَى عَلَيْهِ بُنْيَانَه))[1].

ميزانُ القُرْبِ والبُعد

من الأمور المعلومة لديكم أنَّ هناك مجموعة من الأفعال عنوانها في الفقه العبادات؛ والمقصود من هذا العنوان ومن هذا الفعل أنَّه لا يؤخذ إلَّا إذا كان مُعنونًا بعنوان القربة إلى الله تعالى، والمراد من القربة إلى الله تعالى القربة المعنويّة؛ لأنَّ الله تعالى لا يحكمه مكان أصلًا بعدّه خارجًا عن حدود الجسم والجسمانية، ولكن الإنسان يتقرّب إلى الله سبحانه بالصّلاة،

١ - مصباح المتهجد وسلاح المتعبد:٢/ ٧٧٤.

والصّوم، ويتقرب بالحج، ويتقرب بأداء الحقوق الشّرعية، والأمر المعروف، والنّهي عن المنكر؛ والزّيارة الشّريفة تحاول التركيز على هذا القرب؛ وممّا لا شكّ فيه إنّ القرب من الله سبحانه وتعالى والنّبي الأعظم ﷺ وأمير المؤمنين والزّهراء فاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم يعني القرب من مصدر واحد ومنهج واحد؛ عَن أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام: «**شِيعَتُنَا الرُّحَمَاءُ بَيْنَهُمُ الَّذِينَ إِذَا خَلَوْا ذَكَرُوا الله إِنَّ ذِكْرَنَا مِنْ ذِكْرِ الله إِنَّا إِذَا ذُكِرْنَا ذُكِرَ الله وَإِذَا ذُكِرَ عَدُوُّنَا ذُكِرَ الشَّيْطَانُ**»[1]. إنَّ الإنسان عندما يتقرَّب يجب أن يحسن طبيعة التّقرب؛ لا أن يتقرّب بأمور تُبطل ثمرة العمل، وبمعنى آخر إنَّ الإنسان قد يُحاول التّقرّب بشيءٍ مرغوبٍ مثل اسباغ الوضوء والدّخول في الدّار، والصّلاة ركعتين لربّه، وحاول في هذين الرّكعتين الانقطاع إلى الله تعالى، لكنه كان فاقدًا لشرط من الشّرائط عمدًا.

من دون شك إنَّ هذه الصّلاة لا تكون مقرّبة الى الله تعالى، بل قد تكون مبعدة عن الله تعالى؛ فالقربى الى الله تعالى يجب أن تتحدّد وفق إطارٍ خاصٍّ حدّده الله تعالى لنا في كيفية قبول العمل وقربه، أو رفض العمل وكونه مبعدًا للعبد.

وهذا المعنى يتجسّد كذلك عندما يقف عند الإمام الحسين عليه السلام، ويبدأ في سلسلة من موارد القربى، فنتقرّب إلى الله تعالى أوّلاً وإلى رسوله الأعظم محمد ﷺ وإلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، وإلى مولاتنا فاطمة عليها السلام، وإلى سيّد شباب الجنة الحسن والحسين عليهما السلام، وهكذا إلى بقيّة المعصومين عليهم السلام ثانيًا؛ وكلّ هذا قرب إلى الله تعالى، ومن بعد هذا القرب سنرتفع درجة في عالمنا، ونحصل على قربة؛ أي أنَّ الله تعالى إذا رآني في هذا المكان، وأتلفظ بهذه الألفاظ، فإنَّني لا أزال في طاعة الله سبحانه وتعالى، وأنّي أتقرّب إلى الله تعالى، وهذا التّقرّب إلى الله تعالى يتم عن طريق ما تُبيّنه الزيارة المباركة بشيئين مهمّين، وأحدهما يكمل الآخر:

النّقطة الأولى: التّقرّب بموالاته عليه السلام، وهذه العبارة تنصّ على التّقرّب الى الله وإلى وليّه بموالاة الإمام الحسين عليه السلام، وبالبراءة من أعدائه؛ ومسألة التّولّي والتّبرّي يجب

١ - بحار الأنوار :ج ٢٣ / ص٣٦٨.

أن تقرأ من مقاييس شرعية، والإمام الباقر عليه السلام يؤكّد على نقطة الموالاة، ولا أكون مجازفًا في القول إذا قلت إنّ أساس إيمان الإنسان وانتمائه إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام يتوقّف على هاتين الخصلتين وكيفية رسوخهما في قلبه وكيفية التّعامل معهما، وهي مسألة الموالاة للأئمّة عليهم السلام والبراءة ممن ظلمهم وأسّس أساس الظّلم وبنى عليه.

إنَّ الموالاة لا تتحدّد بألفاظ؛ وبقول يا أبا عبد الله إنِّي موالٍ لكم ستحصل الموالاة؛ فالألفاظ لا تحقّق قيمة العمل، وإنّما قيمة العمل تتحدّد بعلاقته وقبوله لدى الله تعالى.

هناك مجموعة من الألفاظ كالإيقاعات، ومثاله حينما يُريد رجل إيقاع الطّلاق لا بُدَّ من تلفّظ الصّيغة؛ وذلك اللفظ كاشف عن تلك النيّة وعن ذلك الفعل؛ وإذا تلفّظ اللفظ طلّق زوجته مع توفّر مجموعة من الشّروط؛ أمَّا في مسألة القربة ومسألة العبادات والأفعال لا تحدّدها لفظة؛ وإنَّما مسألة الموالاة مسألة سلوك ومنهج واستمرارية كما سيأتينا في الزّيارة نفسها، وكلَّما كان الإنسان مواليًا أكثر كلَّما تركّز في قلبه أو تركّزت في قلبه البراءة، وهناك أشبه بالعلاقة الطّردية بينهما من جهة الرّسوخ أو عكسية من جهة الطرد، فكلّما كان الانسان موالياً أكثر كلَّما تتجسّد في نفسه البراءة أكثر؛ وهناك فعلان مهمّان يُحددان هويّة من يلتصق بالأئمّة عليهم السلام فعل البراءة وفعل الموالاة، وتدبّر أنَّ الإمام يتقرب إلى أرفع شيء في الوجود وهو الله تعالى أوّلاً، والنّبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام بأنّه يوالي ويتقرّب إلى الله تعالى بموالاة سيّد الشهداء عليه السلام، ويتقرّب إلى النّبي صلى الله عليه وآله بموالاة سيّد الشّهداء عليه السلام، وإلى أمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام وهكذا فهناك يجب أن يُعطى توازن في النّفس الإنسانية ونفس المؤمن، من خلال عمليّة الموالاة وعمليّة البراءة.

أساسُ التّبرّي

إنَّ الإمام عليه السلام ذكر لنا وبيّن في خصوص التّبرّي مطالب لكن هذا الأساس **(وَبِالْبَرَاءَةِ مِمَّنْ أَسَّسَ أَسَاسَ ذَلِكَ وَبَنَى عَلَيْهِ بُنْيَانَه)**؛ منه ابتدأ الظلم، وأسّس أساسه، و هذا المؤسّس في ظلمه سواء عاصره، أو جاء بعده ورضي بأفعاله، وسار على نهجه؛ لذلك يتوهم من يعتقد أنَّ الإمام الحسين عليه السلام الذي أحدث واقعة الطف هو يوم العاشر من محرّم فقط، وإنّما قبل العاشر هناك أُسس بُنيت وضربت نسلها في الأرض، وتجذّرت، وتكوّنت، وعندما نُريد أن نتعامل مع سيّد الشّهداء عليه السلام لابُدَّ أن نلتزم هذه اللحظة التّاريخية، ونربط معها حلقات تاريخية بعدها حتّى نستطيع إكمال الصّورة الحقيقية قدر المستطاع لواقعة سيّد الشّهداء عليه السلام، والإمام الباقر عليه السلام يُحدّد هذا التّحديد وأنّ هناك تقرّبًا إلى الله تعالى بالموالاة، وهناك تقربًا إلى الله تعالى بالبراءة، والبراءة تكون -كما قلنا- ممّن أسّس أساس ذلك، وبنى عليه بنيانه، وجرى في ظلمه وجوره عليكم وعلى أشياعكم، فشيعة آل محمّد لم يطالبوا ولم يعذبوا بعناوينهم الشّخصية؛ وإنّما طوردوا، وعذبوا، وقتلوا بسبب انتمائهم إلى أهل البيت عليهم السلام، فمطاردة الشّيعي الموالي لأهل البيت عليهم السلام بعنوان كونه شيعيًّا يستبطن بالضّرورة العداء للأئمّة عليهم السلام بل هناك آثار تاريخية مهمّة على البعض كان لا يتجرّأ أن ينال من الإمام عليه السلام لظروفٍ خاصَّة في وقتها لكن يُحاول تعويض ذلك بالانتقام من شيعة آل محمد عليهم السلام، وهذا العداء المستفيض جعل من الأئمَّة عليهم السلام إشراكنا في مسألة الابتلاء؛ ومن هنا يقول الإمام الباقر عليه السلام: **((شِيعَتُنَا أَصْبَرُ مِنَّا قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ كَيْفَ صَارَ شِيعَتُكُمْ أَصْبَرَ مِنْكُمْ قَالَ لِأَنَّا نَصْبِرُ عَلَى مَا نَعْلَمُ وَشِيعَتُنَا يَصْبِرُونَ عَلَى مَا لَا يَعْلَمُون))**[1].

وممّا لا شكَّ فيه أنَّ الأئمّة عليهم السلام أصبر منّا لكن الإمام عليه السلام أراد بيان رفعة وكرامة شيعة آل محمد عليهم السلام، والقصد أنَّ هذه الزيارة تذكر أنَّ الإمام عليه السلام يتبرّأ إلى الله تعالى ممّن أسّس أساس ذلك الظّلم وبنى عليه على الأئمّة عليهم السلام وعلى أشياع الأئمّة عليهم السلام أمثال

١ - الكافي: ٢/ ٩٣.

عمر بن الحمق الخزاعي مثلاً أو كميل بن زياد أو حجر بن عدي الكندي وغير هؤلاء، فقد تعرّضوا للعداء بسبب موالاتهم لأهل البيت عليهم السلام؛ وقد ورد في النّصوص التأريخية: «كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة أن برئت الذّمّة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقام الخطباء في كلّ كورة وعلى كلّ منبر يلعنون عليًّا ويبرؤون منه، ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشدّ الناس بلاءً حينئذ أهل الكوفة لكثرة مَن بِها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد ابن سميّة وضمّ إليه البصرة فكان يتتبّع الشّيعة وهو بهم عارف؛ لأنّه كان منهم أيّام الإمام علي عليه السلام فقتلهم تحت كلّ حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النّخل، وشرّدهم عن العراق فلم يبقَ بها معروف منهم، وكتب معاوية إلى عمّاله في جميع الآفاق ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة ...»[1].

أن يعيش شيعة آل محمد عليهم السلام في مساحة ضيّقة بسبب انتمائهم إلى الأئمّة عليهم السلام؛ هذه مسؤولية شرّفنا الله تعالى بحيث جعلنا قرناء للأئمّة عليهم السلام، والإنسان العاقل يُحاول أن يقرن مع الشّريف فكيف به إذا يقرن مع أشرف خلقه عن طريق الموالاة والبراءة ممّن أسس أساس الظّلم، ومن جرى على ظلم شيعة آل محمد؛ إنّنا نتبرّأ إلى الله تعالى ممن قاتل شيعة آل محمد، وهذا نصٌّ واضحٌ وصريحٌ في مسألة التّبرّي، وهذه ليست تسمية وإنّما كمٌّ هائلٌ من الأخبار، ولا شكّ ولاريب أنّ شيعة علي عليه السلام هم الفائزون يوم القيامة، ولا شكّ أنَّ الدّنيا ليست دار جزاء الدّنيا، ولقد عانى الأنبياء والأئمّة عليهم السلام، وهكذا عانى الشّيعة، والآخرة هي دار جزاء، وقد دلّت الآيات والرّوايات الكثيرة الواردة التي تُصرّح برفعة مقام شيعة آل محمد، وأنَّ خير البرية عليًّا عليه السلام وشيعته؛ وهذه الفضيلة العظيمة الشّأن والمهمّة تحمّلنا مسؤولية أن نقرن مع الأئمّة عليهم السلام.

إنّ الله سبحانه وتعالى رؤوف ورحيم بالعباد، وأكثر بالمؤمن الذي اختار الحقّ في

١ - ابن أبي الحديد في شرح النهج: ٣، ٥٩٥.

سبيل إعلاء كلمة لا إله إلا الله، وهذا الجهد والتّعب المبذول ستكون نتيجته جزاء واسع وأكبر يوم القيامة -إن شاء الله تعالى-.

ميزانُ الإيمانِ

إنَّ الوقوف عند قبر وضريح سيّد الشّهداء عليه السلام يحتاج إلى تصوّر ذلك المعنى القدسي الكبير الذي وضع في هذا الضّريح المبارك، ونتصوّر ذلك القلب الذي امتلأ حبًّا لله سبحانه وتعالى فكان يشتاق دائماً الى الله تعالى؛ وسبحان الله تعالى قد أجيبت دعوة الإمام الحسين عليه السلام في نفسه وعائلته وذرّيّته وأصحابه عندما كرَّمه الله سبحانه وتعالى بتلك الكرامة، وندعو الله تعالى أن يكرمنا بمعرفة الإمام الحسين عليه السلام حقَّ معرفته؛ فإنَّها من أقوى القربات إليه جلّ شأنه.

العلاقةُ بينَ المؤمنينَ

قال الإمام الباقر عليه السلام: ((**إِنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ- وَوَلِيٌّ [مُوَالٍ] لِمَنْ وَالاكُمْ وَعَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاكُم**))[1].

من جملة القوانين التي أسّستها الزّيارة الشّريفة نوعية العلاقة بين المؤمنين؛ وهذا الميزان الكبير المهم لابُدَّ أن نتحلّى به؛ لأنّ الجملة كما يقول النّحاة جملة إسميّة (**إِنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ**)، ومعنى السّلم؛ أي إنّ الشّخص الذي يوالي الأئمّة عليهم السلام مُسالم للأئمّة عليهم السلام فلا بُدّ أن يكون باتجاهي أيضاً في سلم؛ وهذه المسألة بالغة الأهمّيّة؛ أي أنّني أجعل نفسي تابعة، وأجعل مقاييسي تتكئ على قاعدة مهمّة غير الشّك؛ وهي أن أنظر إلى هذا الشّخص الذي أمامي فإن كان مُسالماً للأئمّة عليهم السلام فإنّه سلم لي، وإنْ كان يُعادي شخصي ولكن شخصي في هذه المسألة العقائدية غير مهمّة وإنَّما نظر إلى

١ - كامل الزيارات: ١٧٧.

الأئمّة عليهم السلام فمن كان مُسالماً للأئمّة فلا شك أنا مُسالم له، ومن كان معاديًا للأئمّة فلا شك أنّي معادٍ له، وإن كان من رحمي ومن أقربائي ومن أصدقائي؛ فإنَّ الميزان هو القرب من الأئمّة عليهم السلام عن طريق الولاية، والبعد عن طريق الحقّ.

أفضلُ القربات

ثمَّ تقول الزّيارة: ((**فَأَسْأَلُ اللهَ الَّذِي أَكْرَمَنِي بِمَعْرِفَتِكُمْ- وَمَعْرِفَةِ أَوْلِيَائِكُم**))[1].

تنطلق الزّيارة إلى حالة الدّعاء، وأن أدعو الله تبارك وتعالى الذي أكرمني كزائر بمعرفة الإمام الحسين عليه السلام من الفقرات السّابقة، وأنّي قد تعلّمت من الإمام الحسين عليه السلام فحصلت عندي مجموعة من المعارف التي ذكرناها في تعريفه عليه السلام وأسلوبه وبطاقته الشّخصية والمعنوية، وتلك المراتب التي كان فيها، ودفعه عنها بعضهم، ثمَّ تفاعلت السّماء وتفاعلت الأرض وكأنَّها لا تستطيع أن تستوعب مصيبة أبي عبدالله الحسين عليه السلام بحيث بكى على الإمام الحسين عليه السلام جميع من في السماوات والأرض إلى آخر ما ذكرناه، وهذه المقدّمات مما لا شكّ تعطي صورة ما عمّا أريد أن يتصوّر باتجاه الإمام الحسين عليه السلام: ((**فَأَسْأَلُ اللهَ الَّذِي أَكْرَمَنِي بِمَعْرِفَتِكُمْ**)) هذا بنحو الفعل الماضي؛ وهذا يدل على تحقّق الشّيء.

مقياسُ الحقّ

ثم قال عليه السلام: ((**وَمَعْرِفَةِ أَوْلِيَائِكُمْ وَرَزَقَنِي الْبَرَاءَةَ مِنْ أَعْدَائِكُم**))[2].

لا تعتقدوا أنَّ الموالاة للأئمّة عليهم السلام، والبراءة من أعدائهم هو شيء قليل، بل لعلَّه من أفضل القربات إلى الله تعالى عندما تكمن هذه الموالاة وهذه البراءة في قلب كلّ أحدٍ منّا وتستقر وترسخ بحيث يصعب إزالتها.

---

١ - كامل الزيارات: ١٧٧.

٢ - م.ن: ١٧٧.

إنَّ الموالاة للأئمّة عليهم السلام والبراءة تُعدّ ميزانًا مهمّاً وحقيقيًّا لغرض معرفة مقياس الإيمان ومقياس عدمه إذا لم أحسن هذه الموازنة بين البراءة وبين الموالاة؛ وكلَّما واليت الإمام بنسبة مئويّة لابُدَّ أن تقابلها نسبة مئوية بقدرها من جهة المعاداة، ولا يمكن أن توالي الأئمّة عليهم السلام، وتوالي أعداء الأئمّة فهذا أمر غير صحيح ولا يحقّق الموالاة؛ والموالاة لا تعني الحبّ والارتياح النّفسي؛ لأنَّ هذه من الصّفات النّفسية، ويتعرّض لها كلّ أحد سواء كان كافرًا أو مؤمنًا؛ وإنَّما الموالاة تعني البرهان الحقيقي والحقيقة الرّاسخة، وأنا عندما أوالي يجب أن أوالي موالاة لا تتزعزع، وتكون في نفسي أقوى من الجبال الرّواسي، وفي الوقت نفسه عندما تكون البراءة تكون تلك النّفرة البعيدة غير الملائمة في أيّ حالة من الأحوال من قلبي، وقدر النافر الذي لا يمكن أن ألتقي معها مادامت في العداء لآل محمد عليهم السلام.

لقد جاء في القرآن الكريم ونزلت آيات في عم النّبي صلى الله عليه وآله؛ وهو من أرحامه وقد ذكره بالاسم ويقول: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾[1]، مع أنَّ الذين عادوا النّبي صلى الله عليه وآله لا يذكرهم بالأسماء وإنّما بالصّفات؛ ولكن في خصوص هذا الرّجل نزلت فيه هذه الآية؛ وهي تُمثّل نوعاً من البراءة؛ لأنّه عادى النّبي صلى الله عليه وآله؛ فإذن الميزان هو النبي الأكرم صلى الله عليه وآله؛ إضافة لذلك أرجو الالتفات إلى نقطة وهي وإن كان النّبي صلى الله عليه وآله هو إلَّا أنّه يتفرّع منه موازين أخرى؛ ومن تلك الموازين ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام، ومحبّته؛ التي لم تنشأ من قرابته للنبي صلى الله عليه وآله؛ وإلَّا فإنَّ أبا لهب قريب، وبعض أرحام النَّبي صلى الله عليه وآله، وبعض أرحام الأئمّة عليهم السلام عندما نرجع للتاريخ نجد أنَّ هناك شخصيات كانوا يبعدون عن الأئمّة كما يقول الإمام الكاظم عليه السلام في حقّ أخيه عبد الله الأفطح[2] ((**عَبْدُ اللهِ يُرِيدُ أَنْ لاَ يُعْبَدَ اللهُ**))[3]؛ فهنا حالة من البعد بين شخصيّة من جهة النّسب تنتمي للأئمّة عليهم السلام لكنّها

١ – المسد: ١.

٢ – سُمي بذلك لأنه كان افطح الرأس، ينظر: الهداية الكبرى: ٣٨٥.

٣ – الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، المفيد، محمد بن محمد(ت٤١٣ هـ)، مؤتمر الشيخ المفيد، قم، الأولى: ٢/ ٢٢٢.

من جهة العمل الخارجي أبعد ما تكون عن الأئمّة عليهم السلام؛ والموالاة تتحدّد في مقاييس وبرهان؛ وكلّما كانت العقيدة قوية كلّما انعكس على مسألة الموالاة ومسألة البراءة، وما هذه المقدمة: ((**فَأَسْأَلُ اللهَ الَّذِي أَكْرَمَنِي بِمَعْرِفَتِكُمْ- وَمَعْرِفَةِ أَوْلِيَائِكُمْ وَرَزَقَنِي الْبَرَاءَةَ مِنْ أَعْدَائِكُم**)) إلّا أن ننتقل إلى نتيجة مهمّة ضمن قوالب ألفاظ قويّة بليغة ((**أَنْ يَجْعَلَنِي مَعَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَنْ يُثَبِّتَ لِي عِنْدَكُمْ قَدَمَ صِدْقٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة**))[1].

إنَّ هذه المعية التي أشير إليها تارة تكون معية في المكان؛ وبيان ذلك أنا وزيد معًا وأقصد من ذلك أنّنا في مكانٍ واحد، وهناك معيّة في الزّمان؛ وذلك حينما تقول: أنا وأبي مثلاً، أو وصديقي معًا في زمانٍ محدّد؛ سواء كان يومًا أو كان أسبوعاً أو شهرًا أو سنة، والمعيّة على نحو المكان وحدها لا قيمة لها؛ ولقد كان في مسجد النّبي الأعظم صلى الله عليه وآله مجموعة من المنافقين، ووجودهم مع النبي صلى الله عليه وآله في مكانٍ واحدٍ لا يعطيهم تزكية؛ وقد خاض النّبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله في زمانه مع الكافرين حروبًا طاحنة على الرّغم من قربهم المكاني السّابق، لذلك تكون المعيّة المكانية وحدها غير كافية، ولا يمكن أن أطلبها، أما المعية الزمانية فيجري الكلام كذلك.

وبناءً على ما تقدّم فإذا كان الغرض من هذا المقطع المكان؛ فممّا لا شكّ فيه أنَّ المكان قد انتفى؛ إذ قد يُزار الإمام الحسين عليه السلام في غير كربلاء، وإذا كان الزّمان، فإنَّ الزّمان في سنة إحدى وستين للهجرة ولم يبقَ له أثر، ومن غير المعقول أن أطلب أن أكون معه في هذا الزمان فإذن لابُدّ أن أبحث عن معيّة تتناسب مع قوّة الدّعاء أو مع هذا الطلب.

وبيان هذه المعية قد مهّدنا لها بأن نطلب من الله تعالى إكرامنا بمعرفتهم، ومعرفة أوليائهم ورزقني البراءة من أعدائهم، وهذه مقدّمات مهمّة، والآن لابُدَّ أن أسأل سؤالاً معقولاً مبرّراً، إذ لا يحقّ لي أن أسأل عن أمرٍ مستحيل؛ والأمر الذي يمكن

١ - كامل الزيارات: ١٧٧.

تحقيقه الحصول على معيّة العمل بأن يجعلني معك، وأن أُشارك معك العمل وغير خارج عنهم، إنَّها معيّة المنهج، ومعيّة السّلوك، وهذه المعية هي التي تكون مرغوباً فيها، ولا بُدَّ أن أدعو لنيلها.

معيّة الزّمان ممكن أن تتصور في حقِّ إمامٍ لايزال موجودًا في الزّمن الذي أعيش أنا فيه، وإن كان غائبًا؛ فممكن أن أطلب أن أكون معه في زمنٍ يكون حاضرًا؛ لكن بشرط أن لا يكون الزّمن فقط هو المطلوب؛ وإنَّما مطلبي لابُدَّ حتى وإن كنت معه في زمن أن أكون معه في منهجه وسلوكه وأن أتحرّك بتحرّكه، وأسجد بسجوده؛ أمَّا إذا عاصرت الإمام الحجة ﷺ في زمنٍ واحد، لكن -لا قدّر الله تعالى- كنت على طرفٍ آخر فلا شكّ أنَّ هذا الزّمن لا يعنيني وأكون آثماً، ولكي نكون مع الأئمة المعصومين ﷺ في الدنيا نحتاج إلى مقدّمات للعمل، ونحتاج إلى قوّة، والعمل يحتاج إلى أسباب، وأن أعمل ثم أدعو، ولا يمكن أن أطلب شيئًا من الله تعالى من دون تهيأة الأسباب؛ وهذا غير ممكن؛ فقد جعل الله تعالى أسباباً، و جعل الأشياء مرهونة بأسبابها، والدّعاء سبب، لكن لابُدَّ أن يمر بمجموعة من القنوات، وأن تكون هذه القنوات عقلائية ومنطقيّة، وأنا عندما أدعو الله أن يجعلني مع الأئمّة في الآخرة لابُدَّ أن أعمل عملاً يؤهّلني لذلك، ويؤهّلني كذلك أن أتقدّم عن طريق الشّفاعة، أو عن طريق الدّعاء، أو عن طريق دعاء المؤمن إلى ذلك المكان السّامي الذي أرغب أن أكون معه ﷺ، أمّا أن أفعل أفاعيل منكرة، وأتّكل على هذا الدّعاء فهذا عمل غير مقبول أصلاً، وليس له من صاحبه ولا سهم صاحبه منه إلّا التّعب دون أن يكون مرتبطاً بما فيه.

ثبات القدم

ثم قال عليه السلام: (وَأَنْ يُثَبِّتَ لِي عِنْدَكُمْ قَدَمَ صِدْقٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة).

قدم صدق استعارة عن الشّيء الثّابت، وحينما يقف إنسان في مكان معيّن، ويتحدّى ويقول: من يزحزحني عن هذا المكان؟ ولكن حين يأتي أحد ويتحدّاه، ويجلبه بقوّة فيتزحزح عن ذلك المكان فقدمه لا تكون راسخة ولا يكون صادقاً في دعواه، وسرعان ما ينتقل من حالة إلى حالة أخرى، والقدم الرّاسخة؛ القدم الصّادقة في العقيدة التي لا تتأثر بجميع الطواغيت وما ينشرون من شبهات؛ فالدّعوى شيء والثّبات شيء آخر، إذ من الممكن ادعاء شخص بأنّه مؤمن ومتديّن، ولا يعترف بالمال الحرام، وفعلاً يتمكّن من أن يسرق ١٠٠ ألف ولكنه لا يسرق، لكنه يقف عند هذا الحدّ، وإذا عرض عليه أكثر ممكن أن يسرق، وممكن أن يضعف، فأيضاً هذه قدم غير راسخة، وفي مقابل هذه الحالة هناك ابن السّكيت [1]، فقد كان مؤدِّبًا لبعض أولاد الخلفاء، وعندما سأل أيّهما أحبّ إليك ابناي هذان - أي: المعتز والمؤيّد- أم الحسن والحسين، فعبارته جميلة لا يقرن ولديه بالحسنين، بل يقارن أنّ شسع نعل قنبر أشرف منك ومن ولديك مقارنة بين متساويين، هذا أطول من هذا، يفترض المفضل فيه طول، كما هو فلان أطول منه، أنت تُقارن الحسنين بِنكِرات، هُدّد فعلاً، وسلّ لسانه من قفاه، ولم يتراجعْ عن مقولته؛ هذه هي القدم الرّاسخة.

---

١ - ابن السكيت- بكسر السين وتشديد الكاف- أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الدورقي الأهوازي الإمامي النحوي اللغوي الأديب: ذكره كثير من المؤرخين وأثنوا عليه، وكان ثقة جليلا من عظماء الشيعة. ويعد من خواص الامامين التقيين عليهما السلام وكان حامل لواء علم العربية والأدب والشعر واللغة والنحو، وله تصانيف كثيرة مفيدة منها: (تهذيب الألفاظ) وكتاب: (إصلاح المنطق) قال ابن خلّكان: قال بعض العلماء: ما عبر على جسر بغداد كتاب من اللغة مثل إصلاح المنطق ولا شك أنّه من الكتب النافعة الممتعة الجامعة لكثير من اللغة ولا نعرف في حجمه مثله في بابه، وقد عنى به جماعة واختصره الوزير المغربي وهذبه الخطيب التبريزي، قتله المتوكل في خامس رجب سنة ٢٤٤ وسببه: أنّ المتوكل قال له يوما: أيما أحبّ إليك ابناي هذان أي: المعتز والمؤيد أم الحسن والحسين فقال ابن السكيت: والله إنّ قنبرا خادم عليّ بن أبي طالب عليه السلام خير منك ومن ابنيك، فقال المتوكل للأتراك: (سلوا لسانه من قفاه ففعلوا فمات)، الكنى والالقاب، الشيخ عباس القمي، ١/ ٣١٤، ٣١٥.

البعض يقول: إنّي أحبّ الإمام وأخشى الإمام وآتي زحفاً للإمام ولكن هذا كلام، ولكن عندما تجرّب في الميدان فالمسألة إنَّني لا أستطيع الصمود في اللحظات الأولى فضلاً عن اللحظات الأخيرة، وهناك قضايا تاريخية وقضايا ستكون مع الإمام أو مع من يمثّل الإمام صعبة للغاية، وهناك ابتلاءات حقيقة تجعل الحليم في حيرة من أمره، وتحتاج إلى مقدّمات وإلى ترويض النفس، وخاصة عندما أمسك الحق، ولا يمكن تركه جانباً.

كثير من خلفاء بني أمية كانوا من قارئي القرآن ومن العبّاد، وبعض بني أمية كانوا قليلاً ما يفارقون المسجد الحرام حتّى كان يُلقّب بحمامة المسجد، ولكن سرعان ما جاءتهم الدّنيا وتركوا هذه الأمور وراء ظهرهم؛ لأنَّ القدم غير راسخ.

وتأملوا في قصّة ذلك الشخص الذي مرَّ عليه الإمام علي عليه السلام مع كميل بن زياد وكان يترنّم ببعض الآيات، وَيَقْرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ**﴾ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴿**إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[1]، ((**فَاسْتَحْسَنَ ذَلِكَ كُمَيْلٌ فِي بَاطِنِهِ وَأَعْجَبَهُ حَالُ الرَّجُلِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقُولَ شَيْئاً**))[2]، فأشار إليه الإمام عليه السلام قال: ((**يَا كُمَيْلُ لَا تُعْجِبْكَ طَنْطَنَةُ الرَّجُلِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّار**))[3] فالإمام أخبره أنَّ الرجل من وجوه القوم، ومن الموالين إلى أن دارت الدّنيا فحدثت معركة النّهروان، أنا وعلي عليه السلام اجتمعنا على جثّة نتنة، قَالَ عليه السلام: ((**يَا كُمَيْلُ [أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ ساجِداً وَقائِماً] أَيْ هُوَ ذَلِكَ الشَّخْصُ الَّذِي كَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَأَعْجَبَكَ حَالُه**))[4]؛ فالقدم الرّاسخة القدم الصّادقة، وليست أمرًا مرويًّا فقط، بل نحتاج إلى التّحمل من أجل الحق، ونحتاج إلى التّمسّك

---

١ - الزمر: ٩.

٢ - إرشاد القلوب إلى الصواب للديلمي: ٢/ ٢٢٦.

٣ - م. ن: ٢/ ٢٢٦.

٤ - م. ن: ٢/ ٢٢٦.

بالحق، ولا شيء أفضل من الحق، وهذا شيء يحتاج إلى ثمن، ويحتاج أن تصبّر، ويحتاج إلى أن تسكت، ويحتاج إلى أن تصمت، ويحتاج إلى وإلى... أمور كلّها خلاف رغبتك لكنّك لا يمكن التّفريط بهذا الحق، وعندما نقول: قدم راسخة لا يمكن أن تأتي مِن لا شيء.

ولذلك وعد الله تعالى شيعة آل محمد في أكثر من رواية بحسن الخاتمة؛ فعن صفوان الجمّال قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت: جعلت فداك سمعتك تقول: شيعتنا في الجنّة وفيهم أقوام مذنبون، يركبون الفواحش، ويأكلون أموال الناس، ويشربون الخمور ويتمتّعون في دنياهم، فقال عليه السلام: هم في الجنة. اعلم أنَّ المؤمن من شيعتنا لا يخرج من الدنيا حتّى يبتلي بدين أو بسقم أو بفقر، فإن عفي عن هذا كلّه شدّد الله عليه في النّزع عند خروج روحه حتّى يخرج من الدنيا ولا ذنب عليه، قلت: فداك أبي وأمّي فمن يرد المظالم؟ قال: الله عزّ وجلّ يجعل حساب الخلق إلى محمد وعلي عليهما السلام فكلّ ما كان على شيعتنا حاسبناهم مما كان لنا من الحق في أموالهم، وكلّ ما بينه وبين خالقه استوهبناه منه، ولم نزل به حتّى ندخله الجنة برحمة من الله، وشفاعة من محمّد وعلي عليهما السلام[1].

هذه البشارة من الإمام عليه السلام تحتاج إلى ثمن، وتحتاج من الإنسان الامساك بالحق والعذاب من أجل الحقّ، وأن لا يسيء الأدب مع المعصوم عليه السلام أو من يُمثّل المعصوم.

عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام لرجل من أصحابه: ألا أخبرك كيف كان سبب إسلام سلمان وأبي ذر رحمة الله عليهما؟ فقال الرجل وأخطأ: أمّا إسلامه سلمان فقد علمت، فأخبرني كيف كان سبب إسلام أبي ذر ...»[2]، فهذا سوء أدب في محضر الإمام، فالإمام عليه السلام يريد أن يحدّث ولعل هناك مسألة غامضة؛ ويمكن أن تكون هناك معلومة غير صحيحة فيصحّحها الإمام عليه السلام، أو تسمع من الإمام شيئاً، وتقرأ في الكتاب

١ - بحار الأنوار: ٦٥، ١١٥.

٢ - الكافي: ٨، ٢٩٧.

أو تسمع بشيء آخر؛ حدّثه الإمام عن إسلام أبي ذر، قال وما إسلام سلمان؟ قال أمّا إسلام سلمان فقد سمعته، وهنا الإمام طوى كشحاً عنه، وأنا أقول: نحتاج عندما نقرأ أن نتعبّد بأقوال الأئمّةعليهم السلام وأن نكون كما يريد لنا الأئمّةعليهم السلام؛ ومن هذا نعرف حقيقة الإمام الحسينعليه السلام عندما مدح أصحابه بالبررة؛ إذ لابُدَّ أن نكون وخاصّة إذا كان الظّرف يستدعي ضبط النّفس والحكمة من الشيعة المخلصين فإنَّ ثمرة ذلك كبيرة علينا وهو رضا الله سبحانه وتعالى والجنة.

نسأله تبارك وتعالى أن يرزقنا وإيّاكم قدم صدق، وأن يثبت لنا مقامًا محمودًا يوم نلقاه بحرمة محمد وآل محمد، وآخر دعوانا الحمد لله ربّ العالمين.

المبحث السادس

ميزانُ السّلمِ والحرب

زيارة عاشوراء زيارة كريمة شريفة تُمثّل مفتاح الولوج إلى معرفة سيّد الشّهداء، وتعطينا الصّورة الحقيقية في كيفية زيارة الإمام الحسين وكيف ندخل إلى ساحة حضرته الشّريفة المقدّسة؛ ولعلّنا نصل إلى فهمٍ بسيطٍ لكرمه، والإمام الباقر حاله حال بقيّة الأئمّة اضطلعوا بتربية شيعتهم على منهجٍ خاصٍّ هو منهج الرّسالة المحمّديّة الصّحيح، وقد مارسوا أنواع التّربية، وفي مناسبات متعدّدة، وانعكس هذا واضحًا على شيعتهم حيث لا تزال شيعتهم يمتثلون لأوامرهم، ويلجؤون إلى أماكن طاعة الله سبحانه وتعالى تقرّبًا إليه(جل شأنه)؛ حتَّى يستلهموا هذه المعاني، ويعرفوا حقيقة العبودية لله تبارك وتعالى، والإيمان والتّقوى والطّاعة، والنّصوص بهذا الشّأن ليست كلمات تتردّد على الأفواه فتكتسب بل لابُدَّ من يقينٍ حقيقيٍّ وصادقٍ وممارسته بصورة عمليّة؛ لكي نصل إلى معنى العبوديّة؛ وحينما تقول إنِّي عبد الله لابُدَّ أن نعرف أنَّ العبوديّة تقتضي أن يكون الإنسان راضياً برضى الله تعالى، ويغضب لغضب الله سبحانه وتعالى.

تأثيرُ التّبرّي على الفكرِ

إنَّ الإمام بعد ذلك يصل إلى مسألة مهمّة جدًّا بعد أن لعن أو طلب من الله تعالى أن يلعن تلك الأمّة التي قتلت الإمام الحسين والممهّدين لقتاله إلى الإشارة أنَّ سيّد الشّهداء قد دفع عن مقامه وعن مرتبته التي أرادها الله سبحانه وتعالى له، ثمَّ بعد هذه الصّورة نلعن كلّ من قاتل الإمام الحسين ، وأهل بيته حتى يتكوّن عندنا مفهوم آخر، وهو مفهوم البراءة ومفهوم الموالاة. وأرجو إلى أن نقف قليلاً عند هذه الفقرات مع هذه الزّيارة.

قال الإمام الباقر عليه السلام ((**بَرِئْتُ إِلَى اللهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ وَمِنْ أَشْيَاعِهِمْ وَأَتْبَاعِهِم**))[1].

تارة تبرأ من فعل وتقول: إنَّني أبرأ من الكذب-مثلًا- والغاية تكون نفسيّة؛ فأنت لا تُحبّ الكذب؛ ليس لأنَّ الكذب ممقوت شرعًا بل لأنَّه صفة تترفّع عموم الناس عنها؛ فأنت تبرأ منها، وتارة تتبرّأ من الكذب؛ لأنَّ الله تعالى لا يريده، والحالة الثانية فيها طاعة؛ أمَّا الحالة الأولى ليس فيها طاعة؛ أي إنَّها لا تتوفّر نيّة القربة الى الله تعالى؛ فأنت أحيانًا تبرأ من غشّ المعاملات، لا لأنَّ الله لا يريد الغش، بل لأنَّك تريد أن تمدح عند النّاس.

إنَّ البعض قد لا يلتزم بالطّاعات ولا يُصلّي ولا يصوم ولا يفعل القربات، لكنه في المعاملة لا يغش فهو يبرء من الغش ويتجنّب الغش، وعندما تسأل وتطّلع تُلاحظ أنّه يبرأ من الغش ليس لأنَّ الله تعالى حرّم الغش، وإنَّما لا يغش حتَّى لا يطعن في السّوق مثلاً وحتَّى لا تفسد تجارته.

والآن عندما تمر على أحداث واقعة الطَّفّ، وتعرض واقعة الطّف بالصّورة الحقيقة أمام مرأى ومسمع العقلاء فلا شكّ أنَّ العقلاء يبرؤون من هذا الفعل، وكلّ عاقل عندما يرى أنَّ هناك جيشًا عرمرمًا مجهّز بعُدّة وعديد ينهض بصورة وحشيّة على مجموعة صافية لها قيمة في المجتمع، ويقتل بهذا القتل الشّنيع، ويسبي النّساء بهذا الأسلوب، فمن يبرأ من هذا الفعل، لكن هذه البراءة قد لا تكون فيها قربة إلى الله تعالى، ولذلك نحتاج حتى عندما نبرأ من فعل أن تكون الغاية من هذه البراءة تدخل في باب طاعة الإمام عليه السلام، ويقول: ((**بَرِئْتُ إِلَى اللهِ وَإِلَيْكُمْ**)).

١ - كامل الزيارات: ١٧٦.

دائرة التّولّي والتّبرّي

نحن نستطيع أن نُعوّض هذه الجملة؛ أو بعبارة أخرى أن نترك هذه الجملة ونقول: برئت منهم ومن أتباعهم وأشياعهم لكنّها لا تُحقّق المعنى العبادي؛ والبراءة يجب أن تكون براءة إلى الله تعالى؛ أي إنّني يا إلهي في موقفي هذا أبرأ إليك، وأبرأ إليهم- الأئمّة عليهم السلام- من حفنة من الأحزاب ومن الأمويّين ومن الذين يقتلون الرّسالة، وأنا بهذه الصّورة حقّقت البراءة في داخلي، وفي الوقت نفسه حقّقت طاعة؛ لأنّي إنّما أبرأ لأنَّ الله سبحانه وتعالى يبرأ منهم، وأنَّ الله تعالى لا يُريد هذه الفِعال؛ لكن ممّا لا شكّ فيه أنَّ الزِّيارة بما هي زيارة طاعة، ولكن في كلِّ كلمة من الزّيارة لابُدَّ أن نقف حتى تتقوّى هذه الطَّاعة في نفوسنا أكثر، والبراءة تحتلّ مساحة واسعة في هذه الطّاعة عن طريق البراءة إلى الله تعالى وإلى الأئمّة عليهم السلام منهم ومن أشياعهم وأتباعهم وأوليائهم؛ والذين قتلوا الإمام الحسين عليه السلام، والذين أزالوا الإمام الحسين عليه السلام عن مراتبه وأشياعهم وأتباعهم ومن الذين يتبعونهم في هذا الفعل، وكلّ من يوالي هؤلاء نحن برآء الى الله منهم.

هذه العناصر الأربعة غير متقيّدة بزمان واقعة الطَّفّ وإنّما فيها مساحة واسعة، ومن هنا عندما نقف أمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام ونطلب الإذن بالزّيارة لابُدَّ أن نستحضر أعلى حالات الانفصال بيننا وبين الذين قاتلوا الإمام الحسين عليه السلام، لا على مستوى العلقة الدّنيويّة؛ أمثال الشّراء والبيع، ولا على مستوى الولاء القلبي؛ إذ لا يجوز شرعاً للإنسان أن يلين بقلبه وأن يحب أعداء الله سبحانه وتعالى، وهذا غير حاصل أصلًا ولذلك لابُدَّ أن تجد أو يوجد حاجز نفسي بينك وبين عدو الله تعالى، وأنا لا أقول في العلاقات الاجتماعية إذا كان الغرض استمالتهم إلى الدّين؛ فهناك فرق بين هذا وذاك، وإنّما أنا أتكلّم في مسألة البراءة، وأمّا في غرض استمالة الكفرة

أو إعلان خلق الإسلام وبيان قوّته شيء آخر، لكن في مقام البراءة أتحدّث إذا كنت أعلم أنَّ فلانًا ليس له علاقة بالدّين أصلاً ما هو المُسوّغ الشَّرعي عندما أواليه؛ بل يجب أن أبرأ؛ وتحسين هذه البراءة مسألة تحتاج إلى قوّة الشّخصيّة وقوّة الإيمان وقوّة اليقين، ثمّ بعد ذلك ننتقل إلى مسألة مهمّة؛ وهي قول الإمام عليه السلام: «**يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ إِنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ**»[1].

هذا نداء إلى الإمام الحسين عليه السلام، وتفاعل وشعور بالحضور مع الزّيارة كلّها؛ الآن وسابقًا وفي الأيّام القادمة يجب أن نقول للإمام الحسين عليه السلام: ((**يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ إِنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ**))[2]، ((**إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**))[3]، ولاحظ! ((**إِنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ**)).

إنِّي سلم لمن سالمكم؛ وإن لم أعرفْ نسبه وحسبه، بل لأنّه سالم أهل البيت عليهم السلام فلابُدَّ أن أكون مُسالِماً له، ولاحظ ذوبان الأنا في هذه المسألة، وهذا القانون بحمد الله تعالى يعرفه الموالون للإمام الحسين عليه السلام جيّدًا ((**إِنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ**))، ((**وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ**))، فهناك موازنة يجب أن تكون محفوظة؛ فإذا كنت سلمًا لمن حاربهم، فالموازنة تنقلب، وإذا كنت حربًا لمن سالمهم فالموازنة تنقلب أيضاً، لذلك يجب أن أكون سلماً لمن سالمهم، وحرباً لمن حاربهم من دون إفراطٍ وتفريط؛ وهذه غير مرتبطة بواقعة الطَّفّ، وإنّما إلى يوم القيامة؛ فهناك موازين يجب أن تحفظ، ولو فرضنا أنَّ أحد الأئمّة عليهم السلام له مجموعة من الأبناء كما هو فعلًا، وبعض الأبناء شذَّ عن الطّريق يسقط من الاعتبار أصلاً، وليس له أيّ قيمة في الاحترام؛ لأنَّ الشذوذ عن الطّريق يكون غير مرضيّ من قبل الأئمّة عليهم السلام كابن نوح عليه السلام مثلاً، أو عندنا بعض أولاد الأئمّة عليهم السلام خرجوا عن طريق الأئمّة عليهم السلام.

١ - كامل الزيارات: ١٧٦.
٢ - م. ن: ١٧٦.
٣ - م. ن: ١٧٦.

إنَّ الذين عادوا النَّبي ﷺ مجموعة كبيرة، وحينما لا يتحدّث القرآن الكريم عن أسمائهم، وعلى الثلاثة الذين خلفوا مثلاً، ولا يتحدّث عن الذي عاداه وأنَّه فلان بن فلان؛ وإنَّما تكلّم عن شخصيّة واحدة بكنيتها وباسمها، وهو من أقرب الشّخصيات للنبي ﷺ؛ وهو أبو لهب ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[1]؛ والوجه في ذلك أنَّ أبا لهب كان له وزن، فالخطر على النّبي ﷺ سيكون أكثر من الشّخص الذي يُعادي النبي ﷺ وهو في الحبشة؛ لأنَّ هذا من البيت، ويطّلع على أسرار البيوت، ويطّلع على مداخل الأنفس؛ وحينما يقول عن النبي ﷺ -حاشاه- إنَّه ساحر مثلاً فإنَّ الناس تُصدّق أبا لهب، ولذلك القرآن حاول أن يُحصّن النبي ﷺ فأنزل في حقّه هذه السورة الكريمة بحيث لا يمكن لأبي لهب أن يتفوّه بشيء مع أنّه لم تنزل سورة بحقّ فلان أو فلان؛ لأنَّ ليس لهم قيمة مثل قيمة أبي لهب.

صورُ التّعاملِ مع الحقّ

عندما حدثت الثّورة العبّاسيّة كان من أوائل منجزات بني العباس أن سَجنوا الإمام الصَّادق عليه السلام، والذي سجن الإمام الصادق عليه السلام وِلد عمّه لسببٍ شخصيّ، وهذا لا غبار عليه؛ وهنا موقفك الشَّرعي أن تتبرّأ من كلّ أحدٍ أساء للإمام الصادق عليه السلام، وهذا أمر لا يحتاج إلى تفكيرٍ واستشارة؛ والنَّصّ واضح، والعبارة جلية (أنّي سلمٌ لمن سالمكم وحربٌ لمن حاربكم)؛ سواء كان من داخل المنطقة أو خارجها، وهذا ينعكس إيجابًا وسلبًا علينا في الوقت الحالي، إذ يدخل في مجال التقوى التي يجب أن نتحلّى بها، وإذا كنا نعيش مشاكل شخصيّة قد تصل الى أحقادٍ بيننا لعدم معرفتنا بهذا الميزان؛ فتذكر أنَّك إذا أردت أن تزور الإمام الحسين عليه السلام وتقول له: إنّي سلمٌ لمن سالمكم، وحربٌ لمن حاربكم، وبعد الزّيارة تنتهك

١ - المسد: ١.

عرض هذا المؤمن فأنت لست من الإمام الحسين عليه السلام في شيء، فهذا السّلم ليس في عدم رفع البندقية والسيف أو إذا رفعت البندقية والسيف فيعني ذلك الحرب، وهنا اختلاف في المفهوم لمعنى السّلم والحرب؛ وحينما نزور الإمام الحسين عليه السلام عن قرب وعن بُعد ونقرأ ولا نفهم، أو نفهم ولا نُطبّق؛ خاصّة إذا امتلأ قلبي غيظًا على أخٍ لي في الدِّين والمذهب وكلّ المشتركات، ولا يمتلئ قلبي غيظاً على عدوّ من أعداء الله تعالى، وقد تنقلب الموازين وأصوّر ذلك العدو هو أقرب إلى مصالحي من أخي؛ هذه فتنة، وهذا خلاف تربية الإمام الحسين عليه السلام.

يجب أن نُربّي أنفسنا على نهج الإمام الحسين عليه السلام، ولا يمكن أن تجد نهجًا أفضل من نهج الإمام الحسين عليه السلام؛ ودونك الأرض ومن عليها، ودونك الكتب والمؤلّفات؛ وستكتشف لا يمكن في يوم من الأيام أن تجد نهجًا أفضل أو مساويًا لنهج الإمام الحسين عليه السلام؛ وهذا درس وعبرة؛ لذلك يجب على الإنسان أن يُراجع نفسه، وعندما يقف أمام الإمام الحسين عليه السلام، والإمام الحسين عليه السلام مصباح وسيّد الشّهداء عليه السلام ينير بشرط أنَّ من يأتي إليه لا يكون أعمى، نعم المصباح موجود والإنارة موجودة ويجب أن ترى بقلبك لا بعينيك، فالعين مسألة ثانوية غير مهمّة؛ والأهم أن ترى بقلبك عظمة سيّد الشّهداء عليه السلام، وأن تتعامل مع الكلمات التي صدرت من الدّائرة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم بأنَّها: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾[1].

١ - النجم: ٣-٤.

التَّناسبُ بين المسألةِ والمعرفةِ

ثـمَّ قـال الإمـام الباقـر عليه السلام: «**وَأَسْـأَلُهُ أَنْ يُبَلِّغَنِـي المَقـامَ المَحْمُـودَ لَكُـمْ عِنْـدَ الله وَأَنْ يَرْزُقَنِي طَلَـبَ ثـارِي مَـعَ إِمـامٍ هُـدىً ظاهِـرٍ ناطِـقٍ بِالحَـقِّ مِنْكُـمْ، وَأَسْـأَلُ الله بِحَقِّكُـمْ وَبِالشَّـأنِ الَّـذِي لَكُـمْ عِنْـدَهُ أَنْ يُعْطِيَنِي بِمُصـابِي بِكُـمْ أَفْضَـلَ مايُعْطِي مُصاباً بِمُصِيبَتِـهِ، مُصِيبَـةً ماأَعْظَمَهـا وَأَعْظَـمَ رَزِيَّتَهـا فِي الإِسْـلامِ وَفِي جَمِيـعِ السَّـماواتِ وَالأَرْضِ!**»[1].

عندما نتصفّح ونقرأ سيرة النَّبي الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمّة من ذرّيّته عليهم السلام نرى أنَّهم كانوا عبارة عن تقوى تمشي على الأرض في كلِّ خطواتهم وسكناتهم؛ ولعلَّ أمامنا الإمام الحسين عليه السلام كان له موقفٌ مع الله تبارك وتعالى أظهره يوم عرفة؛ وهو جليل وواضح في دعائه الكريم، وهذا الموقف جسَّده يوم عاشوراء على أرض كربلاء عندما أعطى لله سبحانه وتعالى كلّه ولم يدّخرْ شيئاً؛ ثم أشار الإمام عليه السلام لمطلب مهم من مطالب المؤمنين:

همّةُ المؤمنِ

ومـن جملـة مـا يطلـب الزَّائـر إزاء هـذا الموقـف المبـارك عندمـا يقـف عنـد ضريـح سيّد الشـهداء عليه السلام ويدعـو هـذا الدعـاء ((**وَأَنْ يُثَبِّـتَ لِي عِنْدَكُـمْ قَـدَمَ صِـدْقٍ فِي الدُّنْيَـا وَالْآخِـرَةِ وَأَسْـأَلُهُ أَنْ يُبَلِّغَنِي الْمَقَامَ الْمَحْمُـودَ لَكُـمْ عِنْدَ الله**))[2].

الدعـاء الكريـم يثبـت شـيئاً؛ وهـو أنّ هنـاك مقامـاً كبـيراً مهـماً قـد أحـرزه الأئمّـة عليهم السلام عنـد الله تعـالى؛ وأنتـم تعرفـون أنَّ الله تعـالى ليـس بينـه وبـين أحـد قرابـة، وإنَّـما يتقـرّب العبـد إلى الله تعـالى بـشيء يريـده الله تعـالى؛ وأهـمّ شيء أراده الله سـبحانه هـو الطّاعـة، وقـد رسـم القـرآن الكريـم ووصايـا الأئمّـة عليهم السلام لنـا طريقًـا للتقـرّب إلى الله تعـالى والولـوج إلى سـاحته المباركـة حتّـى نقـف بـين يديـه دائـمًا، ونحـن نتصاغـر ونسـتحقر أنفسـنا أمـام

١ – كامل الزيارات: ١٧٧.

٢ – كامل الزيارات: ١٧٧، مصباح المتهجد وسلاح المتعبد:٢/ ٧٧٥.

عظمته سبحانه وتعالى؛ يقول تعالى: ((**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا**))[1]، ومن جملة الأمنيات ومن جملة الأبواب أنَّ الإنسان عندما يتهجّد في الليل، بل حتّى في النّهار ينقطع إلى الله سبحانه وتعالى عسى بهذا الفعل أن يكون من الذين حصلوا على هذا المقام المحمود الكبير الذي قد ينحصر على الثّلّة القليلة من أهل الحقّ؛ وسادة هذا المقام هم الأئمّة عليهم السلام.

عندما نقف الآن أمام الإمام الحسين عليه السلام ونطلب من الله تعالى يجب أن يكون طلبنا يتناسب مع معرفتنا للإمام الحسين عليه السلام كما ذكرنا في بدايات الزّيارة الشّريفة؛ فالإنسان العاقل يبحث عن طلب مستديم، ويبحث عن خصلة تفتح مجموعة خصال، وكذلك الإنسان العاقل عندما يطلب العلم مثلاً فإنَّ العلم يفتح له أبوابًا كثيرة، وعندما يطلب أن يرزقه من المقام المحمود لابُدَّ أن يتهيَّأ لمقدّمات كثيرة، وأنتم تعرفون أنَّ هناك لذائذ معنويّة كثيرة، وهذه اللذائذ المعنوية لا تحصل إلَّا بترك مجموعة من اللذائذ التي غالباً ما تكون جسديّة؛ فالحصول على لذّة العلم ولذّة المعرفة يحتاج إلى ترك الإنسان للذّة النَّوم ولذّة الأكل والشّراب، وترك الإنسان بعض اللذائذ بتحصين بعض؛ وكلَّما كانت هذه اللذائذ بنظر الإنسان سامية كلَّما هان من أجلها ترك مجموعة من اللذائذ الحسّيّة التي قد يشترك بها الإنسان مع سائر المخلوقات؛ لذلك حينما يطلب الشّخص من الله تعالى أن يبعثه مقامًا محمودًا لابُدَّ أن يدرك ويعرف أنَّ هذا المقام المحمود يحتاج إلى ترويض، ويحتاج إلى تربية، ويحتاج إلى معرفة حتَّى يتمكّن العبد من الوصول إلى ذلك المقام المحمود؛ إضافة إلى ذلك عندما يدعو إلى أمر؛ لا بُدَّ أن يكون ممكنًا، لا أن يدعو بأمرٍ مستحيل؛ فالدّعاء بأمر مستحيلٍ لا يمكن؛ وهذا الأمر الممكن يحتاج إلى مقدّمات حتَّى يحصل الإنسان عندما يطلب وهو في رحاب الإمام الحسين عليه السلام، ويطلب من الله تعالى أن يرزقه هذا المقام المحمود عن الله تعالى؛ يطلبه وهو قاصد ما يقول بعد أن

١ - الاسراء:٧٩.

عرف الإمام الحسين عليه السلام حقّ معرفته، وبعد ذلك هناك طلب مهمّ جدًّا وعرّجنا عليه سابقاً قال عليه السلام: ((**وَأَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكُمْ مَعَ إِمَامٍ مَهْدِيٍّ نَاطِقٍ لَكُم**))[1]، وفي دعاء الافتتاح في شهر رمضان تقرأون، وتجدون هناك إشارة لمقام الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ومن جملة ما قال عليه السلام: ((**حَتَّى لَا يَسْتَخْفِيَ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ مَخَافَةَ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْق**))[2]، ويظهر أنَّ الأئمّة عليهم السلام لَمْ تكن لهم هذه الخصيصة؛ وبعبارة أخرى أنَّ بعض الأحكام الشَّرعية لا يستطع الأئمّة عليهم السلام بيانها لخصوصيّة الوقت الذي عاشه الأئمّة عليهم السلام فيه، وقد ورد في الرّواية أنَّ شخصًا يدخل على الإمام الصّادق عليه السلام ويسأله عن الوضوء فيعلمه الإمام صورة من صور الوضوء، وهناك من شيعة أهل البيت من كان حاضرًا في المجلس، ويدخل شخص آخر ويعلمه الإمام عليه السلام صورة أخرى حتَّى يقول هذا الموالي شككت في نفسي أنَّ الإمام عليه السلام لماذا يتصرف هكذا مع أنَّ الوضوء واحد؛ لكن يعلم هذا أمراً، ويعلم الشّخص الآخر أمراً آخر؛ فهل الإمام عليه السلام نسي أو اشتبه، ثمّ بعد ذلك يسأل ويعرف العلّة في ذلك أنَّ الإمام عليه السلام كان يتقي؛ إمَّا هو يتقي بنفسه من كان في مجلسه، أو كان يعلّم الطَّرف المقابل حتَّى يقيه من القتل إن كان يتوضّأ الوضوء الصحيح، وقد وردت روايات ومن جملتها ما يتعلّق بالإمام الكاظم عليه السلام أنَّه عندما يعلّم شخصًا مسألة بسيطة في أحكام النّساء، ويخرج من الخيمة ينظر يمينًا وشمالاً حتَّى يتأكَّد لا يوجد أحد يسمعه، وبعد ذلك يهمس بأذن السَّائل ويجيبه بجواب؛ وفي الدَّائرة نفسها ورد كذلك أنَّ الإمام الكاظم عليه السلام عندما استشهد الإمام الصّادق عليه السلام تحيّر بعض شيعة أهل البيت إلى من يقصدون؛ حتَّى أرسل لهم الإمام الكاظم عليه السلام أحد خدمه، وأشار إليهم اتبعوني، فتبعوه على خيفة إلى أن دخلوا على الإمام الكاظم عليه السلام؛ وكانوا متحيّرين أين يذهبون، إلى المرجئة أم إلى القدرية، فعندما

١ – كامل الزيارات: ١٧٧.

٢ –مصباح المتهجد وسلاح المتعبد، الطوسي، محمد بن الحسن(ت٤٦٠ هـ)، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، الأولى: ٢/ ٥٨١.

دخلوا على الإمام الكاظم عليه السلام، فقال: ((**لا إلى المرجئة ولا إلى القدرية ولا إلى الحرورية ولا إلى الزيدية ولكن إلينا**))[١]، وحينما تكلَّم معهم، وتبيّن لهم الحقّ سأله بعضهم هل نبلغ إخوتنا بذلك؟

فأجابهم الإمام عليه السلام: **لا إنَّه الذّبح، وأشار إلى رقبته**[٢].

وهناك العشرات من الروايات كانت في هذا المضمار؛ ولكن ما يظهر أنَّ الإمام الحجّة(عجل الله تعالى فرجه الشّريف) إذا ظهر هذه المسائل التي عانى الأئمّة عليهم السلام لا تكون معه؛ وهذا واضح في دعاء الافتتاح كما قلنا.

المسألة المهمّة الأخرى أنَّ النّص يقول: ((**مَعَ إِمَامٍ مَهْدِيٍّ نَاطِقٍ لَكُم**))؛ فما معنى ناطق بالحق منكم؟

هل إنَّ الأئمّة عليهم السلام الذين كانوا قبله لا ينطقون بالحقّ مثلاً أو ينطقون بغير الحقّ -والعياذ بالله-؟ مما لا شكّ فيه، أنَّ الأئمّة عليهم السلام البقية أيضًا أئمّة هدى وظاهرون وناطقون بالحقّ ومن أهل البيت عليهم السلام؛ ولكن معنى ناطق بالحق أنَّه لا يخشى من أحد كما كان الأئمّة عليهم السلام يخشون من ذلك؛ بل في بعض الرّوايات، والأدعية أنَّ الإمام المهدي عليه السلام منصور بالرّعب في وجوده الشَّريف؛ فهو يرعب قلوب المنافقين كما في قوله تعالى: ((**سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ**))[٣]، والإمام الحجة منصور بالرّعب، ولا يخشى من أحدٍ؛ وهذا سيكون بعد ظهوره العام وإعلان دعوته.

---

١ - كمال الدين وتمام النعمة، ابن بابويه، محمد بن علي(ت٣٨١ هـ)، الإسلامية، طهران، الثانية: ١/ ٧٤.

٢ - بحار الأنوار: ٤٨، ٢٧١.

٣ - ال عمران: ١٥١.

المفهومُ الحقيقيّ للمُصيبة

ثـمَّ قـال الإمـام عليه السلام: ((**وَأَسْـأَلُ الله بِحَقِّكُـمْ وَبِالشَّـأْنِ الَّـذِي لَكُـمْ عِنْـدَهُ- أَنْ يُعْطِيَنِي بِمُصَـابِي بِكُـمْ أَفْضَـلَ مَـا أَعْطَى مُصَابـاً بِمُصِيبَـةٍ [بِمُصِيبَتِـهِ]**))[1].

مفهـوم المصيبـة تختلـف مـن شـخص إلى آخـر؛ فتـارة يوجـد شـخص إذا فُقِـد منـه مـال زهيـد يحسـبها مصيبـة حلّـت بـه، والآخـر إذا مـرض أو أصابتـه وعكـة معيّنـة يحسـبها مصيبـة؛ فالموازيـن والمقاييـس تختلـف في تشـخيص المصيبـة، وهنـاك مصائـب لا تعـوّض، وهنـاك مصائـب يمكـن تعويضهـا.

لقـد خلـق الله سـبحانه وتعـالى الإنسـان، وتنقّـل في مجموعـة عـوالم؛ ومـن جملتهـا عـالم الدّنيـا، وهـو عـالم سـنفارقه شـئنا أم أبينـا، فطريـق الجميـع المـوت؛ وكلّـما ادّخر الإنسـان أو أخـذ مـن هـذا العـالم إلى ذلـك العـالم الدّائـم اسـتطاع الاسـتفادة مـن تلـك الأعـمال في تلك المنـازل؛ وخسـارة تلـك الأعـمال، وذلك الـزّاد يُعـدّ مصيبة؛ أمَّا بقيـة الأمور لـو نظرنا إليها بمنظـارٍ آخـر ليـس فيـه مصائب؛ بـل حتَّى عندما يفقد الإنسـان عزيـزًا؛ يتـألّم؛ وهي مصيبة بمقـدار مـا، لكنهـا لا تؤثّـر عـلى مصيـره يـوم القيامة؛ أمَّـا إذا ابتـلي بدينه فهذه هـي المصيبة؛ فالمصيبـة عندمـا يُثلـم دينه وهو يشـعر، أو لا يشـعر؛ لكـن النَّتيجة أنَّ هذه الثّلمـة تؤثّر عليه يـوم القيامـة، ويجـب أن يُفكّـر أنَّ المصيبـة هي هذه.

إنَّ الله تعالى خلق فينا عقلاً نستعمله مرّة واحدة في هذه الدّنيا، والعمل بالعقل يقرّب صاحبه من المصيبة أكثر؛ فقد يبدو الإنسان فينا عزيزًا مُهابًا قويًّا لكنّه هو في مصيبة، وما أقبحها من مصيبة وهو لا يشعر عندما يأتي يوم القيامة صفر اليدين، وتوزن الأعمال، ويُبان أنَّ هذا الشخص هو في المصيبة ومصيبة عظيمة لا ينجيه منها أحد.

إنَّ مصيبتنا بالإمام الحسين عليه السلام عظيمة؛ لأنَّ قتل الإمام الحسين عليه السلام هو وقوف في وجه الإمامة المنصوبة من قبل الله تعالى؛ والإنسان إذا فقد الإمام عليه السلام فهذه عين المصيبة فضلاً

١ - كامل الزيارات: ١٧٧.

عن الطّبيعة الهمجية التي مارسها طغاة آل أميّة في قتلهم للإمام الحسين عليه السلام وقتل عائلته إلى آخر ما حصل، لكن كون المقتول هو الإمام عليه السلام والمنصب الإلهي الذي تمثّل فيه عليه السلام لا تُعادلها مصيبة؛ ولذلك امتداد أمر الإمام أكثر؛ فيه نفع للأمّة؛ بل فيه أمان للأمّة، وكلّما يكون هذا عن طريق أعمال بني آدم عن طريق القتل أو عن طريق السّمّ هي في الحقيقة مصيبة تعود لنا، ومصيبة عظيمة جدًّا؛ نعم كما قلت: مصيبتنا في عليّ الأكبر وفي عبد الله الرضيع وفي أهل البيت وفي الصحابة مصيبة، ونستمر نُحييها إلى أن نخرج من الدّنيا؛ لكن عندما يتصوّر الإنسان أنَّ أَمامَه قتل الإمامة التي وقف إزاءها طغاة بني أمية فهذه مصيبة قد حلّت بنا؛ وأنّنا بفقد إمامنا نفقد البركات، ونفقد الخيرات، كما أنَّ غيبة الإمام الحجّة مصيبة -في الواقع- لنا؛ ولذلك نتمنى دائمًا الخروج من هذه المصيبة، وأن يفتح الله سبحانه وتعالى علينا، وأن تنتهي الغيبة الكبرى بحضوره المبارك؛ فنحن نُعاني من غيبة وفقدان الإمام.

إنَّ اغتيال الإمام عليه السلام بهذه الطّريقة يعني التَّعدّي على الإمامة والنّبوّة والمقامات الإلهية؛ وأنتم تعلمون نحن في بداية الزّيارة ذكرنا أنَّه هناك رُتب، وأنَّ الله تعالى لعن أمّةً دفعتكم عن مقامكم، وأزالتكم عن مراتبكم التي رتّبكم الله فيها، فتلك الرّتبة التي أعطاها الله تعالى للإمام عليه السلام، هو إمام الأمّة، انتقلت وسُرقت إلى طاغوت حقيرٍ صغيرٍ يلعب بالقرود، ويشرب الخمر، ونُعت بلقب أمير المؤمنين وهو أفسق الفاسقين، كلّها مصائب حلّت بالأمّة الإسلاميّة، ولا تزال الأمّة تَئِنّ من جرّاء هذه المصيبة إلى أن تستفيق من نومتها ستبقى مصيبة الأمّة الإسلامية لأنّه لم يعرفوا الحقّ، وأصبحوا يقارنون عديد الطّغاة بالأشراف وهؤلاء الفسقة، ويجعلون أنموذجًا للإسلام، والإسلام الحقيقي بريء منهم كبراءة الذّئب من دم يوسف عليه السلام.

نسأل المولى تبارك وتعالى أن يرزقنا وإيّاكم طلب ثأر الإمام الحسين مع إمام هدى ظاهر بالحق منهم عليهم السلام، وأن يعطينا أجرًا بمصيبة الحسين عليه السلام؛ إنّه نِعم المولى ونعم النّصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطّيبين الطّاهرين.

المبحث السابع

التَّوفيقُ لمحيا ومَمَاتِ المعصومِينَ عليهم السلام

قال الإمامُ الباقرُ عليه السلام: « **اللهُمَّ اجْعَلْنِي فِي مَقامِي هذا مِمَّنْ تَنالَهُ مِنْكَ صَلَواتٌ وَرَحْمَةٌ وَمَغْفِرَهٌ، اللهُمَّ اجْعَلْ مَحْيايَ مَحْيا مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَمَماتِي مَماتَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، اللهُمَّ إِنَّ هذا يَوْمٌ تَبَرَّكَتْ بِهِ بَنُو أُمَيَّةَ وَابْنُ آكِلَةِ الاَكْبادِ اللَّعِينُ ابْنُ اللَّعِينِ عَلى لِسانِكَ وَلِسانِ نَبِيِّكَ صلى الله عليه وآله فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَمَوْقِفٍ وَقَفَ فِيهِ نَبِيُّكَ صلى الله عليه وآله.**

اللهُمَّ العَنْ أَبا سُفيانَ وَمُعاوِيَةَ وَيَزِيدَ بْنَ مُعاوِيَةَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ اللَّعْنَةُ أَبَدَ الابِدِينَ، وَهذا يَوْمٌ فَرِحَتْ بِهِ آلُ زِيادٍ وَآلُ مَرْوانَ بِقَتْلِهِمُ الْحُسَيْنَ صَلَواتُ الله عَلَيْهِ، اللهُمَّ فَضاعِفْ عَلَيْهِمْ اللَّعْنَ مِنْكَ وَالعَذابَ الاليم، اللهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ فِي هذا اليَوْمِ وَفِي مَوْقِفِي هذا وَأَيامِ حَياتِي بِالبَرائَةِ مِنْهُمْ وَاللَّعْنَةِ عَلَيْهِمْ وَبِالْمُوالاةِ لِنَبِيِّكَ وَآلِ نَبِيِّكَ عَلَيهِ وَعلَيْهِمُ، السَّلامُ»[1] .

التَّركيزُ على عاشوراء

شهر صفر ومن قبله شهر محرّم الحرام، هما شهرا الإمام الحسين والإمام السّجّاد وزينب الحوراء عليهم السلام، وقد ندب الشّارعُ المقدّس عن طريق كمٍّ هائلٍ من الرّوايات الشَّريفة لإحياء ما يتعلّق بسيِّد الشّهداء عليه السلام، بل لعلَّنا ذكرنا أنَّ بعض الرّوايات كانت تُعبِّر بالجفاء لِمَنْ لا يزورُ الإمامَ الحسين عليه السلام، يعني بشكلٍ مطلق وليس في هذين الشّهرين فقط، والإمام الصّادق عليه السلام عندما سأل أحدَهم وهو كان قريبًا من كربلاء ولعلّه في الكوفة بقوله: ((**تَزُورُ قَبْرَ الْحُسَيْنِ عليه السلام فِي كُلِّ يَوْمٍ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ لَا قَالَ فَمَا أَجْفَاكُمْ قَالَ فَتَزُورُونَهُ فِي كُلِّ جُمْعَةٍ قُلْتُ لَا قَالَ فَتَزُورُونَهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ قُلْتُ لَا قَالَ فَتَزُورُونَهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ قُلْتُ قَدْ يَكُونُ ذَلِكَ قَالَ يَا سَدِيرُ مَا أَجْفَاكُمْ لِلْحُسَيْنِ عليه السلام**))[2].

---

١ -كامل الزيارات: ١٧٧.

٢ - الكافي: ٤/ ٥٨٩.

إنَّ هذا التّعبير من الإمام الصّادق عليه السلام لمعنى الجفاء؛ وهو أن لا يعتني الإنسان بشخصٍ ما مع معرفته به، أمَّا إذا لم أكن أعرفه وجفوته لا يُعبّر عنّه بالجفاء، وهذا المقام الكبير والكريم لسيّد الشهداء عليه السلام والذي هو من مقام أخيه عليه السلام، ومن مقام أمير المؤمنين عليه السلام، والخلاصة هو من مقام النبيّ الأعظم محمد صلى الله عليه وآله يستدعي عدم الجفاء؛ ولو أردنا أن نُحصي الرّوايات التي صدرتْ من النّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله في حقّ الإمام الحسين عليه السلام لظفرنا بروايات متعدّدة، وبعضها واضح الدّلالة على هذا المقام الكبير لسيّد الشّهداء عليه السلام، من قبيل القول: ((**إنّ الحسين مصباح الهدى**))[1]، أو ((**معلّقٌ على ساق العرش الحسيُن مصباحُ هدىً**)) أو ((**حسينٌ منّي وأنا من حسين**))[2]، أو لمّا أُسري بالنّبيّ صلى الله عليه وآله وجاء إلى أمّ سلمة[3] من بعض إسراءاته، وكان مُغبرًّا متأذّيًا، وكشف لها عن ما سيحدث لسيّد الشهداء عليه السلام، وأودعها تربةً من تربة كربلاء من موقع الشّهادة، وقال: هذا يبقى عندكِ ليكون علامةً على شهادته، وكانت تنظر إليه، فنظرت إليه صبيحة يوم عاشوراء فلم ترَ فيه شيئًا، ونظرت إليه في عصر عاشوراء فوجدته قد تحوّل إلى دم، وأمثال ذلك من الرّوايات الكثيرة المتعلّقة بسيّد الشّهداء عليه السلام.

إنَّ نهضة سيّد الشهداء عليه السلام ليست حدثاً طارئًا في منظومة الأئمّة عليهم السلام، وإنّما هذا الحدث له مركزيّة عندهم عليهم السلام، فكانوا يهتمّون به اهتماماً كبيراً، وينصبّ هذا الاهتمام أحياناً في بيان فضل الإمام الحسين عليه السلام، وتارةً في حثٍّ أصحابهم على الزّيارة، وأخرى في حثٍّ أصحابهم على إقامة مراسيم إحياء ذكرى عاشوراء،

---

١ – مدينة معاجز الأئمة الإثني عشر: ٤/ ٥٢.

٢ – كامل الزيارات: ٥٢.

٣ – أم سلمة، زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله، وإحدى أمهات المؤمنين. اعتنقت الإسلام في أوائل البعثة والإعلان عن الرسالة، فهي من السابقين إلى الإسلام ومن ضمن القافلة التي هاجرت إلى الحبشة. تزوجها النبي صلى الله عليه وآله في السنة الرابعة للهجرة بعد وفاة زوجها. توفيت أم سلمة حسب أكثر المؤرخين بعد واقعة عاشوراء.(ينظر: الحكيمي، محمد رضا، أعيان النساء، بيروت – لبنان، د.ن، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م:١، ٦٢٧ / ٦٢٨).

أو حثّ الشّعراء أن يندبوا سيِّد الشّهداء عليه السلام وأمثال هذه الرّوايات، حتّى إنَّ من جملة ما تكون من مهامّ الإمام المهديّ (عجل الله تعالى فرجه الشريف) بيان مظلوميّته؛ لكونه هو المُطالِب بثأره، والذي يقرأ ما يتعلّق بالإمام المهديّ عليه السلام في زياراته وغيرها يرى أنَّ هذا المعنى لائح وواضح.

استثمارُ الفرصة

من جملة الفقرات التي ذَكَرَتها زيارةُ عاشوراء وقد نقرأها بشكلٍ سريع لكن هي في غاية الأهمّيّة: ((**اللهُمَّ اجْعَلْنِي فِي مَقَامِي هَذَا مِمَّنْ تَنَالُهُ مِنْكَ صَلَوَاتٌ وَرَحْمَةً وَمَغْفِرَة**))[1] والشاهد في هذا المقطع قال: ((**اللهُمَّ اجْعَلْ مَحْيَايَ مَحْيَا مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَمَمَاتِي مَمَاتَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ** صلى الله عليه وآله))[2].

في بعض الحالات لا يعرف الإنسان بماذا يدعو، وعندما يوفَّق للمكان والزّمان المباركين قد تتزاحم في ذهنه مجموعة طلبات، وبعض الطّلبات قد يكون فيها تناقض من حيث لا يشعر، فالدّعاء أو فلسفته إضافةً إلى اجتماع المكان والزمان على الإنسان أن يكون متبصّراً بمادّة الدّعاء، وبماذا يدعو وماذا يطلب؛ لأنّه من غير المعلوم أن يتكرّر هذا الموقف؛ لذلك لابُدّ أن يستثمر هذه الوقفة بأن يدعو دعاءً يفتح له آفاقًا كثيرة، أو يزور بزيارة مهمّة من نحو زيارة عاشوراء.

إنَّ الدّعاء في بعض الحالات وكذلك الزّيارة لهما ميزات مهمّة ومقامات معنويّة تنبع منهما؛ ومن هذه المقامات مثلاً: ((**اللهُمَّ اجْعَلْنِي فِي مَقَامِي هَذَا مِمَّنْ تَنَالُهُ مِنْكَ صَلَوَاتٌ وَرَحْمَةً وَمَغْفِرَة**))، ثمّ دعاءٌ آخر: ((**أَنْ يُكْرِمَنِي بِكَ وَيَرْزُقَنِي**

١ - كامل الزيارات: ١٧٧-١٧٨.
٢ - م. ن: ١٧٨.

طَلَبَ ثَارِكَ مَعَ إِمَامٍ مَنْصُورٍ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍﷺ))[1] وأمثال ذلك من المقامات، كأن يقول الدّاعي: ((**اللهُمَّ اجْعَلْ مَحْيَايَ مَحْيَا مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَمَمَاتِي مَمَاتَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ**ﷺ))، فما هو محيا حياة النّبيّ ﷺ وآله عليهم السلام.

كيف نحيا محياهم عليهم السلام؟

الصّفات النّفسانيّة للنبيّ الأعظم محمد ﷺ لا تُدرك، والمقام الحقيقيّ لسيّد الرُّسل لا يُدرك، لكنَّ النّبيّ ﷺ عاش بين أظهرهم وما وصل إلينا من سيرته المتواترة غير المدسوسة وما بيّنه القرآنُ الكريم من شخصه الكريم، قد وضعا لنا منهجًا، وهذا المنهج أراد النّبيّ ﷺ منّا أن نحذو حذوه، ونحن لنا في سنّته ﷺ أسوة حسنة، ولنا في هذه السيرة العطرة وفي طريقة معيشته وأسلوب معيشته والتّعاطي مع مجتمعه وعلاقته مع الله تعالى أسوة حسنة.

لا شكّ أنَّ النّبيّ ﷺ كان زاهدًا في الدّنيا على الرّغم مما أوتي من خيراتٍ هائلة، والله تعالى فتح له كلّ شيء حتى وصل إلى درجة من الزّهد عبَّر عنه أمير المؤمنين عليه السلام تعبيرًا في منتهى الدّقّة بقوله: ((**وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ خُبْزِ الْبُرِّ ثَلَاثَةَ أَيَّام**))[2]، والبُرُّ يعني الحنطة، والنّبيّ ﷺ لم يخلّفْ شيئاً ضخماً من المال، وفي سيرة حياته هناك حالة من الانقطاع إلى الله تعالى، وهذا الزّهد من النّبيّ ﷺ في الدنيا كان في مكنون سلوكه، فهو لم ينكبّ على الدّنيا وما فيها من متاع، وسلوكنا يجب أن يدلّ على أنَّ زهدنا في الدّنيا معناه خذْ من الدّنيا ما يُعينك على آخرتك، وستكون أنت من الذين يحملون أمورهم بشكلٍ خفيف يوم القيامة.

هذا الوجود المبارك المقدّس عاش حياةً ملؤها هذا الوجود، وهذا المعنى

---

١ – كامل الزيارات: ١٧٧.

٢ – الغارات: ٢/ ٧٠٧، كشف الغمة في معرفة الأئمة: ١/ ١٦٣.

سرى على الأئمّة عليهم السلام، حتّى أنَّ ابنته السّيّدة الزّهراء عليها السلام عاشت هذا الزّهد في الدنيا، فقد ورد في سيرتها أنَّها عليها السلام ((**اسْتَقَتْ بِالْقِرْبَةِ حَتَّى أَثَّرَ فِي صَدْرِهَا وَجَرَتْ بِالرَّحَى حَتَّى مَجِلَتْ يَدَاهَا وَكَسَحَتِ الْبَيْتَ حَتَّى اغْبَرَّتْ ثِيَابُهَا وَأَوْقَدَتْ تَحْتَ الْقِدْرِ حَتَّى دَكِنَتْ ثِيَابُهَا**))، فَقِيل لَهَا: ((**لَوْ أَتَيْتِ أَبَاكِ فَسَأَلْتِيهِ خَادِماً يَكْفِيكِ حَرَّ مَا أَنْتِ فِيهِ مِنْ هَذَا الْعَمَلِ، قَالَ أَفَلَا أُعَلِّمُكُمَا مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنَ الْخَادِمِ إِذَا أَخَذْتُمَا مَنَامَكُمَا فَكَبِّرَا أَرْبَعاً وَثَلَاثِينَ تَكْبِيرَةً وَسَبِّحَا ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ تَسْبِيحَةً وَاحْمَدَا ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ تَحْمِيدَةً فَأَخْرَجَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام رَأْسَهَا وَقَالَتْ رَضِيتُ عَنِ اللهِ وَعَنْ رَسُولِهِ رَضِيتُ عَنِ اللهِ وَعَنْ رَسُولِه**))[1].

لاحظوا الجوانب المعنويّة العالية في هذه الحياة المباركة، وأنا أتحدّث عن نفسي قد لا أقوى على حياة النّبيّ وآله، وأن يعيش الإنسان حياة النّبيّ وآله، لكن عندما يكون هذا طموح الإنسان وأن يكرّر دائماً ((**اللهُمَّ اجْعَلْ مَحْيَايَ مَحْيَا مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَمَمَاتِي مَمَاتَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ**))، ويجعل هذه المسألة طموحه سيقترب شيئًا فشيئاً من كثيرٍ ممّا رسمه المصطفى صلى الله عليه وآله، والنّبيّ يترك هذه الأُمنية ويعلّم الزّهراء عليها السلام تسبيحًا لا زلنا نعيش بركته إلى هذا اليوم، وهذا التّسبيح فيه من الفتح للإنسان المؤمن الشّيء الكثير، وهو تسبيح الزّهراء عليها السلام[2] المعروف الذي جعَلَه المؤمنون ذكرًا في أعقاب صلواتهم وفي غيرها.

إنَّ هذا المنهج الذي رسمه النّبي صلى الله عليه وآله لنا حينما يعيشه الإنسان تكون عنده رؤية واضحة لمعالم الطّريق الذي يُفتح أمامه، ولعلّ هذه النّكتة هي مهمّة لنا في حياة النّبيّ صلى الله عليه وآله، وأنا لا أتحدّث عن هذا الجانب فقط وإنّما حياة النبيّ صلى الله عليه وآله كانت مملوءة بالقوّة والشّجاعة والتّحمّل، فضلاً عن هذا الجانب الذي ذكرتُه، لكنَّ النّبيّ صلى الله عليه وآله لم

١ – من لا يحضره الفقيه: ١/ ٣٢١، مكارم الأخلاق: ٢٨٠.

٢ – تسبيح الزهراء عليها السلام وهي أربع وثلاثون تكبيرة وثلاث وثلاثون تحميدة وثلاث وثلاثون تسبيحة، مصباح المتهجد وسلاح المتعبد: ١/ ٤٠.

يتراجع قيد شعرة عن أداء الرّسالة التي هو فيها، بل جاهد جهادًا كبيرًا في سبيل الله -سبحانه وتعالى- وتحمّل الأذى من قومه، وتحمّل الأذى في غزواته، وتحمّل الأذى النّفسيّ فيما يُفعل بذرّيّته من بعده، وهذا الإصرار منه ﷺ كان كبيرًا.

كانت حياته حياةً مملوءةً بالرّؤية والقوّة والشّجاعة ووضوح ما عنده ﷺ، والتّحمّل الشّديد من أجل أن يوصل هذه الأمانة إلى ما وصلت إليه، وأنتم تعلمون أنَّ النّبيّ ﷺ حتّى قبل البعثة أيْ قبل أن يأمره الله تعالى - تبارك وتعالى- بأن يصدح برسالته لم يمسكْ عليه المشركون خطأً قطّ، وحاشاه، وإنّما أعمالُه كانت أعمالاً ضمن الموازين النّبويّة الواضحة؛ ولذلك نال ما نال من موقعٍ مميّز فيهم، وكانت له هيبةٌ لم تعطَ لأحدٍ غيره، وحسب رواياتنا حتّى أنَّ جبرائيل عليه السلام كان يجلس أمامه مجلس العبد، وقد ورد في روايات الفريقين أنَّه عندما أُسري به ﷺ وبعد أن عُرج به إلى السّماء وصل إلى مكانٍ لم يقوَ أحدٌ من الملائكة أن يصل إليه.

في هذه الحياة نحن عندما نرى هذا الوجود ونرى سلوكه على الأرض كيف كان نطلب من الله تعالى في هذه الزّيارة ونحن نزور الإمام الحسين عليه السلام بزيارة عاشوراء، ونقول -ولابُدّ أنّ هذا طلبٌ مهمّ-: ((**اللهُمَّ اجْعَلْ مَحْيَايَ مَحْيَا مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَمَمَاتِي مَمَاتَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ**))، وفرصة الزّيارة هذه لا تُتاح دائماً للإنسان أن يوفَّق ويأتي إلى الإمام الحسين عليه السلام في العاشر من محرّم ويزور بزيارة عاشوراء، ولكن إذا وُفِّق عليه أن يلتفت إلى تلك الكلمات التي أنشأها الإمامُ الباقر عليه السلام للزّائر، وكيف تحيا حياةَ محمّدٍ وآل محمّد؛ حياة ليست فيها شبهة ولا تردّد ولا تزلزل، وليس فيها وجهان؛ وجه حقّ ووجه باطل، وإنّما هي حياة واضحة المعالِم كهدفٍ لابُدّ منه لهذا المؤمن وهو أن يرضى الله تعالى عنك.

كيف نموتُ مماتهم عليهم السلام؟

ثـمّ لم يكتـفِ بذلـك الدّعـاء فقـال: ((**اللهُـمَّ اجْعَـلْ مَحْيَـايَ مَحْيَـا مُحَمَّـدٍ وَآلِ مُحَمَّـدٍ وَمَمَاتِي مَمَاتَ مُحَمَّـدٍ وَآلِ مُحَمَّـدٍ**)) ، وإنَّما أشار إلى ممات محمّدٍ وآل محمّد؛ وهذه مسألة مهمّة، وأنَّ الإنسان في الحياة الدنيا يطلب كيف يختار الموت، وقد ذكرت سابقاً حتّى في هذه النقطة أنَّ سيّد الشهداء عليه السلام متفضّلٌ علينا، وأنّ الإمام الحسين عليه السلام يريدنا أن نتعلّم في الحياة كيف لنا أن نختار عاقبة أمرنا، والإنسان عندما يجعل مبدأه «اللهمّ اجعل حياتي نفس حياة النبيّ وآله، ومماتي نفس ممات النبيّ وآله» فهنا إشارة إلى طريقة الموت التي ترفع مقامه إمّا على ظلامة وإمّا على شهادة،، ونحن معلوم عندنا أنَّ الأئمّة الأطهار عليهم السلام استُشهِدوا، والنّبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله أيضاً مات مسموماً كما ورد في رواياتنا، ويقول الإمام الحسين عليه السلام: ((**خُطَّ الْمَوْتُ عَلَى وُلْدِ آدَمَ مَخَطَّ الْقِلَادَةِ عَلَى جِيدِ الْفَتَاةِ**))[1]، والنَّتيجة لا مفرّ من الموت، والإنسان قد يهرب من الموت يوماً أو يومين، ولكن بعد ذلك يبدأ يُلاحقه الموت إلى أن يصل إلى حالٍ يضعف فيه، وإن لم ندرك الموت يُدركنا، لكن الإنسان عندما يُحدّد مساره في خطّ الاستقامة يُوفِّقه الله تعالى إلى ميتةٍ شريفةٍ ونبيلة.

اختيارُ الموت نحوٌ من التَّوفيق؛ فمثلاً عبيد الله بن الحرّ الجعفي لم يكن موفَّقاً في اختيار موته وانتهاء أجله، لكن شتّان بين موته وموت الحرّ الرّياحيّ، أو بين موته وموت زهير بن القين، أو بين موته وموت آخرين غيرهم، فالذين سحبوا أنفسهم من قتال سيِّد الشّهداء عليه السلام، والذين قاتلوا سيِّد الشهداء عليه السلام؛ كلاهما كان حظّهم الأوكس، ولم يُوفَّقوا أن يختاروا ميتةً خالدة، لقد انتهوا من الدّنيا حتّى أنَّنا لا نستطيع أن نتذكّرهم، والتاريخ أهملهم اسماً ورسماً، مع أنَّ التاريخ قال: جاءوا بأعدادٍ قد تصل إلى ثلاثين ألفًا أو سبعين ألفًا، والتاريخ ذكر لنا بعض

١ - نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ٨٦.

الـرّؤوس منهـم، أمّـا أصحـاب الإمـام الحسـين عليه السلام التاريـخ تتبَّعهـم واحـداً واحـداً، وكتـب سـيرتهم بأحـرفٍ مـن نـور؛ لأنَّ هـؤلاء اختـاروا المـمات الـذي هـو مـماتُ النّبـيّ وآلـه مـع الإمـام الحسـين عليه السلام؛ وهكـذا الذيـن كانـوا مـع الإمـام الحسـن عليه السلام ومـع الإمـام الصـادق عليه السلام، ثـمَّ إنَّ الدّعـاء في قضيّـة المـمات يحتـاج إلى بصـيرة وهـي نقطـة مهمّـة، ففـي بعـض الحـالات يكـون المـمات عـلى سـلامةٍ مـن العقيـدة، وأنَّ الإنسـان قـد تمـرّ بـه زلازل مـن الفتـن ويبقـى مـع ذلـك شـامخاً كالطّـود لا تهـزّه العواصـف، وعقيدتُـه عقيـدةٌ صُلبـة لا يتزلـزل ولا يتزعـزع، إذ كان عـلى العقيـدة التـي جـاء بهـا النبـيّ وآلـه فحَيـيَ حياتـه عليهـا ومـات أيضـاً عليهـا.

وليـس بالـضرورة أن أمـوت كـما ماتـوا بالشّـهادة أو السـمّ، إنّـما أن أمـوت كـما ماتـوا بالبقـاء عـلى هـذه العقيـدة الصُلبـة ولم أتزلـزل، قـال أمـير المؤمنـين عليه السلام: ((**لَـوْ ضَرَبْـتُ خَيْشُـومَ الْمُؤْمِـنِ بِسَـيْفِي هَـذَا عَـلَى أَنْ يُبْغِضَنِـي مَـا أَبْغَضَنِـي وَلَـوْ صَبَبْـتُ الدُّنْيَـا بِجَمَّاتِهَـا عَـلَى الْمُنَافِـقِ عَـلَى أَنْ يُحِبَّنِـي مَـا أَحَبَّنِـي**))[1].

لا يكفـي مـن الإنسـان أن يقـول مثـلاً: إنّي أوالي النّبـيّ وآلـه، وإنَّـما هنـاك تمحيـصٌ، وهـذا التّمحيـص يكـون تـارة عـلى شـكلِ فقـر، أو يُبتـلى بسـجنٍ، أو يُبتـلى بمصائـب، أو يُبتـلى بـشيء آخـر لكـن الإنسـان عندمـا يقـول: إنّي أحـبّ أن أحيـا حياتهـم فهـذه هـي حياتهـم مـع البصـيرة ومـع القـوّة ومـع الشـجاعة، ولكـن لا تخلـو مـن ابتـلاءات.

الانتصارُ في معنى آخر

المسـافة الزَّمنيّـة في واقعـة بـدر وواقعـة أُحُـد قريبـة، وهـؤلاء حديثـو عهـدٍ بالإسـلام وكانـوا يتصـوّرون أنّـه مـا دام النبـيّ صلى الله عليه وآله مسـدَّداً مـن الله تعـالى فنحـن لابُـدّ أن ننتـصر كيفـما اتّفـق، والنّبـيّ صلى الله عليه وآله انتـصر لكـن نـصرُ السّـماء غـير نصرنـا الظّاهـريّ، وهكـذا سـيّد

١ - شرح نهج البلاغة:١٨، ١٧٣.

الشّهداء عليه السلام انتصر، والسّيدة زينب عليها السلام انتصرت، وإن تُرِكَ الإمام الحسين عليه السلام ثلاثة أيّام على رمضاء كربلاء؛ فالله تعالى ينصر دينه، وينصر رسله، وينصر أولياءه، وينصر المؤمنين ولو بعد حين؛ ولكنّنا ولنظرتنا القاصرة نرى أنَّ هذه الأمور هي حالة من الهزيمة، وحالة من الانكسار، غافلين عن اختبار المؤمن وابتلائه .

إنَّ المؤمن الذي يعيش هذه الحياة مع عقيدة لا يشوبها الشّكّ سيكون مؤمنًا قويًّا؛ لأنَّه لا خسران في حياته، أمّا إذا تزعزعت العقيدة كما حصل في واقعة أحد حينما كان المسلمون حديثي عهدٍ بالإسلام وقد استطاعوا أن يُحقِّقوا النّصر في بداية المعركة لكن عندما حصلت الفتنة حينها لم يلتزموا بقول النّبيّ صلى الله عليه وآله إلى الآخِر، والذي لم يوفَّقْ أن يسمعَ كلام النّبيّ صلى الله عليه وآله وبقي عاصيًا نال جزاءه، والذي التفت بعد ذلك عرف أنَّه أخطأ وما كان ينبغي له أن يعصي النّبيّ صلى الله عليه وآله، وفي نهاية الأمر انكسر المسلمون في واقعة أُحُد كسرةً ظاهريّة قويّة، لكن كانت حافزًا للبعض أن يلتفت.

إنَّ البقاء مع النبيّ صلى الله عليه وآله وآله الطَّاهرين يحتاج إلى تسليم وعقيدة قوية وورع وتقوى؛ وأما إذا عصيت النّبيّ صلى الله عليه وآله فهذا دليل واضح أنَّ حياتي ليست حياة الرّسول الأعظم محمّدٍ صلى الله عليه وآله وآله الطَّاهرين عليهم السلام، وإنَّما هي حياة غيرهم، وتلك حياة عصيان وتمرّد، ولا يُمكن لأمثال عبيد الله بن الحرّ أن يقول: حياتي حياة محمّد وآل محمّد عليهم السلام هيهات ثمّ هيهات، وأيضاً لا يُمكن لبعض مَنْ عاصر الأئمّة عليهم السلام وخالفهم أن تكون حياته حياة محمّدٍ وآل محمّد عليهم السلام، وقد يُصاب الإنسان -والعياذ بالله- بعاقبةٍ غير محمودة، وبعضُ الناس كانوا وكلاء الإمام الكاظم عليه السلام ولكن بعد ذلك كُتب لهم سوء الخاتمة، وأنقل رواية من باب الشّاهد على ذلك وإلّا هناك قصصٌ كثيرة في هذا المجال.

علي بن أبي حمزة البطاني شخصيّةٌ معروفة أنكَرَ وفاة الإمام الكاظم عليه السلام طمعًا في حفنةٍ من الدَّنانير كانت عنده، ونصّ الحادثة: ((**كَانَ بِدَعُ الْوَاقِفَةِ أَنَّهُ كَانَ اجْتَمَعَ ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِينَارٍ عِنْدَ الْأَشَاعِثَةِ زَكَاةُ أَمْوَالِهِمْ وَمَا كَانَ يَجِبُ عَلَيْهِمْ فِيهَا فَحَمَلُوا إِلَى وَكِيلَيْنِ لِمُوسَى** عليه السلام

بِالْكُوفَةِ أَحَدُهُمَا حَيَّانُ السَّرَاجُ وَالْآخَرُ كَانَ مَعَهُ وَكَانَ مُوسَىعليه السلام فِي الْحَبْسِ فَاتَّخَذُوا بِذَلِكَ دُوراً وَعَقَدُوا الْعُقُودَ وَاشْتَرَوُا الْغَلَّاتِ فَلَمَّا مَاتَ مُوسَىعليه السلام فَانْتَهَى الْخَبَرُ إِلَيْهِمَا أَنْكَرَا مَوْتَهُ وَأَذَاعَا فِي الشِّيعَةِ أَنَّهُ لَا يَمُوتُ لِأَنَّهُ هُوَ الْقَائِمُ فَاعْتَمَدَتْ عَلَيْهِ طَائِفَةٌ مِنَ الشِّيعَةِ وَانْتَشَرَ قَوْلُهُمَا فِي النَّاسِ حَتَّى كَانَ عِنْدَ مَوْتِهِمَا أَوْصَيَا بِدَفْعِ الْمَالِ إِلَى وَرَثَةِ مُوسَىعليه السلام وَاسْتَبَانَ لِلشِّيعَةِ أَنَّهُمَا قَالَا ذَلِكَ حِرْصاً عَلَى الْمَالِ))[1].

لاحظو كيف تسوّل الدّنيا للإنسان فتكون عاقبته عاقبةً سيّئة، يعيش فترة لكن هذه الفترة للأسف لا يُكملها الإنسان حتى يتعرّض إلى ابتلاءات، ويتعدّد الابتلاء فيكون في المال وفي الجاه وفي كلّ ما يُمكن أن يُزلزل هذه العقيدة، والآخرون لو لم يكونوا فعلوا ما فعلوا فإنّه لا يُمكن أن يتزلزلوا قيد شعرة، فهذا أنكر وفاة الإمام الكاظمعليه السلام من أجل حفنةٍ من الدّنانير، وقال: الإمام لم يمت والإمام الرّضاعليه السلام مدّعي الإمامة -وحاشاه-، لأنَّ الإمام حيّ ولكنَّه غائب، حتى مات ذلك المبتدع.

ولمّا دخل أحد أصحاب الإمام الكاظمعليه السلام على الإمام الرضاعليه السلام ليُخبره قال: نعم.. أنا أعلم بوفاته، قال: ألا أُنبئك بشيء؟ أُقعِدَ هذا في قبره وسُئل عنّا واحدًا واحدًا حتّى وصل السّؤال عنّي فتلجلج لسانه، قال: فحُشي قبرُهُ نارًا.

إنَّ هذا السّلوك ليس من حياة محمّدٍ وآل محمّد ولا مما محمّدٍ وآل محمّد، وإنّما هذا كان يستبطن الخديعة والفرصة، فإذا عرضت لهم الدّنيا وثبوا عليها، لقد كان يُظهر مظاهر التّديّن والمحبّة لكنّه لا يملك شيئًا، وإذا ملك شيئًا وثب على الدّنيا.

النقطة التي أريد التّركيز عليها أنَّ هذا الدّعاء ليس أمرًا سهلاً، وأن نتحدّث به لقلقة لسان فقط، بل لابُدّ أن أعرف جَسامة هذا المقطع من الدّعاء؛ وأعرف قيمة الحياة مع النّبيّ وقيمة الموت مع النبيّ وآلهعليهم السلام على عقيدةٍ صحيحة وعلى موافاةٍ للأئمّة الأطهارعليهم السلام، وقد أخرج حقوقه الماديّة والمعنويّة في الدّنيا وقابَلَ الله تعالى

١ - بحار الأنوار: ٤٨، ٢٦٦.

بقلبٍ سليم، نعم.. كلّنا نفتقر إلى رحمة الله - تبارك وتعالى-، وكلّنا نحتاج في ذلك اليوم إلى أن يخفّف الله - تبارك وتعالى- علينا حسابه، ونحتاج في ذلك اليوم أن يقبل الله تعالى إذا تشفّع المصطفى وآله فينا، ويقبل شفاعتهم فينا، نحتاج ونحتاج ولكن علينا أن نُهيّئ الأسباب، أمّا أنا أُظهر الشيء وأُبطن خلاف ما يقولون فهذا لا يُمكن، وليس من السهل أن يحيا الإنسان حياة النبيّ وآله ويموت ممات النبيّ لكنّه إذا وُفِّق لذلك فهذا لكلّ خير في الدّنيا والآخرة، ولا يوجد أحدٌ من المخلوقات -وكلّ ما خلق الله تعالى من الجنّ والإنس والأنبياء والأولياء والبشر- أفضل من النبيّ صلى الله عليه وآله، ولا شكّ أنَّ الحياة معهم عليهم السلام دنيويًّا والبقاء أخرويًّا تُمثّل قمّة الخلود ومطمع الجميع.

المبحث الثامن

عِلَّةُ فَرَحِ الظَّالمينَ

قال الإمام الباقر عليه السلام: ((**اللهُمَّ إِنَّ هَذَا يَوْمٌ تَبَرَّكَتْ بِهِ بَنُو أُمَيَّةَ وَابْنُ آكِلَةِ الْأَكْبَادِ اللَّعِينُ ابْنُ اللَّعِينِ عَلَى لِسَانِكَ وَلِسَانِ نَبِيِّكَ صلى الله عليه وآله فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَمَوْقِفٍ وَقَفَ فِيهِ نَبِيُّك**))[1].

هناك دائماً معادلتان مهمتان في تطور البشرية؛ معادلة الحق والخير، ومعادلة الباطل والشر، وهناك صراع تارة يأخذ اسم الإمام الحسين عليه السلام، وتارة يأخذ اسم الإمام الصّادق عليه السلام، وتارة يأخذ اسم الإمام الحجّة -عجّل الله تعالى فرجه الشّريف-، وتارة يأخذ اسم العَالِم الفلاني، وفي الطّرف المقابل هناك صراع تارة يأخذ اسم فرعون وتارة يأخذ اسم يزيد وتارة يأخذ اسم عبد الملك وهناك دائماً عملية فرز بين الطّائفتين؛ وفي هذه الدّنيا كلٌّ منّا سيطالبه الله سبحانه وتعالى بحجّة العقل، ويطلب منه التَّمييز بين هاتين الطَّائفتين.

لقد قرأنا أنَّ في واقعة الطّفّ حدث شيء كبير في عالم الملكوت يُبيِّن مدى جسامة ما حصل في واقعة الطَّفّ، وفي الوقت نفسه أوضح لنا الإمام الباقر عليه السلام أنَّ يوم العاشر من المحرم كان يُمثّل عيدًا عند أعداء الإمام الحسين عليه السلام فيقول: ((**اللهُمَّ إِنَّ هَذَا يَوْمٌ تَبَرَّكَتْ بِهِ بَنُو أُمَيَّةَ وَابْنُ آكِلَةِ الْأَكْبَادِ اللَّعِينُ ابْنُ اللَّعِين**))[2]، ولا يخفى عليكم أنَّ بعض المسلمين إلى يومنا هذا يحتفلون بيوم العاشر من المحرم، وبعض الوضّاعين وبعض الكذّابين يرى نفسه من الصّعب أن يقول نحن نحتفل؛ لأنَّ الإمام الحسين عليه السلام استشهد أو قتل في يوم العاشر من المحرم، وبذلك وضِعَت روايات كاذبة على أنَّ الله تعالى قبل توبة آدم عليه السلام مثلاً في يوم العاشر من محرم، أو أنّ سفينة نوح عليه السلام استقرّت يوم العاشر من محرم، فبهذه الطّريقة حاول أن يحتفل، لكن المقصد الحقيقي هو ليس ذلك وإنَّما المقصد الحقيقي أنَّ هناك عيدًا توارثه هؤلاء من أسيادهم وهم بنو أميّة؛

١ - مصباح المتهجد وسلاح المتعبد:٢/ ٧٧٥.
٢ - م. ن: ٢/ ٧٧٥.

والإمام عليه السلام يقول إنَّ هذا يومٌ تبرّكت؛ ولا ننكر شرعًا هناك أيّام مُباركة عند الشّارع المقدّس اعتبرها مباركة كيوم العيد مثلاً، أو النصف من شعبان، وليالي القدر، والشّارع المقدّس اعتبرها أيّامًا مباركة ومهمّة، وبعض الأيّام هناك تأكيد على إحيائها بالدّعاء وطلب التّوبة بحيث الذي يفوته استجابة الدّعاء أو تفوته الاستجابة ينتظر إلى العام القادم في نفسه الليلة حتى يُكرّر الدّعاء، وهناك أيّام نحن نضيف عليها البركة أي عندما تخلو هذه الأيّام وطبعها فإنّه ليست فيها أيّ بركة، والدّعاء يقول: إنَّ هذا يومٌ تبرّكت به بنو أميّة؛ أي أنَّ بني أميّة هم الذين أضافوا عليه بركة؛ أمّا بنفسه فهو يوم ليس فيه أيّ بركة؛ بل على العكس كما قرأناها كان يومًا فيه الحزن على آل محمد صلوات الله عليهم، وهناك دماء للحسين عليه السلام وآل بيته عليهم السلام صعدت إلى السّماء، وصعدت إلى العرش، وسكنت في العرش، فأيّ بركة في هذا اليوم موجودة؟

إنَّ هؤلاء حاولوا أن يُغيّروا دين الله سبحانه وتعالى وأن يضيفوا أيّامًا من عندهم حتّى يجعلوه بركة وهم كانوا يرون أنَّ الإمام الحسين عليه السلام هو أعدى أعدائهم؛ لأنَّ وجود الإمام الحسين عليه السلام إشارة إلى وجود الأئمّة المعصومين عليهم السلام، وأنَّ من دفعهم عن مراتبهم فإنَّ هؤلاء مُزيّفون غاصبون للحق الذي جعله الله تعالى لهم عليهم السلام.

إنّنا عندما نقرأ أنَّ الإمام عليه السلام لا يتردّد إلى السّلطان وأنَّ الإمام لا يكتب إلى السّلطان، وأنَّ الإمام لا يتشفّع إلى أحدٍ عند السّلطان؛ أي أنَّ هناك اعتراضًا، وهناك معارضة لو صحّت التّسمية من الأئمّة عليهم السلام دائماً أمام الخلفاء الذين غصبوا حقّهم، وأمام سلاطين الجور؛ وعند الوقوف عند هذه المواقف نكتشف أنَّ هناك خللاً عند هؤلاء، فلا تعتقدوا أنَّ الأئمّة عليهم السلام كانوا دومًا مدجّجين بالسّلاح ويستعدون -مثلاً- لمقارعة الأنظمة في وقتهم؛ فهذا التّصوّر خاطئ، وسلوك وتربية الإمام عليه السلام لبعض أصحابه هو رفض لذلك الأمر؛ فهؤلاء الطّغاة كانوا يستشعرون النّقيصة ويشعرون أنّ مهمّتهم مهمّة سارق عندما يفقدون الأئمّة عليهم السلام من

مجالسهم، ويرون المجلس مكتظًّا بوعّاظ السّلاطين والفاسدين ومن طالبي الأموال وممّن يدّعون العلم ولكنّهم يفقدون الأئمّة عليهم السلام بشخوصهم، وفقد الأئمة عليهم السلام في مجالسهم كان يقضّ مضاجعهم، ويجعلهم يشعرون دائماً أنَّهم في خطرٍ في كلّ لحظة من اللحظات، وهذا ما كان يجعل عيشهم منغصًا؛ لأنَّهم لم يستطيعوا أن يأتوا بالإمام عليه السلام؛ وإن كانوا حُكَّامًا على الرغم من كلّ المحاولات التي حصلت؛ ولذلك كان إقصاء وقتل أيّ إمام من الأئمّة عليهم السلام هو بمثابة استقرار ظاهري لهم، ولذلك كانوا دائمًا يفرحون في مظاهر إقصاء الأئمّة عليهم السلام.

ذكر أرباب المقاتل أنَّ الرّؤوس الشّريفة عندما دخلوا بِها إلى الشّام كانت الشّام قد خرجت بزينة وبحالة من البهجة كأن حصل فتح أنجزه جيش المسلمين عندما يفتح بعض الأرضين ويفرح المسلمون بذلك. لقد حصل كلّ هذا وأكثر في الشّام عندما قتلوا سيِّد الشّهداء عليه السلام.

في هذا الجو العام الذي كانت تحكم فيه السّياسة الأمويّة؛ يريد الإمام عليه السلام أن يثبت أنَّ هذا اليوم يومٌ تبرّكت به بنو أميّة، وأنت تلاحظ البركة التي يحسبها كلّ على شاكلته، ويعدّه يوم فتح لخليفتهم، ويوم انتصار أمير المؤمنين كما يدعونه على الخارجي كما يدّعون، وهذه مسألة تجذّرت في نفوسهم وانتقلت جيلاً بعد جيل إلى يومنا هذا، وعندما يدافع بعض المستسلمين -ولا أقول المسلمين- عن يزيد مثلاً وعن أمثال يزيد، فردُّ الإمام عليه السلام يُبيّن العبارة بشكلٍ واضحٍ استياءه وأسفه وحزنه، وكيف أنَّ الله تعالى يرى واقعة الطّف؟ وكيف سمعت واقعة الطّفّ؟ وما هي رؤية الأئمّة والأنبياء لواقعة الطّفّ؟ وهؤلاء كيف يرون واقعة الطف بحيث يحتفون به ويجعلونه يوماً مباركًا عندهم؛ لذلك نجد الإمام عليه السلام وبعبارة مهمّة بليغة يُبيّن ردّة فعل أعدائهم بقوله: ((**اللهُمَّ إِنَّ هَذَا يَوْمٌ تَبَرَّكَتْ بِهِ بَنُو أُمَيَّةَ وَابْنُ آكِلَةِ الْأَكْبَادِ اللَّعِينُ ابْنُ اللَّعِينِ عَلَى لِسَانِكَ وَلِسَانِ نَبِيِّكَ صلى الله عليه وآله فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَمَوْقِفٍ وَقَفَ فِيهِ نَبِيُّك**))[1].

١ - مصباح المتهجد وسلاح المتعبد:٢، ٧٧٥.

الطَّابعُ العامُّ لبني أُميّة

إنّ بني أميّة عندما تضع يدك على أيٍّ منهم فإنّها ستتلوّث، ويندر أن نجد في بني أُميّة من له وزن؛ وهناك قلّة قليلة من هذه العائلة خرجت عن سلوكهم العام؛ وهم أنفار معدودون، لكن الوضع العام كان وضعًا يتّصف بالرّذيلة، وكانت أغلب العوائل فيها كلّ الرّذائل من أيّام الجاهلية، ومعاداتهم للنبي ﷺ بعد الإسلام، وكأنَّ الحقد لآل النبي ﷺ توارثوه عن طريق أرحام أمّهاتهم، وأصلاب آبائهم؛ وتبدأ بآكلة الأكباد هند في قصّتها المشهورة مع حمزة عليه السلام الذي كان يُلقّب بسيّد الشّهداء قبل استشهاد الإمام الحسين عليه السلام إلى يزيد -عليه لعائن الله تعالى-، وهذا يؤكّد أنَّ هذه العاقبة؛ وخصوصًا يزيد ومعاوية كانوا ملعونين في كتاب الله تعالى كما فُسّرت في بعض الرّوايات الشّريفة والشّجرة الملعونة في القرآن الكريم وفي لسان النّبي ﷺ، والغريب في هذه الزّيارة أنَّ هذا الدّعاء يقول: الملعونون على لسانك ولسان نبيّك ﷺ في كلّ موطن وموقف؛ أي إنّ اللعن من النّبي ﷺ لم يصدر مرّة واحدة، ولا مرّتين؛ وإنّما عمليّة عموم كانت تفيد الاستقرار؛ أي في كلّ موقف وقف فيه نبيّك ﷺ، وفي كلّ موطن توطّن ووقف النّبي ﷺ كان يلعن هؤلاء، وهذا يدلّ لنا على أنَّ النَّبي ﷺ قد قطع العذر أمام الأئمّة عليهم السلام؛ فماذا تقول في رجل لا يرضى عنه النّبي ﷺ؟ وماذا تقول في مرتبة أعلى من هذا؟ وهو أنّ النَّبي ﷺ كان يلعنهم ويعلن اللعن أمام الملأ فمن غير المنطقي وغير مقبول أنَّ النبي ﷺ وحده يقف ولا يسمعه أحد ويلعن؛ بل لابُدَّ أن يقف موقفًا وموطنًا ويلعن حتّى يسمع أحداً، وحتّى يقطع العذر على الأئمّة أنَّ هذه الشّخصية هي شخصية بحسابات القرآن الكريم وبحسابات النّبي ملعونة، وهذا في زمن النَّبي ﷺ أي في زمن معاوية، واللعن هو وأبوه أبو سفيان وولده يزيد وفي أكثر من لسان، وفي أكثر من حالة من الحالات يتوجّه اللعن لهؤلاء.

أنا أُريد أن أُبيّن حقيقة ما كان النبي ﷺ يُعانيه والأئمّة عليهم السلام حتّى يعلن موقفًا واضحًا من طائفة محدّدة وعشيرة محددة، ويعلم ﷺ وما سيؤول إليه أمر ذرّيّته الطّاهرة على يد من لعنهم في أكثر من مرّة النّبي ﷺ، والغريب في الأمر أنَّ الرّسول الأكرم ﷺ يلعن شخصًا وهم يُسمّونه كاتب الوحي، والنّبي يلعن وهم يُسمّونه الصّحابي، والنّبي يلعن وهم يقولون دخل الإسلام بلا إكراه، والنّبي يلعن وهم يُسمّونه أمير المؤمنين؛ هذه حالة التّمرّد على كلام النّبي ﷺ في خصوص هذا المورد لا مبرّر لها إلّا حالة العناد وحالة الإصرار على العناد وحالة الإصرار على مخالفة النّبي الأعظم ﷺ، وعندما تقرأون التاريخ ستجدون أنَّ هناك حالة من التّمرّد المقصود ومن العملية المسبقة لإعلان المخالفة لكلّ أوامر النّبي ﷺ وخصوصًا مع ذرّيّته الطّاهرة إلى يومك هذا؛ وإلى يومنا هذا نجد الذي يتجرّأ على قتل الإمام الحسين عليه السلام ويقتل وينكّل أصحاب الحسين عليه السلام، ويتجرأ على سبّ الذّرّيّة الطّاهرة ويشتم ويبيح قتل من يشاركهم على ذلك؛ وهذه الجرأة لها جذور نعرفها من هذا المقطع عندما يلعن النّبي ﷺ مجموعة ومجموعة أخرى تصرّ على تتويج هذه المجموعة وكأنّه عناد؛ بل هو عناد لفكر النّبي ﷺ؛ أمّا نحن: نقول بحمد الله تبارك وتعالى مازلنا نُردّد مع النّبي ﷺ وفي كلّ موقف وقفه وفي كلّ موقف نقفه نُردّد هذا الكلام؛ لأنّه كلام جاء على لسان الله تعالى ولسان النّبي، وأقره الإمام الباقر عليه السلام ومن أصدق من هؤلاء، فلابُدَّ في كلّ موقف وكلّ موطن نلعن كلّ من لعنه الله تعالى وكلّ من لعنه النبي محمّد ﷺ.

الثَّباتُ مع الإمامِ الحُسين عليه السلام

ثـمَّ قـال الإمـام الباقـر عليه السلام: « **اللهُمَّ لَـكَ الحَمْـدُ حَمْدَ الشَّـاكِرِينَ لَكَ عَـلى مُصابِهِـمْ، الحَمْدُ لله عَـلى عَظِيـمِ رَزِيَّتِي، اللهُـمَّ ارْزُقْنِي شَـفاعَةَ الحُسَـيْنِ يَـوْمَ الـوُرُودِ وَثَبِّـتْ لِي قَـدَمَ صِـدْقٍ عِنْدَكَ مَعَ الحُسَـيْنِ وَأَصْحابِ الحُسَـيْنِ الَّذِينَ بَذَلُوا مُهَجَهُمْ دُونَ الحُسَـيْنِ عَلَيهِ السَّـلامُ**»[1].

عندمـا يقـرأ الإخـوة هـذه الزِّيـارة الشَّريفـة سيجدون في نهايتهـا دعـاءً حـثَّ الإمـام عليه السلام أنْ يَدعـو بـه الزَّائـر وهـو في حالـة السّـجود، وأنتـم تعلمـون أنَّـه في الشَّريعـة المقدَّسـة -الشريعـة الإسـلاميّة- يُعـدُّ السّـجود أقـصى غايـة الطَّاعـة، وهـو نحـوٌ مـن الخضـوع والتّذلّـل إلى الله تعـالى، وبهـذه الطَّاعـة اختبَرَ اللهُ تعـالى الملائكـة عندمـا أمرَهـم بالسّـجود وسـجدوا إلّا إبليـس، الـذي اسـتعمل طريقـة التّفضيـل والقيـاس فامتنَـعَ عـن تنفيـذ الأمـر الإلهـيّ فنـال جـزاءه.

أفضلُ القُربات

ولـذا كان السّـجودُ مـن أفضـل القربـات حتّـى ورد في الرّوايـة الشَّريفـة أنّـه: ((**أَقْـرَبُ مَـا يَكُـونُ الْعَبْـدُ إِلَى الله تَعَـالَى وَهُـوَ سَـاجِدٌ بَـاك**))[2]، وهـذه الزّيـارة - زيـارة عاشـوراء- في ذيلهـا يُبيّـن الإمـام عليه السلام للزائـر الدّعـاء ثـمّ يسـجد ويقـول: ((**اللهُـمَّ لَـكَ الْحَمْـدُ حَمْـدَ الشَّـاكِرِينَ عَـلَى مُصَابِهِـمْ الْحَمْـدُ لله عَـلَى عَظِيـمِ مُصَـابِي وَرَزِيَّتِـي فِيهِـمْ اللهُـمَّ ارْزُقْنِـي شَـفَاعَةَ الْحُسَـيْنِ يَـوْمَ الْـوُرُودِ وَثَبِّـتْ لِي قَـدَمَ صِـدْقٍ عِنْـدَكَ مَـعَ الْحُسَـيْنِ وَأَصْحَـابِ الْحُسَـيْنِ الَّذِيـنَ بَذَلُـوا مُهَجَهُـمْ دُونَ الْحُسَـيْنِ عليه السلام**))[3].

وذكرنـا سـابقاً في مسـألة الشّـكر والثّنـاء لله تعـالى أنَّهـا مـن أفضـل القُربـات لله عـزَّ وجـلَّ، وهـي ثقافـةٌ خاصّـة لا ينالهـا كلُّ أحـد، فعـلى الإنسـان شـكر الله تعـالى

١ - كامل الزيارات، ١٧٩.
٢ - م. ن: ١٤٦.
٣ - م. ن: ١٧٩.

حتّى في مورد المصيبة، وخصوصاً إذا كانت المصيبة كلّها هي في عين الله تعالى، ولذا الإمام عليه السلام عندما يُبيّن ويقول: ((**اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ**))؛ فهناك فرقٌ بين الحمدُ والشكرُ كما يقول الأخلاقيّون؛ إذ في الحمد أنا أتحدّث عن نعمةٍ عامّة، أمّا في الشّكر قد تكون نعمةً خاصّة، وقد يكون العكس، لذلك لم يقل: حمدَ الحامدين وإنّما قال: حمدَ الشاكرين، والشّاكر أيضاً يحمد تعالى ويشكر الله تعالى، فبيّن الإمام عليه السلام متعلّق الحمد وهو على مصابهم، يعني على مصاب الإمام الحسين عليه السلام وعلى مصاب العترة الطّاهرة عليهم السلام؛ وهذه ليست نعمة بالمعنى المُدرك بل هي مصيبة حتّى في الزيارة يقول: (على مصابهم)، لكن عندما تكون هذه المصيبة في الله تعالى ولله تقتضي الحمد لله تعالى؛ لأنَّ هذا وإنْ كان مكروهًا بالنسبة لي -مصاب الأئمّة عليهم السلام-، لكنّ هذا المكروه كان بعين الله تعالى وكان بمشيئة الله تعالى، فيستوجب ذلك منّي أن أحمد الله تعالى وإنْ كان المصابُ مصاباً جللاً.

الموقفُ المطلوبُ عند الرَّزايا

ثمّ يقول عليه السلام: ((**الْحَمْدُ للهِ عَلَى عَظِيمِ مُصَابِي وَرَزِيَّتِي**)) وهذا تعليمٌ لنا؛ فالرَّزايا والمصائب يجب أن يكون فيها الإنسان قويًّا، ويجب أن يكون فيها متمكّنًا فعلاً من العبوديّة، بحيث يحمد الله تعالى على هذه المصيبة؛ لأنَّها مصيبة في الله وفي عين الله تعالى، فالشّهيد كان من أولياء الله ومن أوصياء الله وهو سبط النّبيّ المصطفى صلى الله عليه وآله، وجاء من أجل إحياء هذه الشّريعة وهذا الدّين، وممّا لا شكّ فيه أنَّ الله تعالى يستوجب ويستأهل الحمد منّا.

ثمّ بدأ الدَّاعي بعبارةٍ موجزة يقول: ((**اللهُمَّ ارْزُقْنِي شَفَاعَةَ الْحُسَيْنِ يَوْمَ الْوُرُودِ**)). يوم الورود يعني يوم القيامة؛ يوم الورود على الله تعالى، وهناك ورود نُعبّر عنه نِعم الورد المورود، وهناك ورود هو بِئس الورد المورود؛ ومثال

ذلك فرعون وأتباعه حينما أوردهم الله تعالى النار فبئس الورد المورود، والنَّبيّ المصطفى صلى الله عليه وآله يورد أصحابه ويورد أتباعه والإمام أمير المؤمنين والإمام الحسين عليهما السلام يوردانهم نِعم النّعم المورود، ألا وهو حوض الكوثر والجنّة.

الشَّفاعةُ والثَّبات

الدّعاء في السّجود أقرب القربات إلى الله تعالى، والإنسان يدعو ((**اللهُمَّ ارْزُقْنِي شَفَاعَةَ الْحُسَيْنِ يَوْمَ الْوُرُودِ**))، ومما لا ريب فيه أنَّ للإمام الحسين عليه السلام شأنية عظيمة جدّاً يوم القيامة، وهو مظهرٌ من مظاهر رحمة الله تعالى لنا أيضًا، فالطّلب ((**اللهُمَّ ارْزُقْنِي شَفَاعَةَ الْحُسَيْنِ يَوْمَ الْوُرُود**)) ليس طلبًا عاديًّا بل هو طلبٌ حثيث، وعلى الدَّاعي أن يدعو به دائمًا كلّما أُتيح له ذلك خصوصاً في السّجود.

ثمّ قال عليه السلام: ((**وَثَبِّتْ لِي قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَكَ مَعَ الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِ الْحُسَيْنِ**)).

تثبيت قدم الصّدق هي القدم التي لا تزلّ والتي لا تتحرّك إلى غير الحقّ، وعبّر عن هذه بقدمٍ ثابتة وقدمٍ راسخة كنايةً عن رسوخ العقيدة وكنايةً عن قوّة المبدأ وقوّة العقيدة التي كانت عند سيّد الشّهداء عليه السلام وعند أهل بيته وأنصاره، وهو طلبٌ مهمّ جدًّا، وأن ندعو الله تعالى أن يُثبّت لنا دائمًا قدم صدقٍ مع الإمام الحسين عليه السلام وأصحاب الحسين عليه السلام.

إنَّ أصحاب سيّد الشّهداء عليه السلام هؤلاء الفتية الذين جاءوا مع الإمام الحسين عليه السلام وآمنوا به، وقاتلوا معه واستُشهِدوا من أجله كانوا ضمن هذه المجموعة التي قد لا تتكرّر؛ بل لا تتكرّر، ولذلك الإمام عليه السلام يظهر أصحاب الإمام الحسين عليه السلام بزيارةٍ مستقلّة هي زيارة الشّهداء وبألفاظ خاصّة بهم؛ وقد نال أصحاب الإمام الحسين عليه السلام شرفًا كبيرًا عندما قُرنوا مع سيّد الشّهداء عليه السلام، وهذا من نِعَم الله تعالى عليهم أن أعطاهم الله تعالى هذه المنزلة وأن يُقرنوا مع سيّد الشّهداء عليه السلام.

فمَنْ هم أصحاب الإمام الحسين؟ قال: ((**الَّذِينَ بَذَلُوا مُهَجَهُمْ دُونَ الْحُسَيْنِ**))، والمهجة كنايةٌ عن النّفس وكنايةٌ عن الرّوح وكناية عن حياتهم، وهؤلاء بذلوا مهجهم دون الحسين وجعلوها أمام الحسين، ولعلّ الله تعالى يدفع بهم القتل عن أبي عبدالله الحسين، سواء كانوا في الصّلاة أمام أبي عبدالله الحسين حتّى يصلّي، أو أمامه عند منازلة الأعداء بحيث لم يبقَ معهم أحد قبيل شهادة الإمام الحسين، وكان الإمام الحسين آخر من استُشهِد بعد أن تقدّمت تلك القرابين أمامه وضحّوا بكلّ ما عندهم، ومن هنا فإنَّ هذا الدّعاء يختزل زيارة عاشوراء في عباراتٍ موجزة، والإمام يطلب من الدَّاعي أن يدعو به وهو ساجد.

نسأل الله تعالى بحقِّ من نحن بجواره؛ بحقّ الإمام الحسين وأصحاب الحسين الذين نحن بجوارهم أن يدخلنا مدخلاً مباركاً معه وأن يجعلنا مع الحسين، وأن يرزقنا ويثبّت أقدامنا ويجعلها أقدام صدقٍ عند الحسين وأصحابه الذين بذلوا مهجهم دونه، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمّدٍ وآله الطيّبين الطاهرين.

الفصل الخامس

مِن أَهدافِ زِيارَةِ الأَربعين

المبحث الأول

العطاءُ الاستثنائيّ

الأيام تمضي والشّهور تتوالى، وعجلة الدّنيا تمرُّ سريعًا على العبد، والموت يطلبنا جميعاً، ولكنَّنا في غفلةٍ من أمرنا، ومنشغلين بأشياء قد لا تكون لها أدنى أهمِّيّة.

لقد هيَّأ الله تبارك وتعالى لنا سبلًا كثيرةً للتذكرة، ومحطات نقف فيها ونتبصَّر ونتشاور ونتساءل ونتذاكر حولها، وأعتقد أنَّ محطَّة شهر محرَّم الحرام من أفضل المحطّات للتّذكرة بأكثر من موردٍ، فهو يُذكِّرنا بأنَّ الدُّنيا رخيصة جدًّا، ولو كانت غالية لما مكَّن الله تعالى الظّالمين من رقبة سيّد الشّهداء عليه السلام، وأنَّ هذه الدّنيا هيِّنة عند الله تعالى، كما ورد أنَّها لو لم تكن هيِّنة ((**لَمَا سَقَى الْكَافِرَ مِنْهَا شَرْبَةً مِنْ مَاء**))[1]، وهذه محطَّة نقف عندها ونعتبر بمضمونها، فنسعى إلى تقليل تمسّكنا بهذه الدُّنيا من حيث هي هي، لا من حيث هي وسيلة للآخرة.

إنَّ الإمام الحسين عليه السلام بعد أن أصدق الإيمان مع الله تعالى جُرِّب في عرصات كربلاء ونجح عليه السلام، والإنسان المؤمن عندما يقف بين يدي الله تعالى في سورة الحمد: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين**﴾[2]، قد تجري هذه الكلمات على شفتيه تعوّدًا، لكن إذا حمي الوطيس[3] ممكن أن يتراجع -والعياذ بالله تعالى-، ولكنَّ الإمام الحسين عليه السلام كان من أصدق الأمثلة التي التزمت بما عاهدت الله سبحانه عليه، وهذه النّتيجة تؤدِّي بنا إلى القول بأنَّ هناك طبقة من البشر حباهم الله تعالى وهم الأئمّة عليهم السلام، وهناك طبقة أُخرى تعلَّمت من الأئمّة عليهم السلام وقد نجحت، وعلى الإنسان أن يتبصَّر ويتذكَّر بأنَّ هذا المجد الذي أعطاه الله

١ - مكارم الأخلاق، الطبرسي، الحسن بن الفضل، الشريف الرضي، قم١٤١٢هـ، الرابعة: ٤٣٩.

٢ - الفاتحة: ٥.

٣ - وَطَسَ الشيءَ وَطْساً: كسره ودقَّه. والوَطِيس: المَعْركة لأَن الخيل تَطِسُها بحوافرها. والوَطِيس: التنور. والوَطِيس: حفيرة تحتفر ويختبز فيها ويشوى، وقيل: الوَطِيس شيء يتخذ مثل التَّنُّور يختبز فيه، وقيل: هي تنُّور من حديد، وبه شُبِّه حَرّ الحَرْب. وقال النبي صلى الله عليه وآله في حُنَيْن: «الآن حَمِيَ الوَطِيسُ»، وهي كلمة لم تُسمع إلا منه، وهو من فصيح الكلام عبّر به عن اشتِباك الحَرْب وقيامها على ساق. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم(ت: ٧١١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- دار صادر، بيروت١٤١٤هـ، الثالثة: ٦/ ٢٥٥.

تعالى لسيّد الشّهداء عليه السلام في الواقع هو مجد دنيوي كان له الأثر الكبير في هداية أمَّة من النّاس مع بقاء الصّرح الشَّامخ؛ فضلًا عن الأثر والجائزة الكبرى التي ستكون للإمام الحسين عليه السلام يوم القيامة.

عندما يغادرنا شهر محرّم الحرام ونستقبل شهر صفر الخير، فكلاهما متعلّق بالمعصومين عليهم السلام؛ فقد استشهد الإمام الحسين عليه السلام في العاشر من المحرم، وفي الخامس والعشرين منه استشهد الإمام زين العابدين عليه السلام، واستشهد الإمام الحسن عليه السلام في صفر مع رزيته الكبرى، ثمَّ وفاة النبي صلى الله عليه وآله مع زيارة الأربعين، وأعتقد أنَّ هذه المناسبات تكفينا إذا أردنا أن نعتبر ونتذكَّر، ومواطن الاعتبار كثيرة لكن المشكلة في قلّة المُعتبر، وإن شاء الله لا نكون من هذه الكثرة التي لا تَعتبر؛ بل نكون من القلّة التي تعتبر حتَّى نفهم مجريات أمورنا بشكلٍ صحيحٍ وجيّد، وهذا يعطينا درسًا كبيرًا، إذ إنَّنا لابُدَّ أن نتعلّم في كلِّ يوم ونعي في كلِّ يوم، وأن نطوّر أنفسنا وأفكارنا عن طريق هذه الأيّام الحزينة على مصائب أهل البيت عليهم السلام من جهة، لكنّها أشهر كريمة من جهة أُخرى؛ فهي تُقرِّبنا إلى الله تبارك وتعالى.

نحن نستقبل علامة من علامات المؤمن، وهي زيارة أربعين[1] الإمام الحسين عليه السلام، ولذلك أودُّ أن ألفت عنايتكم الكريمة إلى بعض الأمور المتعلّقة بالإمام الحسين عليه السلام، وأغتنمها فرصة لذكر بعض الوصايا المتعلّقة بالزّيارة، وأرجو أن ننتبه إلى أنَّ مسألة الإمام الحسين عليه السلام تستدعي الوقوف طويلًا أمام أحقّيَّته وأهل بيته عليهم السلام في الهدف الذي جاء به بعيدًا عن النّظر والاستدلال، بمعنى أنَّنا عندما نريد أن ندعو لدعوةٍ محدَّدةٍ نلجأ إلى الأساليب العلميَّة في إثبات أحقّيَّة هذه الدّعوة، وهذا

---

١ - رُوِيَ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْعَسْكَرِيِّ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: ((عَلَامَاتُ الْمُؤْمِنِينَ خَمْسٌ صَلَاةُ الْإِحْدَى وَالْخَمْسِينَ وَزِيَارَةُ الْأَرْبَعِينَ وَالتَّخَتُّمُ فِي الْيَمِينِ وَتَعْفِيرُ الْجَبِينِ وَالْجَهْرُ بِـ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾)). مصباح المتهجّد وسلاح المتعبّد، الطوسي، محمد بن الحسن(ت: ٤٦٠هـ)، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت١٤١١هـ، الأولى: ٢/ ٧٨٨. كتاب المزار- مناسك المزار، المفيد، محمد بن محمد(ت: ٤١٣هـ)، مؤتمر ألفية الشيخ المفيد- رحمة الله عليه، قم١٤١٣هـ، الأولى: ٥٣.

مطلبٌ علميّ رصين متّبع عند كلِّ عاقل، وهو منهج الله تبارك وتعالى ومنهج الأنبياء، وتارةً نأتي إلى واقعٍ نعجز عن فهمه إلَّا عن طريق الوجدان الذي نشعر به إزاء أحقّيَّة هذا المطلب.

أعتقد أنَّ الإمام الحسين عليه السلام على الرّغم من هذه الحفنة الطويلة من السّنين ما زال يتجدَّد بهذه الصّورة التي تحتاج إلى تأمُّلٍ ووقفةٍ بحيث تجعل الإنسان سواء أكان ممَّن يؤمن بالاستدلالات العلميَّة أم ممَّن لا يؤمن ويذعن بأحقّيَّة قضيّة سيّد الشّهداء عليه السلام عند المرور بها.

هناك بعض الأصناف من البشر غير مرتبطةٍ بدين، لكنَّه يملك من التّفكير نحوًا من التّفكير الحرِّ بحيث إذا تأمَّل في القضية أمكنه أن يتَّبع الحق؛ ويتحدَّث بعض من كان في أوربا عن بعض المشاهدات عندما بدأوا يعملون الشّعائر الحسينيَّة في تلك البلاد، وينقل أحدهم أنَّهم عندما تهيَّأوا لإقامة الشّعائر المختصَّة بقضيَّة الإمام الحسين عليه السلام وبدأوا بمسيرةٍ سلميّة مرَّت إحدى الشّخصياتِ المفكِّرة من تلك البلاد، وسألت ماهي قصّة هذا العمل؟ فأخبروها بأنَّ هناك شخصية تنتمي لنبيّ الإسلام محمَّد صلى الله عليه وآله قد جرى عليه ما جرى؛ قالت: «هو ذلك الذي يقول عنه غاندي[1]: ((تعلَّمت من الحسين كيف أكون مظلوماً فأنتصر))[2] قالوا لها: نعم، قالت أشهد أنَّه على حق»، هذا رجل عظيم منذ (١٤٠٠) سنة وأنتم تجدِّدون ذكراه. قد تختزن ذاكرة البشر العلماء والكبراء

١ – تنتمي عائلة غاندي إلى طبقة التجار بالهند(بانيا)، ويبدو أنَّهم كانوا في الأصل يشتغلون بالبقالة. لكنَّهم شغلوا منصب رئيس الوزراء لثلاثة أجيال متتابعة وفي ولايات عدة بكاثياوار Kathiawar بداية بجدي وقد كان جدي اوتمشاند غاندي والمعروف باسم أوتا غاندي، بلا شك رجلاً نزيها. وقد اضطرته الدسائس السياسية داخل الولاية إلى مغادرة بوربندار Psrbandar إذ كان يشغل منصب رئيس الوزراء (ديوان) ففر هارباً إلى ولاية جوناجاده Junagadh. وعند وصوله اليها حيا حاكمها (نواب) بيده اليسرى فسأله أحدهم عندما لاحظ عدم لياقته عن سبب ذلك، فأجاب قائلاً: ((إنَّ اليد اليمنى تدين بالولاء إلى حاكم بوربندار)). غاندي، السيرة الذاتية قصة تجاربي مع الحقيقة، تأليف؛ مهنداس كارامشاند غاندي، ترجمة وتحقيق: محمد إبراهيم السيد– مجدي عبد الواحد عنبة، الأولى ٢٠٠٨: ٢٧.

٢ – دائرة المعارف الإسلامية قالوا في الحسين عليه السلام، آية الله الدكتور الشيخ محمّد صادق محمّد الكرباسي: ١/ ٢١.

لبرهةٍ من الزّمن ثمَّ تنتهي، أمَّا المتابع لقضيَّة الإمام الحسين عليه السلام فإنَّنا لا نجد شخصيةً ملكت قلوب العالم في هذه الأيَّام مثل قضية الإمام الحسين عليه السلام ليس في كربلاء فحسب وحتَّى في العراق؛ بل ليس في البلاد التي غالبيتها إسلامية، وإنَّما عموم أصقاع العالم، والآن العالم منفتح ينظر لكم بإمعانٍ وتفكّر وأنتم منشغلون بقضيّة الإعداد لشعائر الإمام الحسين عليه السلام، ويجب أن يكون هذا الإعداد جيِّدًا؛ لأنَّ هذه المسألة تستوقف الإنسان بكافّة توجّهاته الفكريَّة، وحتَّى الإنسان الذي لا يلجأ للأساليب العلمية البرهانية، فهو عندما يرى الشَّعائر ولهفة النَّاس على الإمام الحسين عليه السلام يُذعن بأحقّيَّته عليه السلام.

إنَّ العراقيين أعلى الله شأنهم على الرغم من كلِّ المعاناة التي مرُّوا بها كان لهم الأثر الطّيّب في كثير من مفاصل الحياة وأهمِّها قضيَّة أبي عبدالله الحسين عليه السلام، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: ((**بَقِيَّةُ السَّيْفِ أَنْمَى [أَبْقَى] عَدَداً وَأَكْثَرُ وَلَدا**))[1]، في العهد السَّابق«اللانظام» عندما بدأ تهجير العراقيِّين حقيقة لم يعلم الطّغاة بأنَّ النَّتائج ستكون عكس أفكارهم الخبيثة، وأنَّ الرِّياح ستجري بغير ما تبتغي سفنهم، ولو علموا ذلك لما فعلوا.

العراقيون -بحمد الله تعالى- قادوا وبشرف عندما خرجوا من العراق على الرَّغم من الظَّرف الصَّعب الذي خرجوا فيه، وتحمَّلوا ما تحمَّلوا لكنَّهم لم ينسوا الإمام الحسين عليه السلام وأقول ذلك لا تعصُّبًا؛ ولكن أقول ذلك إنصافًا لهم، إنَّ هؤلاء الإخوة ملأوا الدُّنيا الآن بشخص الإمام الحسين عليه السلام، وبعض عملهم كان عفويًّا، والآخر باتِّفاقٍ ودراسة، حتَّى أنَّهم عكسوا قضيّة سيد الشهداء عليه السلام بشكلٍ قد عجزت عنه جهاتٍ عديدة، وغالبًا ما يكون طابع أعمالهم فردية بقدراتهم الشّخصية، وحقيقةً

١ - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله(ت: ٦٥٦هـ)، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم١٤٠٤هـ، الأولى: ١٨، ٢٣٥.

أنَّهم عكسوا هذه النّتائج بشكلٍ طيّبٍ عندما انتشروا في البلاد وملأوا الدُّنيا نورًا وإصلاحًا ورحمة، والآن لا تجد بقعة إلَّا وفيها ذكر لآلِ محمّدٍ.

هذا في الواقع فضل الأئمّة عليهم السلام، فهم أصحاب الفضل، ولكن أقول سبحان الله! الكافر الفاسق لا عقل له فهو يتصرّف بتصرّفاتٍ همجية ويعتقد أنَّه سيقضي على الإمام الحسين عليه السلام، ولم يتَّعظ من ممَّن سبقه من أسلافه، وإنّما يحاول أن يعيد الكرّة. الذي يعادي الإمام الحسين عليه السلام سرعان ما يظهر خزيه، وتبان الذّلّة فيه، والله ينصر أتباع الإمام الحسين عليه السلام بشكلٍ خارج الحسابات الطَّبيعيّة؛ فمن كان مع الله كان الله معه، وقد عرضنا سابقًا أنَّ أكثر من خمسمائة روايةٍ وهي تذكر قضية الإمام الحسين عليه السلام وتشجِّع على زيارته، لكن هناك شيء يلفت النّظر، وهي أنَّ الإنسان عندما يأتي للإمام الحسين عليه السلام لا يخرج إلَّا ومحبّة الحسين عليه السلام دخلت في قلبه، وهذه ليست مسألة اعتباطية، فإبراهيم عليه السلام عندما وصل إلى مرتبة الخلَّة، وهي مرتبة عظيمة، طلب من الله تعالى أن تُشمل ذرّيّته في مرتبة الإمامة، وقد استجاب الله سبحانه وتعالى دعوته، وجعل من ذرِّيته النّبي محمَّد صلى الله عليه وآله، وهو أشرف الخلق.

وعندما يمرُّ الإمام الصادق عليه السلام بقضيّة الإمام الحسين عليه السلام بأكثر من مورد، وسأطيب أسماعكم بشيءٍ من حديثه، والإمام الصادق عليه السلام ليس شخصًا اعتياديًّا، وتوجد له انفرادات برع فيها، وهو في ظرفٍ محدَّدٍ سلَّط الضّوء على المعارف الإلهيَّة، ومن جملة تلك المعارف، معرفة الإمام الحسين عليه السلام، وسأنقل روايتين؛ ولي فيهما مطلب:

الرواية الأولى: عن شخصٍ[1] يقول كنت جالسًا عند الإمام الصّادق عليه السلام فدخل رجل عليه من أهلِ طوس، (وأرجو الانتباه إلى ألفاظ الإمام)، فقال: ((**يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ مَا لِمَنْ زَارَ قَبْرَ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام**))[2] سؤال عاقل إلى من

١ – عَبد الله بن الْفَضْل الهَاشِمي. رجال الطوسي، الطوسي، محمد بن الحسن(ت: ٤٦٠هـ)، مؤسسة النشر الاسلامي، قم١٤١٥هـ، الثالثة: ٢٢٩.

٢ – الأمالي، للصدوق، ابن بابويه، محمد بن علي(ت: ٣٨١هـ)، كتابچي، طهران١٤١٨هـ، السادسة: ٥٨٧.

هـو أعقـل؛ فَقَـالَ لَـهُ عليه السلام: يَـا طُـوسِيُّ ((**مَـنْ زَارَ قَـبْرَ أَبِي عَبْـدِ اللهِ الْحُسَـيْنِ بْـنِ عَـلِيٍّ عليه السلام، وَهُـوَ يَعْلَـمُ أَنَّـهُ إِمَـامٌ مِـنَ اللهِ مُفْـتَرَضُ الطَّاعَـةِ عَـلَى الْعِبَـادِ، غَفَـرَ اللهُ لَـهُ مَـا تَقَـدَّمَ مِـنْ ذَنْبِـهِ وَمَـا تَأَخَّـرَ، وَقَبِـلَ شَـفَاعَتَهُ فِي سَـبْعِينَ مُذْنِبـاً، وَلَمْ يَسْـأَلِ اللهَ (عَـزَّ وَجَـلَّ) عِنْـدَ قَـبْرِهِ حَاجَـةً إِلَّا قَضَاهَـا لَـه**))[1]؛ ومدلـول هـذه الرِّوايـة واضـح، وهـو الكرامـة التـي أعدَّهـا الله لزائـري الإمـام الحسـين عليه السلام، وتوجـد روايـة عـن بعـض العلـماء المعاصريـن -أطـال الله في عمرهـم الشريـف-، مسـندة إلى معاويـة بـن وهـب[2]، وهـو مـن صحابـة الأئمّـة عليهم السلام مُعتـدٌّ بـه، ويُعـدُّ مـن الرِّجـال الأبطـال، وقـد اسـتأذن في ذات يـومٍ عـلى الإمـام الصـادق عليه السلام فـأُذن لـه، وعندمـا دخـل عـلى الإمـام الصـادق عليه السلام وجـده سـاجداً، ومـا يُلاحـظ في أوَّل الأمـر أنَّ الإمـام عليه السلام أذن لمعاويـة بـن وهـب بالدّخـول لـيرى الإمـام عليه السلام سـاجدًا، ويتكلّـم الإمـام بـكلامٍ يُسـمع بـه معاويـة بـن وهـب، وهـذه طريقـة غـير طبيعيّـة، إذ الطّبيعـي أنَّـك عندمـا تـأذن لشـخصٍ في الـدّار تسـتعدُّ وتتهيّـأ لـه، فكيـف أذن الإمـام عليه السلام بدخـول معاويـة وهـو عـلى تلـك الحالـة ؟

هـذه كُلُّهـا مقدّمـات عندمـا ينقلهـا معاويـة يتبيَّن فيهـا عظمـة الـكلام الـذي يتكلّـم بـه الإمـام الصّـادق عليه السلام، أمَّـا كلام الإمـام فعـن أيّ جهـة كان؟ فهـو لم يكـن في بيـان بعـض المطالـب العلميـة الدّقيقـة، وإنَّـما في بيـان مجمـوع زائـري الإمـام الحسـين عليه السلام، وفيهـم مـن الشّـيبة والشّـاب، والـذي يملـك نفقـة والـذي لا يملـك، وقـد جـاؤوا مـن أصقـاع الدُّنيـا بـين خائـفٍ وبـين متخـفٍّ، وكلُّهـم يريـدون التّمـرَّغ بقـبر الإمـام الحسـين عليه السلام.

---

١ - الأمالي، للصدوق: ٥٨٧- ٥٨٨.

٢ - معاويـة بـن وهـب البجـلي؛ أبـو الحسـن عـربي صميمـي، ثقـة، حسـن الطريقـة، روى عـن أبي عبـد الله وأبي الحسـن عليهما السلام. لـه كتـب، منهـا: كتـاب فضائـل الحـج. أخبرنـا محمـد قـال: حدثنـا أبـو غالـب أحمـد بـن محمـد قـال: حدثنـا الحميـري قـال: حدثنـا يعقـوب بـن يزيـد، عـن ابـن أبي عمـير، عـن معاويـة بـن وهـب بكتابـه. رجـال النجـاشي، أحمـد بـن عـلي(ت: ٤٥٠هـ)، مؤسسـة النـشر الاسـلامي، قم١٤٠٦هـ، السادسـة: ٤١٢.

قال معاوية: ((**اسْتَأْذَنْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام، فَقِيلَ لِي: ادْخُلْ فَدَخَلْتُ فَوَجَدْتُهُ فِي مُصَلَّاهُ فِي بَيْتِهِ فَجَلَسْتُ حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ، فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يُنَاجِي رَبَّهُ...**))[1]، الإمام عليه السلام ساجد، وعندنا روايات كثيرة: ((**أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد**))[2]، والإنسان إذا أراد أن يطلب حاجةً سجد لله تعالى، وكان الإمام الصادق عليه السلام يقول في سجوده وهو يبكي في مقدمةٍ طويلةٍ[3] من جملة ما قال فيها: ((**اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَانِي وَلِزُوَّارِ قَبْرِ أَبِي عَبْدِ الله الْحُسَيْنِ عليه السلام**))[4].

وهنا نلاحظ أنَّ الإمام عليه السلام قال: (**اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَانِي**) والإخوان في الرّحم أو الإخوان في الدّين، لا يضر، وقوله: (اغفر لي) معلومة الدّلالة لشخصه الشَّريف، ثمَّ أفرد دعاءً خاصًا لزوَّار قبر الإمام الحسين عليه السلام، وأودُّ الإشارة إلى مسألةٍ هي حال الإمام عليه السلام وهو يدعو لزائري قبر الإمام الحسين عليه السلام وهو إمامٌ معصوم، ثمَّ مقارنة هذا الحال مع فتاوى بعض الأقزام وكيفيَّة تعاملهم مع قضيَّة سيد الشهداء عليه السلام، والفرق شاسع بين الثّرى والثّريَّا؛ فقد وجَّه الإمام الصّادق عليه السلام إلى الله تعالى بهذه القضيّة، ويُسمع هذا الرّاوي لينقل الحدث، وأنت أيضًا اسمع وانقل.

الإمام عليه السلام يقول: ((**اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَانِي وَلِزُوَّارِ قَبْرِ أَبِي عَبْدِ الله الْحُسَيْنِ عليه السلام**)) ماذا بهم؟ ((**الَّذِينَ أَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَشْخَصُوا أَبْدَانَهُمْ، رَغْبَةً فِي بِرِّنَا وَرَجَاءً لِمَا عِنْدَكَ فِي صِلَتِنَا، وَسُرُوراً أَدْخَلُوهُ عَلَى نَبِيِّكَ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَإِجَابَةً مِنْهُمْ لِأَمْرِنَا، وَغَيْظاً أَدْخَلُوهُ عَلَى عَدُوِّنَا، أَرَادُوا بِذَلِكَ رِضَاكَ، فَكَافِهِمْ عَنَّا بِالرِّضْوَانِ، وَاكْلَأْهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**))[5].

---

١ - الكافي: ٤/ ٥٨٢.

٢ - الأصول الستة عشر: ٤١.

٣ - قال عليه السلام في مقدمة ما قال: ((يَا مَنْ خَصَّنَا بِالْكَرَامَةِ، وَخَصَّنَا بِالْوَصِيَّةِ، وَوَعَدَنَا الشَّفَاعَةَ، وَأَعْطَانَا عِلْمَ مَا مَضَى وَمَا بَقِيَ، وَجَعَلَ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْنَا...))، الكافي: ٤/ ٥٨٢.

٤ - م. ن: ٤/ ٥٨٢.

٥ - م. ن: ٤/ ٥٨٢.

ولاحظ هذا المقطع الأوّل وسيتّضح عندك الآن، أمّا المقطع الثاني: ((**وَاخْلُفْ عَلَى أَهَالِيهِمْ وَأَوْلَادِهِمُ الَّذِينَ خُلِّفُوا بِأَحْسَنِ الْخَلَفِ، وَاصْحَبْهُمْ وَاكْفِهِمْ شَرَّ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَكُلِّ ضَعِيفٍ مِنْ خَلْقِكَ أَوْ شَدِيدٍ، وَشَرَّ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَأَعْطِهِمْ أَفْضَلَ مَا أَمَّلُوا مِنْكَ فِي غُرْبَتِهِمْ عَنْ أَوْطَانِهِمْ، وَمَا آثَرُونَا بِهِ عَلَى أَبْنَائِهِمْ وَأَهَالِيهِمْ وَقَرَابَاتِهِمْ، اللهُمَّ إِنَّ أَعْدَاءَنَا عَابُوا عَلَيْهِمْ خُرُوجَهُمْ فَلَمْ يَنْهَهُمْ ذَلِكَ عَنِ الشُّخُوصِ إِلَيْنَا، وَخِلَافاً مِنْهُمْ عَلَى مَنْ خَالَفَنَا، فَارْحَمْ تِلْكَ الْوُجُوهَ الَّتِي قَدْ غَيَّرَتْهَا الشَّمْسُ، وَارْحَمْ تِلْكَ الْخُدُودَ الَّتِي تَقَلَّبَتْ عَلَى حُفْرَةِ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام**))[1]، وما زال معاوية يُكمل بعد هذا الكلام: ((**فَمَا زَالَ وَهُوَ سَاجِدٌ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ لَوْ أَنَّ هَذَا الَّذِي سَمِعْتُ مِنْكَ كَانَ لِمَنْ لَا يَعْرِفُ اللهَ لَظَنَنْتُ أَنَّ النَّارَ لَا تَطْعَمُ مِنْهُ شَيْئاً، وَاللهِ لَقَدْ تَمَنَّيْتُ أَنْ كُنْتُ زُرْتُهُ وَلَمْ أَحُجَّ، فَقَالَ لِي: مَا أَقْرَبَكَ مِنْهُ فَمَا الَّذِي يَمْنَعُكَ مِنْ إِتْيَانِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاوِيَةُ لِمَ تَدَعُ ذَلِكَ، قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ لَمْ أَدْرِ أَنَّ الْأَمْرَ يَبْلُغُ هَذَا كُلَّهُ، قَالَ: يَا مُعَاوِيَةُ مَنْ يَدْعُو لِزُوَّارِهِ فِي السَّمَاءِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْعُو لَهُمْ فِي الْأَرْضِ**))[2].

ترون الآن المشي على الأقدام للإمام الحسين عليه السلام بشكلٍ واسع، والزّوار يمرّون بمناطق قد يتعرّضون فيها إلى القتل، وقد حدثت في السَّنة السَّابقة والتي قبلها حوادث قتلٍ. والإمام الصادق عليه السلام يقارن بين فئتين؛ «القوم أبناء القوم»، والذي زارَ الإمام الحسين عليه السلام في زمن الإمام الصادق عليه السلام، هو الزّائر نفسه في هذا الظّرف وما سبق، هؤلاء الإخوة الأعزّاء الذين جاؤوا لزيارة الإمام الحسين عليه السلام لم يخرجوا بلا دليل، هؤلاء الذين جاؤوا هم مسدّدون بالدّليل الشَّرعي؛ فعلماؤنا الأبرار يؤكّدون زيارة الإمام الحسين عليه السلام في هذا العصر، والظَّرف مهيَّئ والصّحّة موجودة،

١ - الكافي: ٤/ ٥٨٣-٥٨٢.
٢ - م. ن: ٤/ ٥٨٣.

وأنا سمعت أكثر من عالم أمنيته مصاحبة الزّوّار في طريقهم إلى الإمام الحسين عليه السلام.

ارغبوا بزيارة سيد الشهداء عليه السلام، فهو مفتاح البركة، وهذا ليس بدعًا من القول، وليس جزافاً اعتباطًا، وإنّما كان معلَّق بالعرش: ((**إنَّ الحسين مصباحُ الهدى وسفينةُ النَّجاة**))[1]، وهذا ليس كلام النَّبي صلى الله عليه وآله؛ بل كان معلّقًا بالعرش.

أنا أسأل؛ مَن منَّا يملك القدرة على إخراج هذه الملايين بهذه الطَّريقة؟ الرَّجل الكبير، الرَّجل المعاق، الصغير، المرأة الكبيرة، المرأة الشّابّة، الشّاب، الشَّيخ، الغني، الفقير، كلُّهم خرجوا للإمام الحسين عليه السلام وقد أنفقوا من الوقت أيَّامًا، ومن يستطيع أن يخدم أناسًا بغير صفة زائري الإمام الحسين عليه السلام وهو يشعر بالتّقصير؟ هذا الأمر لا يتسنَّى إلَّا لخادم الإمام الحسين عليه السلام مع زائر سيّد الشّهداء الحسين عليه السلام.

هذه الطَّريقة تفي بإحياء قضيّة الإمام الحسين عليه السلام، وهناك روايات تنقل الحوار الذي دار بين الحوراء زينب عليها السلام مع الإمام زين العابدين عليه السلام وقد بيّنت الأحداث المستقبلية، وأنَّ الله تعالى سيُهيّئ رجالًا ((**ينصبون بهذا الطّفّ علمًا لقبر أبيك سيّد الشّهداء**))[2]، وتستمر دعوة الإمام الحسين عليه السلام إلى أن تملك الدّنيا.

أقوى شخصية في هذا العالم وفي هذا الموسم وغيره هي شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام، والذي يُريد الخير يأتي للحسين عليه السلام، والذي يريد الدّنيا يأتي للحسين عليه السلام، والذي يريد الآخرة يأتي للحسين عليه السلام أيضاً، ولا تتوقَّعوا من كلِّ أحدٍ أن يفهم الإمام الحسين عليه السلام و(**إِنَّ أَعْدَاءَنَا عَابُوا عَلَيْهِمْ خُرُوجَهُم**)، وهم لا يزالون يعيبون على زوار الحسين عليه السلام.

الإنسان يأتي ماشيًا إلى الحسين عليه السلام ما الضير في ذلك؟ لماذا تقضّ مضاجع

---

١ – مثير الأحزان، ابن نما الحلي، جعفر بن محمد (ت: ٨٤١هـ)، مدرسة الإمام المهدي (عجّل الله تعالى فرجة الشريف)، إيران؛ قم١٤٠٦هـ، الثالثة: ٤.

٢ – عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال: ١١/ ٩٥٩.

الطّغاة والمناوئين والحاقدين؛ فيصبُّوا جام غضبهم على زوَّار أبي عبد الله عليه السلام فيستقبلونهم بالرّصاص، هل توجد ذلّة وخسّة أكثر من ذلك؟

عندما يُسلب من الإنسان التوفيق في كلِّ شيء لا يرى النّور ولا يبصر، هذه المسألة من الضَّروريّ جدًّا التركيز عليها، بعيدًا عن كلِّ شيء نحن مع الإمام الحسين فقط؛ وإذا أصبح المطلب واضحًا أشير إلى جملة وصايا لها علاقة بالحدث الذي نحن فيه:

من المعلوم أنَّ مدينة كربلاء بمساحة محدّدة والزائرون -بحمد الله تعالى- في ازدياد في كلِّ سنة، والأعداد تفوق التّصوّر، وقد يصعب على الإنسان أن يُحصيها؛ وهذه كلُّها من بركات الإمام الحسين عليه السلام، ولكن هناك خوف على الزّائر وإن كُنَّا نُسلم برعاية الله تعالى في مثل هذه الأمور، ولكنَّنا مأمورون أن نعقل ونتوكّل، والخوف على الزائرين يُحتِّم علينا أن ننبِّه إلى بعض الأمور من باب الوصايا، عسى أن تكون بمشيئته تعالى فيها من الفائدة ما تؤدِّي إلى استكمال الزّيارة بكلّ شرائطها.

والوصايا هي:

الوصيّة الأولى: ضرورة إبعاد الشعائر الحسينية عن كلِّ هجين لا يمتُّ للشعائر بصلة، وعدم التّرويج للأفكار الخاصّة، واستغلال هذه الزّيارة في مثل هذه الأمور؛ لأنَّ زيارة الأربعين معروفة بالنّص وطريقة الأداء ولا يمكن أن تستغل هذه الزّيارة لترويج أفكارٍ خاصّة، وقد تكون في بعض الحالات هدَّامة.

الوصيّة الثَّانية: الابتعاد عن الأعمال التي تُثير الضّغينة بين الإخوة، وعدم فرض القناعات الخاصّة على الآخرين، فلا يمكن فرض ما هو خاصّ على الآخرين واستغلال هذا التّجمع في ذلك، وإنَّما الوظيفة هي خدمة الإمام الحسين عليه السلام والسّعي لتوفير الأجواء المناسبة لزيارة أبي عبدالله الحسين عليه السلام والتوجُّه إلى الزّيارة.

الوصيّة الثّالثة: لا يخفى عليكم أنَّ الإمام الحسين عليه السلام هو مجمع الفضائل وجامع الكلمة الحقَّة، وإمام الدّنيا ومصباح الهدى وسفينة النَّجاة؛ فليكن شعارنا جميعًا ذلك، ولنتعامل مع الإمام الحسين عليه السلام بما هو هو؛ لأنَّنا نحتاج في هذا الظَّرف إلى من يلمُّ شملنا، ويجمع متفرِّقنا، وعلينا أن نُكيِّف أنفسنا ونجعلها دائمًا ترى الإمام الحسين عليه السلام منارًا بحيث لا يغيب عن أذهاننا؛ لأنَّ في الإمام الحسين عليه السلام يكمن الحلّ لكثير من مشاكلنا.

الوصيّة الرَّابعة: على الإخوة الأعزَّاء من أعضاء المواكب والهيئات الحسينية ومن يتبعها التّقيِّد بالتعليمات الصَّادرة من القسم المختصّ بالمواكب، وذلك من أجل أن تسير الأمور بشكلٍ يوفِّر الأجواء المناسبة لإحياء هذه الشَّعائر بالطَّريقة المتعارفة، ويجب التّعاون مع الأجهزة الرّسميّة لتذليل الصّعوبات؛ وكذلك التّعاون مع خدّام العتبتين المقدَّستين الحسينية والعباسية؛ فإنَّهم يعملون بلا شكٍّ ولاريبٍ في خدمتكم وراحتكم، وعلى الإخوة الأعزَّاء المنتسبين من العتبتين المطهّرتين والمنتسباتِ بذل جميع الجهود الكريمة من أجل راحة الزَّائرين جميعاً بلا استثناء، وإرشادهم إلى ما فيه تيسير هذه الزّيارة المباركة وتسهيلها.

إنَّ الإمام الحسين عليه السلام هو رائدنا ومعلّمنا، وكلُّنا في الواقع نلوذ به عليه السلام، حتَّى الأئمّة عليهم السلام في رواياتٍ كانوا يدفعون المال من أجل أن يذهب شخصٌ يدعو لهم عند الإمام الحسين عليه السلام، وقد حصل ذلك مع الإمام الصادق عليه السلام إذ كان يفد من جانبه شخص إلى كربلاء من أجل الدّعاء له، والأمر نفسه مع الإمام الهادي عليه السلام.

أضف إلى ذلك الدّعاء للإمام الحجّة المهدي(عجَّل الله فرجه الشّريف) عند الإمام الحسين عليه السلام.

أخذ الله بأيدنا لما فيه خير الدّنيا، وأن يشملنا برعايته بحقِّ محمد وآل محمد، ولاسيَّما ونحن بجوار سيّد الشّهداء عليه السلام وأن يجعل هذه الزِّيارة الكريمة تمرّ على جميع المحبّين بسلامة وطمأنينة، وأن نُوفَّق في دفع التَّعب والجهد والمآسي عن الزَّائرين الكرام، وإن كانت تصب في زيادة الثواب لهم فقد ورد في الرّوايات الشَّريفة: ((**أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ أَحْمَزُهَا**[1]))[2]، والإنسان المؤمن يتحمَّل من أجل الإمام الحسين عليه السلام الصّعاب، وكلُّ شيءٍ يهون معه.

١ – أَحْمَزُها عليك؛ يعني أَمْتَنها وأَقواها وأَشدّها، وقيل: أَمَضّها وأَشَقّها. ويقال: رجل حامِز الفؤاد وحَمِيزُه أَي شديده. وهَمٌّ حامِزٌ: شديد، لسان العرب: ٥، ٣٣٩.

٢ – مفتاح الفلاح في عمل اليوم والليلة من الواجبات والمستحبات، الشيخ البهائي، محمد بن حسين (ت: ١٠٣٢هـ)، نشر دار الأضواء، بيروت، الأولى: ٤٥.

المبحث الثاني

مِن خصائِصِ الإِمامِ الحُسين عليه السلام

من الحقائق التي لا غُبار عليها أنَّ الله تبارك وتعالى يُكرم أولياءه؛ سواء كانوا من الأنبياء عليهم السلام والأئمّة الأطهار عليهم السلام، أو غيرهم في المرحلة التي دونهم من الصَّالحين؛ والله تعالى له موازين تختلف عن موازيننا؛ فالنّاس تتقرّب الى الله تعالى بالعبادة، والعباد تتفاوت مدركاتهم في معرفتهم لله جلّ شأنه؛ ويُمثّل الأنبياء والأئمّة عليهم السلام الأطهار أعلى الطّبقات في فهم التّوحيد؛ وهذا الفهم هو الذي يجعل الإنسان يرتبط بالله تبارك وتعالى؛ ولذلك تجدون دعوى الأنبياء عليهم السلام عادة إلى عباد الله سبحانه الواحد، وهذه العبادة هي الأصل لجميع فروع العبادات الأخرى، والإنسان يعلم أنَّه متعلّق بالله تعالى وهو مفتقر الى الله، والله تعالى هو الغني؛ إضافة إلى هذا الإدراك يحتاج إلى شيء خارجيّ يؤسّس ويؤصّل التّوحيد في نفس الإنسان، والإمام الحسين عليه السلام تعامل مع التّوحيد في أعلى الحالات، وورث ذلك عن جميع الأنبياء، بحيث سُمّيت زيارة خاصّة باسم زيارة وارث، وعندما نزور الإمام الحسين عليه السلام، ((**السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ آدَمَ صَفْوَةِ اللهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ نُوحٍ نَبِيِّ اللهِ**))[1] ويبدأ هذا التّسلسل إلى النّبي صلى الله عليه وآله، وهذه الوراثة عندما تتجمّع في قلب سيّد الشّهداء عليه السلام ستنتج حالة من حالات التّوحيد يصعب إدراكها لأوّل وهلة؛ ولذا كثير من الزّيارات تؤكّد أنَّ الإنسان عندما يزور الإمام الحسين عليه السلام له كذا أجر على أن يكون عارفًا بحقّه؛ لأنَّ المعرفة بحقّ الإمام الحسين عليه السلام مهمّة في ترتيب الأثر على الزَّائر؛ ومن هنا نعرف سرّ تميّز سيّد الشّهداء عليه السلام بميزات ذكرها المعصومون عليهم السلام؛ وهي:

الميزة الأولى: إنَّ الله تعالى جعل هذا المكان المقدّس محلّ استجابة الدّعاء؛ ولذا من ميزة الإمام الحسين عليه السلام أنَّ الدّعاء تحت قبّته الشَّريفة يكون مستجابًا؛ بل هناك ندب إنَّ الإنسان إذا أراد فليذهب الى محلّ تتوفّر في عوامل

١ - كامل الزيارات: ٢٢٩.

الاستجابة؛ ومن جملة هذه المحال تحت القبّة الشّريفة.

الميزة الثانية: إنَّ الله تعالى جعل الأئمّة الأطهار ﷺ من ذرّيّته، وعندنا الإمام السّجّاد ﷺ إلى بقية الله تعالى في الأرض الإمام المهدي ﷺ هؤلاء من ذرّيّة الإمام الحسين ﷺ.

الميزة الثالثة: إنّ الله تعالى جعل الشّفاء في تربته، وأحب أن أقف عند هذه النّقاط الثّلاثة سريعًا والمهم الميزة الثّالثة كون الله تبارك وتعالى يكرم أولياءه كما قلنا بحسب ما يبذل الإنسان لله سبحانه.

وحينما نتأمّل في واقعة كربلاء نجد أنَّ الإمام الحسين ﷺ في كلِّ ظروف الاستشهاد لم يبخل عن دين الله تعالى بشيءٍ أصلاً في مقام الطّاعة لله تعالى؛ وخاصّة إنَّ الإمام الحسين ﷺ تأخَّر عن الاستشهاد بعد أن استشهد إخوته وأبناؤه وأهل بيته؛ وهذه المسألة تحتاج إلى صبرٍ واحتساب هذا الأمر عند الله تعالى؛ ولذا كان صبره ﷺ صبرًا مميّزًا؛ فقد قدَّم كلّ أنصاره وأهل بيته بين يديه ﷺ قرابين لله تبارك وتعالى؛ وبعد ذلك تجد العائلة الكريمة تشاهد هذه المصارع، ولا تتراجع ولا تصاب بوهنٍ، ولا تُصاب بضعفٍ، ولا تُصاب بترديد؛ وإنَّما تزداد يقينًا بعد يقين مع ما قدَّموا من قرابين في سبيل الله سبحانه وتعالى، وهذه المسألة لوحدها كافية عندما تلحظ وتجد أنَّ الله تعالى يكرم، ويجعل هذا المحل محل استجابة الدّعاء؛ وهذا أمر سيدرك بعضه من خلال هذه العوامل في استشهاد الإمام الحسين ﷺ بل هنالك ملائكة مثل ما قلنا شُعث غبر يصعدون وينزلون يندبون الإمام الحسين ﷺ؛ لأنَّ عملية التّوحيد وعقيدة التّوحيد تجسّدت بشكلٍ واضحٍ علميًّا وعمليًّا في واقعة الطَّف؛ وسبيل التّوحيد عند الإمام الحسين ﷺ لذلك الإمام الحسين ﷺ يُقصد باعتباره محلًّا من محال إدراك التّوحيد ولا بدعة في ذلك أنَّ الله

تعالى يجعل هذا المكان الشريف هو محلّ استجابة الدّعاء؛ أمَّا كون الإمامة من ذُرّيّة الإمام الحسين عليه السلام مع أنّه ممكن أن تكون من الإمام الحسن عليه السلام بحسب القواعد العامّة، وممكن أن تكون من المحسن عليه السلام لو قدّر الله تعالى له أن يكون وأن يبقى حيًّا؛ لكن الله تعالى اختار وخصَّ الإمام الحسين عليه السلام بهذه الخصيصة.

أمَّا **النقطة الثالثة** والمهمّة: هو كون الشّفاء في تربة الإمام الحسين عليه السلام؛ وهذا الموضوع لا نُريد أن نبحث فيه بحثًا فقهيًّا للاستدلال؛ لكن على نحو العجالة؛ وأنتم تعلمون أنَّ مسألة الشّفاء بيد الله تبارك وتعالى، وهذه الأسباب الطّبيعية كلّها تنتهي إلى سببٍ واحدٍ وإلى علّةٍ واحدةٍ هو الله تعالى؛ إذ جعل الله تعالى أسراره في أمور كثيرة تكوينية أو تشريعية؛ وبعض الأذكار يكون لها أثر، وهذا اللفظ عندما يردّده الإنسان عن وعيٍ وعن إدراك سيؤثّر أثره؛ لكن كيفية تأثيره فهذا ليس تكليفنا؛ لأنَّ العبد لا يستطيع فهم جميع ما أراده الله تبارك وتعالى؛ لكن هناك قضايا تكوينيّة؛ فيمكن أن يكون الشّفاء بمشيئة الله تعالى عند حيوان معيَّن وقد يكون في استعمال نبات، والإنسان يسعى ويحاول استخلاص هذه المواد ويتعامل فيها للشفاء بلا استنكار من أحدٍ؛ بل تتهافت المختبرات الطّبيّة الآن على تحليل كثير من الأمور من أجل إيجاد علاجٍ موجودٍ في هذه النّبتة أو في الجزء من الحيوان أو في هذا الجزء من الطّائر، وهذا أمر بديهي تتعاطى النّاس معه بشكلٍ يوميّ، وعموم العقلاء يذهبون إلى الطّبيب ليصف الدّواء إمّا شرابًا وإمّا بعض الحبوب، والنّاس لا تسأله عن مصدر العلاج؛ وإنَّما تُسلّم له.

تربة الإمام الحسين عليه السلام؛ هذه التّربة الشَّريفة التي جعل الله تعالى الشّفاء فيها؛ ولكن ضمن شروط وليس مطلقاً؛ فهذه التّربة لها خصائص استثنائية

وبصورة عامّة السجود على التّراب في صحراء أو في مكان آخر؛ في حضر أو في سفر لا أحد من المسلمين يرى أنَّ تلك الصّلاة باطلة، أو يرى سجوده باطل؛ وبالعكس فإنَّ ذلك السّجود على التّراب أعلى حالة من حالات التّذلّل، وقد وردت بعض الأخبار أنَّ السجود على ترابٍ خاصّ له أهمّيّة أخرى وهو السجود على تربة الإمام الحسين عليه السلام، ولذلك درجت الطَّائفة الشِّيعية على أنَّها تُصلّي على تُرابٍ خاصٍّ وهو التراب المأخوذ من كربلاء؛ لأنَّ هذه الرّوايات تقول: إنَّ الصّلاة على التراب صلاة جائزة عند الجميع، وهذا التّراب تراب الإمام الحسين عليه السلام في رواياتنا الخاصّة له شأنية أكثر.

إنَّ السّجود عملية تذلّل لله تبارك وتعالى، ولا يجوز السّجود لغير الله تعالى؛ ومن يسجد على سجّادة لا يُقال له: أنت تعبد السّجّادة؛ أو يسجد على حصير لا يُقال له: أنت تعبد الحصير، وعندما يسجد على التّراب لا يُقال له: أنت تعبد التراب؛ فنعرف من هذا أنَّ هناك فهمًا سيّئًا وخاطئًا ابتليت به نهضة الإمام الحسين عليه السلام، ومن جملة ما تعرّضت للتّشكيك هذا السّجود على التّراب الذي هو عين التّوحيد، ومن التّراب تراب الإمام الحسين عليه السلام؛ لخصوصيّة الإمام الحسين عليه السلام، حتّى ورد أنَّ السّجود على تربة الإمام الحسين عليه السلام يخرق الحجب؛ وهذا كُلّه يتحوّل بين عشيّة وضحاها عن طريق الدّينار والدّرهم، وفي العصر الحالي عن طريق الدّولار يتحوّل الى نعتٍ سيّء؛ ولذا العقيدة الصّحيحة يجب أن تظهر، ونحن نعتقد أكثر من ذلك تبعاً للأئمّة والنّبي صلى الله عليه وآله أنَّ الله تعالى كرّم الإمام الحسين عليه السلام بأن جعل هذه التّربة مميّزة.

وإذا أردتم فهم القضية بشكلٍ واضحٍ طالعوا الكتب الفقهية في باب الأطعمة والأشربة ستجدون على أنَّه يحرم أكل التّراب إلَّا تراب الإمام الحسين عليه السلام المأخوذ من القبر للاستشفاء بمقدار حمصة أو أقل يُحل مع الماء،

ويزدرد على التّفصيل الفقهي؛ والنَّتيجة وتبعًا للرّوايات الشَّريفة أفتى العلماء بذلك؛ إضافة لذلك فإنَّ هذه التّربة الشّريفة هي محلّ اعتزاز؛ لأنَّ صاحب التّربة قد أعطى كلّ شيء لله سبحانه وتعالى، وتأمّلوا في هذه الرّواية وسأنقلها بطولها لما فيها من معنى؛ عن ((أَبِي مُوسَى بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قَالَ: لَقِيَنِي يُوحَنَّا بْنُ سَرَاقِيُونَ النَّصْرَانِيُّ الْمُتَطَبِّبُ فِي شَارِعِ أَبِي أَحْمَدَ فَاسْتَوْقَفَنِي، وَ قَالَ لِي: بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَدِينِكَ، مَنْ هَذَا الَّذِي يَزُورُ قَبْرَهُ قَوْمٌ مِنْكُمْ بِنَاحِيَةِ قَصْرِ ابْنِ هُبَيْرَةَ، مَنْ هُوَ مِنْ أَصْحَابِ نَبِيِّكُمْ قُلْتُ: لَيْسَ هُوَ مِنْ أَصْحَابِهِ هُوَ ابْنُ بِنْتِهِ، فَمَا دَعَاكَ إِلَى الْمَسْأَلَةِ عَنْهُ فَقَالَ: لَهُ عِنْدِي حَدِيثٌ طَرِيفٌ. فَقُلْتُ: حَدِّثْنِي بِهِ فَقَالَ: وَجَّهَ إِلَيَّ سَابُورُ الْكَبِيرُ الْخَادِمُ الرَّشِيدِيُّ فِي اللَّيْلِ، فَصِرْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ لِي: تَعَالَ مَعِي، فَمَضَى وَ أَنَا مَعَهُ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى مُوسَى بْنِ عِيسَى الْهَاشِمِيِّ، فَوَجَدْنَاهُ زَائِلَ الْعَقْلِ مُتَّكِئاً عَلَى وِسَادَةٍ، وَ إِذَا بَيْنَ يَدَيْهِ طَسْتٌ فِيهَا حَشْوُ جَوْفِهِ، وَ كَانَ الرَّشِيدُ اسْتَحْضَرَهُ مِنَ الْكُوفَةِ، فَأَقْبَلَ سَابُورُ عَلَى خَادِمٍ كَانَ مِنْ خَاصَّةِ مُوسَى، فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ مَا خَبَرُهُ فَقَالَ لَهُ: أُخْبِرُكَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ سَاعَةٍ جَالِساً وَ حَوْلَهُ نُدَمَاؤُهُ، وَ هُوَ مِنْ أَصَحِّ النَّاسِ جِسْماً وَ أَطْيَبِهِمْ نَفْساً، إِذْ جَرَى ذِكْرُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ يُوحَنَّا: هَذَا الَّذِي سَأَلْتُكَ عَنْهُ.

فَقَالَ مُوسَى: إِنَّ الرَّافِضَةَ لَتَغْلُو فِيهِ حَتَّى إِنَّهُمْ فِيمَا عَرَفْتُ يَجْعَلُونَ تُرْبَتَهُ دَوَاءً يَتَدَاوَوْنَ بِهِ. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ كَانَ حَاضِراً: قَدْ كَانَتْ بِي عِلَّةٌ غَلِيظَةٌ فَتَعَالَجْتُ لَهَا بِكُلِّ عِلَاجٍ، فَمَا نَفَعَنِي، حَتَّى وَصَفَ لِي كَاتِبِي أَنْ آخُذَ مِنْ هَذِهِ التُّرْبَةِ، فَأَخَذْتُهَا فَنَفَعَنِيَ اللهُ بِهَا، وَ زَالَ عَنِّي مَا كُنْتُ أَجِدُهُ قَالَ: فَبَقِيَ عِنْدَكَ مِنْهَا شَيْءٌ قَالَ: نَعَمْ. فَوَجَّهَ فَجَاءُوهُ مِنْهَا بِقِطْعَةٍ فَنَاوَلَهَا مُوسَى بْنَ عِيسَى فَأَخَذَهَا مُوسَى فَاسْتَدْخَلَهَا دُبُرَهُ اسْتِهْزَاءً بِمَنْ تَدَاوَى بِهَا وَ احْتِقَاراً وَ تَصْغِيراً لِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي هَذِهِ تُرْبَتُهُ- يَعْنِي الْحُسَيْنَ ﷺ فَمَا هُوَ إِلَّا

أَنِ اسْتَدْخَلَهَا دُبُرَهُ حَتَّى صَاحَ: النَّارَ النَّارَ الطَّسْتَ الطَّسْتَ، فَجِئْنَاهُ بِالطَّسْتِ فَأَخْرَجَ فِيهَا مَا تَرَى، فَانْصَرَفَ النُّدَمَاءُ وَ صَارَ الْمَجْلِسُ مَأْتَماً، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ سَابُورُ فَقَالَ: انْظُرْ هَلْ لَكَ فِيهِ حِيلَةٌ فَدَعَوْتُ بِشَمْعَةٍ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا كَبِدُهُ وَطِحَالُهُ وَرِئَتُهُ وَفُؤَادُهُ خَرَجَ مِنْهُ فِي الطَّسْتِ، فَنَظَرْتُ إِلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ فَقُلْتُ: مَا لِأَحَدٍ فِي هَذَا صُنْعٌ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لِعِيسَى الَّذِي كَانَ يُحْيِي الْمَوْتَى فَقَالَ لِي سَابُورُ: صَدَقْتَ وَلَكِنْ كُنْ هَاهُنَا فِي الدَّارِ إِلَى أَنْ يَتَبَيَّنَ مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِهِ، فَبِتُّ عِنْدَهُمْ وَهُوَ بِتِلْكَ الْحَالِ مَا رَفَعَ رَأْسَهُ، فَمَاتَ وَقْتَ السَّحَرِ))[1].

إنَّ من يتأمّل في هذه الشّخصيّة العظيمة ويرى أحاديث النّبي صلى الله عليه وآله في حقّ الإمام الحسين عليه السلام سيكتشف أنَّ وراءه سرّ كبير وأنّ الإمام الحسين عليه السلام قد أعدّ للنهضة بكلّ ما يستطيع أن يبذل ويُضحّي به؛ لأنَّ امتداد هذا الدّين سيكون الباعث له والمحرك له تلك التضحيات؛ فشعار الإمام الحسين عليه السلام الإصلاح في أمّة جدّه صلى الله عليه وآله؛ وهذا الظَّرف لم يكن للإمام الحسن عليه السلام ولا للإمام السّجّاد عليه السلام ولا لبقية الأئمّة الأطهار عليهم السلام هذا الظّرف جعل الإمام الحسين عليه السلام يُعطي كلَّ شيء لله تعالى؛ فأعطاه الله كلَّ شيء، وهذا الذي ذكرناه فيض من غيض في الدّنيا، أمّا في الآخرة فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يكون محلّ الإمام الحسين عليه السلام محلًّا كبيرًا، وأن تكون سفينته أسرع وأوسع في ذلك البحر.

وكذلك من مميزات الإمام الحسين أنَّه اختص عليه السلام بالاهتمام البالغ من الأئمّة الأطهار عليهم السلام بزيارته.

إنَّ الرّوايات الشَّريفة التي حثَّت وبيَّنت أهمّيّة زيارة الإمام الحسين عليه السلام روايات كثيرة جدًّا وبألسنة مختلفة، ويندر أن يكون أحدُ الأئمّة لم يتعرّض لزيارة الإمام الحسين عليه السلام سواء كان في أوقات مخصوصة؛ ليلة النّصف من شعبان مثلاً أو

١ - الأمالي، للطوسي: ٣٢٠-٣٢١.

يوم الجمعة، أو في بداية شهر رجب، ونصف رجب، وليالي القدر، ليالي أو أيّام العيدين، يوم عاشوراء، وأمثال ذلك من الزّيارات المنصوصة أو مطلق الزيارة في أيّ وقتٍ؛ وهذا دليل أنَّ الأئمّة الأطهار عليهم السلام جعلوا من ضمن اهتمامهم بيان محوريّة الإمام الحسين عليه السلام؛ وما هذا الحث على زيارة الإمام الحسين عليه السلام من الأئمّة العارفين بالإمام الحسين عليه السلام حقّ معرفته إلّا لبيان تنبيه اتباعهم وشيعتهم إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام؛ بحيث أصبحت من أدبيّات المؤمن، ومن أخلاقياته زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وإن كان على بُعد المشقّة؛ وهذا الاهتمام لا شكّ فيه أنَّ هناك آثارًا؛ وهذه الآثار تختلف باختلاف طبيعة الزّائر؛ وهذا حاله حال الإنسان عندما يقرأ القرآن الكريم؛ فيتأثّر لذلك، وكذلك عندما يقرأ الدّعاء؛ فالدّعاء يؤثّر؛ وكلّما كان الزَّائر متعلّمًا أكثر كلّما استفاد من القرآن الكريم أكثر، وكلّما كان الدَّاعي متوجّهًا إلى الله أكثر كلّما استفاد من الدّعاء أكثر؛ والحال نفسه للزائر كلّما كان ملتفتًا إلى أهمّيّة الزّيارة استفاد من الزّيارة ومن علومها ومعارفها أكثر.

إنَّ أهمّيّة هذا الموضوع عند الأئمّة الأطهار عليهم السلام تستوجب منّا أن نقف وأن نتأمّل لأكثر من سبب؛ فأنتم تعلمون أنَّ حديث النَّبي صلى الله عليه وآله في حقّه عليه السلام **((حُسَيْنٌ مِنِّي وَ أَنَا مِنْ حُسَيْن))**[1] فيه دلالات عميقة جدًّا؛ وعندما يربط النبي صلى الله عليه وآله نفسه المقدسة الشريفة بالإمام الحسين عليه السلام ويعبّر هذا التَّعبير لابُدَّ أنَّ هناك سرًّا خاصًّا في الإمام الحسين عليه السلام.

إنَّ هذا الحث، والرّوايات الكثيرة؛ وبعض الروايات تقول لا يترك أو

١ - كامل الزيارات: ٥٢.

لا تترك زيارة الإمام الحسين ﷺ حتَّى مع الخوف[١]؛ وكأنَّه لا بُدَّ للزائر أن يصل إلى الإمام الحسين ﷺ بجسده؛ نعم هناك روايات تقول: إنَّ الإنسان إذا كان لا يتمكّن من الزيارة يمكن له الصعود على سطح داره ويلتفت إلى جهة كربلاء ويقول: السلام عليك يا أبا عبد الله الحسين ﷺ[٢]؛ فالإمام ﷺ لا يُحب أن يَترك أحدٌ زيارة الإمام الحسين ﷺ من بعيدٍ أو من قريب؛ بل تذكر بعض الرّوايات طريقة التّعامل مع عمق الزّيارة؛ وعندما يصدر هذا الحديث من الإمام المعصوم مثل الإمام الصادق ﷺ أو بقية الأئمّة الأطهار ﷺ فهذا دليل على عظمة الزّيارة؛ وورد في رواية تنسب إلى الإمام أبي عبد الله الصادق ﷺ قال: ((**يَا حُسَيْنُ مَنْ خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ يُرِيدُ زِيَارَةَ قَبْرِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ﷺ إِنْ كَانَ مَاشِياً كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَسَنَةً وَمَحَى عَنْهُ سَيِّئَةً حَتَّى إِذَا صَارَ فِي الْحَائِرِ كَتَبَهُ اللهُ مِنَ الْمُصْلِحِينَ الْمُنْتَجَبِينَ [الْمُفْلِحِينَ الْمُنْجِحِينَ] حَتَّى إِذَا قَضَى مَنَاسِكَهُ كَتَبَهُ اللهُ مِنَ الْفَائِزِينَ حَتَّى إِذَا أَرَادَ الِانْصِرَافَ أَتَاهُ مَلَكٌ فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُقْرِؤُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ اسْتَأْنِفِ الْعَمَلَ فَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا مَضَى**))[٣].

إنَّ من أسرار الاهتمام بزيارة الإمام الحسين ﷺ للدلالة أنّه ابن بنت رسول الله ﷺ، وأنَّ هناك اعتقادًا خاصًا به كونه إمام مفترض الطَّاعة، وله شأنية استثنائية، وهذه الروايات تثبت هذه المعنى؛ وما عملية محو الذّنوب وإعطاء الحسنات بهذا الشكل إلّا لأنَّه مرتبط بالجانب العقائدي؛ أضيف إلى ذلك قال ﷺ: ((**مَنْ أَتَى الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ ﷺ فَتَوَضَّأَ وَ اغْتَسَلَ فِي الْفُرَاتِ**

---

١ – عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله (ﷺ) قال: قال لي: يا معاوية لا تدع زيارة قبر الحسين (ﷺ) لخوف، فان من ترك زيارته رأى من الحسرة ما يتمنى ان قبره كان عنده ، اما تحب ان يرى الله شخصك وسوادك فيمن يدعو له رسول الله (ﷺ) وعلي وفاطمة والأئمة (ﷺ).(كامل الزيارات: ٢٢٧).

٢ – كامل الزيارات: ٤٨٢ .

٣ – م. ن: ١٣٢.

لَمْ يَرْفَعْ قَدَماً وَلَمْ يَضَعْ قَدَماً إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ حِجَّةً وَعُمْرَة))[1]؛ يعني ثواب حجّة وثواب عمرة، فما هو ثواب الحجة عند الله تعالى، وما هو ثواب العمرة عند الله تعالى؟

ثمَّ إنَّ الذي يأتي للإمام الحسين عليه السلام بنية الزّيارة ومعرفة الإمام عليه السلام سيرزقه الله تعالى ثواباً خاصًّا؛ عن الإمام علي عليه السلام قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وآله، وتأملوا في الرواية: **((إِنَّ حَبِيبِي جَبْرَئِيلَ أَتَانِي فَأَخْبَرَنِي أَنَّكُمْ قَتْلَى))**[2] يحادث النبي صلى الله عليه وآله: **((وَمَصَارِعَكُمْ شَتَّى فَأَحْزَنَنِي ذَلِكَ فَدَعَوْتُ اللهَ لَكُمْ بِالْخَيْرِ فَقَالَ الْحُسَيْنُ عليه السلام فَمَنْ يَزُورُنَا عَلَى تَشَتُّتِنَا وَتَبَعُّدِ قُبُورِنَا فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُرِيدُونَ بِهِ بِرِّي وَصِلَتِي إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ زُرْتُهَا بِالْمَوْقِفِ وَأَخَذْتُ بِأَعْضَادِهَا فَأَنْجَيْتُهَا مِنْ أَهْوَالِهِ وَشَدَائِدِه))**[3].

ولاحظوا هذا المقطع من الزيارة من الرواية :**(طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُرِيدُونَ بِهِ بِرِّي وَصِلَتِي)**. إنَّ الإنسان عندما يبر رسول الله صلى الله عليه وآله وعندما يَصل رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فهذا مطلب لجميع المسلمين ولا أحد من المسلمين يقول: لا أريد أن أبرّ رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فهذا يخرج صاحبه عن ملّة الإسلام.

وهناك رواية أخرى يُعبّر ويقول فيها الإمام ما أجفاكم للحسين عليه السلام؛ وهذه حالة من حالات عدم الرضا؛ مع أنَّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام تؤثّر بصورة تربوية وروحية على الزّائر؛ وهذه الآثار يحتاجها الإنسان؛ لأنَّها جزء من شخصيّته؛ ومما يتوقّف عليها مقدار القرب من الله تعالى.

إنَّ الكلمات التي تُقال عند زيارة الإمام الحسين عليه السلام هي كلمات تحمل منتهى البلاغة ومؤثرة إلى أبعد الحدود حينما يزور عارفًا؛ فالزَّائر يرى انتقائية الكلمات

١ - كامل الزيارات: ١٨٦.
٢ - إعلام الورى بأعلام الهدى: ٣٤.
٣ - م. ن: ٣٤.

التي صدرت من لسان الإمام الباقر ﷺ أو من لسان الإمام الصّادق ﷺ أو من لسان الإمام الهادي ﷺ؛ وحينما يتأمّل في تلك الكلمات المنتقاة سيحصل على معانٍ سامية لم يكن يحصل عليه لولا الزّيارة؛ فزيارة الإمام الحسين ﷺ والأئمة ﷺ هو جانب تربويّ يحتاجه الإنسان في كلّ وقت؛ ولكن تحتاج إلى توجّه لا تختلف عن العبادات التي تحتاج إلى توجّه، وامتلاك المعارف؛ فثواب صلاة العالِم مثلاً تختلف عن غير العالِم؛ لأنَّ الأثر للصّلاة يختلف؛ ولذا لا يقبل الله تعالى الصلاة من قلبٍ ساهٍ؛ فهذا الحال هو نفسه عندما يقرأ القرآن الكريم؛ إذ الإقبال على قراءة القرآن والتّأمّل في آيات الله تعالى يحتاج إلى توجّه؛ وهكذا الإنسان عندما يزور الإمام الحسين ﷺ لا بُدَّ له من الانصراف بكلّه إلى سيّد الشّهداء ﷺ حتّى لا يُحرم من العطاء الذي بيّنه الإمام الصّادق ﷺ عند زيارة الإمام الحسين ﷺ بسبب انشغال وغفلة القلب، أو ذهاب العين والفكر إلى نظرٍ غير نظر الزّيارة مما ينتج قلّة التّأثر والتّفاعل؛ ولذلك بعض الرّوايات الشّريفة تؤكِّد أنَّ زائر الإمام الحسين ﷺ لا بُدَّ أن يُركّز على معرفة حقِّ الإمام الحسين ﷺ، وأن يتأمّل في تلك المعرفة.

إنَّ التأمل في قضيّة الإمام الحسين ﷺ يُصيب صاحبه بالذّهول، فقضيّة الإمام الحسين ﷺ عصيّة على الفهم، وليس من الهيّن أن يخرج الإنسان بجميع مكاسب الإمام الحسين ﷺ؛ فانشداد القلوب للإمام الحسين ﷺ بهذه القوّة خلال هذه السّنوات المتمادية يظهر إرادة الله تعالى بذلك؛ إضافة إلى ذلك بذل المُحبّين والموالين كلّ شيء من أجل الوصول عند الإمام الحسين ﷺ، ومن أجل أن يلقي بجسده على الإمام الحسين ﷺ، وهذا الحشد الهائل من الرّوايات ينبّهنا أنَّ زيارة تُخرج صاحبها بمكسبٍ لا تجده خارج الإمام الحسين ﷺ؛ ومع هذه المسافات، ومع هذه المشقّة لا بُدَّ للإنسان أن يتأمّل

الحالة التي هو بها عندما يأتي للإمام الحسين عليه السلام على عظمة سيّد الشّهداء عليهم السلام؛ وأنَّ هذا دين الله تعالى كان بحاجة إلى دمٍ ولا يوجد هذا الدّم إلَّا عند الإمام الحسين عليه السلام والإمام عليه السلام لم يبخل، وهذا الذي أعطاه لمن؟ لله تعالى، فالله تعالى كرّمه في الدّنيا فضلاً عن كرامة الآخرة؛ ففي الآخرة نحن لا يمكن أن نتصوّرها؛ وعندما تُعرض صور الحسنات، وصور الجنة، وصور النّار تأخذنا الدّهشة من تلك الصّور، فإنَّ النَّعيم شيء لا يُتصوّر، وهذا كله أعطاه الله تعالى -وهو أكرم الأكرمين- للإمام الحسين عليه السلام؛ وهذه منزلة هائلة تحتاج من الإنسان اهتماماً واستعداداً خاصّاً؛ وجزء من استعدادنا زيارتنا للإمام الحسين عليه السلام.

المبحث الثالث

آدابُ الزِّيارَة

هنـاك أدب لزيـارة الإمـام الحسـين ﷺ؛ ولاحظـوا أنَّ أغلـب الزّيـارات لا يفاجـئ الزّائـر نفسـه بالإمـام الحسـين ﷺ؛ بـل يبـدأ الزّائـر، ويقـول: الله أكـبر، الله أكـبر؛ وهنـا تعظيـم لله تعـالى وربـط هـذه الزّيـارة بـالله سـبحانه؛ فالزّيـارة ليسـت قضيـة شـخصية، أو للاسـتئناس؛ وإنَّـما الزّيـارة جـزء مـن ثقافتنـا وتربيتنـا الرّوحيـة؛ فهـي تُمثّـل جـزءًا مـن منهـج أهـل البيـت ﷺ في مجـال التّربيـة والأخـلاق؛ إضافـة إلى ذلـك فـإنَّ الزّيـارات ومنهـا زيـارة الإمـام الحسـين ﷺ ترتبـط بالإمـام ﷺ ولهـا علاقـة قويّـة لا تنفـك عـن العقيـدة.

إنَّ طبيعـة واقعـة الطَّـفّ فيهـا فضـح للسياسـة الأمويـة؛ بحيـث إنَّ هـؤلاء تجـرّدوا مـن كلّ مـا يمـت للإنسـانية مـن صلـة حتّـى الإمـام الحسـين ﷺ تنـازل عـن إسـلامهم وأنَّهـم غـير مسـلمين؛ ولكـن طلـب منهـم أن يكونـوا عربًـا كـما يزعمـون؛ وهنـاك أخـلاق وشـيم؛ ولكـن حتّـى هـذه انسـلخت.

لقـد اسـتطاع الإمـام الحسـين ﷺ فضحهم بطريقـة يعجز غير المعصـوم ﷺ أن يأتي بها. والقصـد مـن هـذا الـكلام أردت بـه الإشـارة أنَّ الإمـام الحسـين ﷺ هـو مـشروع عظيـم؛ ومـن هنـا فليكـن في مشروعنـا زيـارة الإمـام الحسـين ﷺ بالشَّـكل الـذي بيّنتـه الروايات، وأنَّ الحضـور عنـد الإمـام الحسـين ﷺ يعني الوعـي والفكـر والتّوجه والالتـزام، وبكلمة جامعـة يعني صناعـة أفـراد حسـينيين؛ ونحـن بأمسّ الحاجـة لهـذا الهـدف، وأقصـد مـن الأفـراد الحسـينيين كأصحابـه؛ وإذا لم نسـتطع أن نكـون كأصحابـه لا نكـن كأعدائـه -والعيـاذ بـالله تعـالى-؛ لذلـك ينبغـي التّوجـه إلى أهمّيّـة ودور الزّيـارة في حيـاة الإنسـان، والمؤمنـون جزاهـم الله تعـالى خـير الجـزاء أينـما كانـوا تعـوّدوا أن يشـدّوا الرّحـال للإمـام الحسـين ﷺ في كلِّ فرصـة، ولعـلَّ أوسـع تظاهرة للإمام الحسـين ﷺ هي زيـارة الأربعين.

ولذلـك أوجّـه نِدائـي لـكلّ المؤمنـين والمؤمنـات مـا اسـتطاعوا إلى ذلـك سـبيلاً الإكثـار مـن زيـارة الإمـام الحسـين ﷺ؛ فهـو أمـر مرغـوب إليـه، والحـثّ عـلى

زيارة الإمام الحسين ﷺ أمر مقبول؛ فأقبلوا إلى الإمام الحسين ﷺ؛ فإنَّها منجاة، وفيها لذّة؛ وفيها فهم لطبيعة الدّنيا؛ وعدم فهم الدّنيا جزء من مشكلتنا، والحديث يقول: ((**رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ حُبُّ الدُّنْيَا**))[١] وجزء من نزع هذه المسألة من قلوبنا الإتيان إلى الإمام الحسين ﷺ.

مهما كُتب وأُلِّف عن الإمام الحسين ﷺ فلن نستطيع معرفته؛ ولاحظوا الشّعراء والكتاب كم كتبوا؟ لكن لم يصلوا ولن يصلوا إلى قضيّة الإمام الحسين ﷺ؛ ولكن هذه المحبّة وهذا العشق فيه جذب خاصّ، والمؤمن عندما يأتي إلى الإمام الحسين ﷺ يخرج بمكسبٍ تربويّ وأخلاقيّ؛ إضافة إلى إجابة الدّعاء، والخروج وهو يشعر بلذّة الانتماء للإمام الحسين ﷺ؛ وهذه بذاتها لذّة، ولا اعتقد أنَّ هناك لذّة تساويها؛ مع المكتسبات الأخرى؛ أمثال شفاعة النَّبي الأكرم ﷺ، والنَّجاة من أهوال يوم القيامة، وقبل كلّ ذلك غفران الذّنوب؛ إذ الرّواية تقول أنَّ العبد بعد الزّيارة يخاطبه: ((**مَلَكٌ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ يَا عَبْدَ اللهِ اسْتَأْنِفِ الْعَمَلَ فَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِك**))[٢].

إنَّ الكلام عن آثار زيارة الإمام الحسين ﷺ ليس كلامًا سهلًا؛ فهذا الإقبال وهذا الانشداد لا بُدَّ أن يكون بهذا الوعي والإدراك، وأن تكون البصمة الحسينية على الزّائر، وأن ينعت بهذه البصمة، وأنَّ صفته مضافة إلى الإمام الحسين ﷺ؛ فيُعبّر عنه بالحسينيّ؛ فهو كثير الزّيارة للإمام الحسين ﷺ، وأنَّه كربلائيّ لمجيئه من كربلاء، وممّا لا شكّ فيه أنَّ الزّائر يتشرّف بذلك؛ ومن أهمّ الزّيارات التي ورد الحث عليها زيارة الأربعين التي تُعدُّ الزِّيارة الأكبر في العدد والمراسيم والمواسم والأهمّيّة؛ وهنيئاً لمن وُفِّق لزيارة الإمام الحسين ﷺ في كلّ يوم، وفي كلِّ لحظة، وفي

١ – الكافي: ٢، ٣١٥.

٢ – جامع الأخبار، للشعيري: ١٥٧.

كلّ أسبوع، وفي كلّ شهر، وفي كلّ سنة؛ خصوصاً الزّيارات المندوبة للإمام الحسين عليه السلام؛ فهو عليه السلام((**مصباح الهدى وسفينة النَّجاة**))[1] ومعنى مصباح الهدى أنَّه يُبدِّد الظّلام إذا ادلهمّت الخطوب، وجزء منه الحجب النّفسية التي ترتفع ببركة زيارة الإمام الحسين عليه السلام؛ ولذلك لا بُدَّ من التّنبيه إلى عدّة نقاط لها علاقة بهذه الوظيفة:

الأمر الأوّل: الذين رُزقوا التَّوفيق لزيارة الإمام الحسين عليه السلام مشيًا على الأقدام زيادة في الأجر؛ لا بُدَّ من استغلال الوقت الذي يُقضى في المشي في تربية الذّات والتّفكير في إصلاح النّفس دائماً سواء على المستوى الشّخصي أو على المستوى الاجتماعي أو على أي مستوى؛ سواء كان في موقعٍ رسميّ أو في موقعٍ اجتماعيّ، ونِعم الوقت ذلك الوقت الذي يكون في تربية الذَّات وتهذيب السّلوك.

الأمر الثاني: الإمام الحسين عليه السلام في منتهى التّنظيم في اختيار أصحابه وطبيعة القتال وتنظيم صفوفه وتنظيم أصحابه؛ وهذا ينبغي أن ينعكس علينا، وأن يكون الزَّائر متحلّيًا بأخلاق الإمام الحسين عليه السلام مجتنبًا لكثير من الأعمال التي لا يرضى بها الشّارع المقدّس، والحفاظ على الممتلكات الشّخصية والعامّة سواء كان شارعًا أو حديقة أو شجرة وغيرها. كما على الزَّائر التّحلّي بالرّوح التي تحمل كلَّ المعاني المستنبطة والمأخوذة من الإمام الحسين عليه السلام، فالزَّائر عندما يُنظّم نفسه؛ فإنَّ ذلك تأسي بالإمام الحسين عليه السلام.

على الزّائر عندما يتوجّه إلى الإمام الحسين عليه السلام أن يعرف كيف يحيا، وكيف يبني ذاته، وكيف يبني المجتمع؛ والزّائر عندما يتأمّل في الإمام الحسين عليه السلام أكثر ستنقدح في ذهنه أشياء كثيرة جلّها في بناء الإنسان وفي بناء خُلق الإنسان وعدم خروجه يميناً أو شمالاً بل كلّ سيره في طاعة الله تبارك وتعالى؛ إضافة إلى ذلك لا بُدَّ للزائر أن يكون في يقظة وحذر من استهدافه -لا قدر الله تعالى- من قبل الجهات الإرهابية.

---

١ - مثير الأحزان: ٤.

الأمـر الثّالـث: عـلى الزّائـر الكريـم عندمـا يقصـد الإمـام الحسـين عليه السلام في هـذه الزّيـارة، وفي كلّ زيـارة استشـعار قداسـة مـن قصـد إليـه وأن يجنـب الزّيـارة وشـعيرة المـشي وكلّ مـا يتعلّـق بهـا مـن كلّ النتـوءات الدّخيلـة، وأن يكـون بمسـتوى تحمّـل المسـؤولية؛ لأنَّ عنـوان زائـر الإمـام الحسـين عليه السلام عنـوان سـامٍ ونبيـل؛ ومـن هنـا عـلى الزّائـر أن يكـون بمسـتوى تحمّـل المسـؤولية مـن حـين وضـع أوّل قـدم لحـين الوفـود إلى سـيّد الشّـهداء عليه السلام، وأن يُجنّـب هـذه الشّـعيرة عـن أيّ شيء خارجهـا، ولا يُحـاول أن يوهـن منهـا؛ فإنَّهـا دعـوة الأئمّـة الأطهار عليهم السلام وضمانـة النّبـي صلى الله عليه وآله، والنبـي الأكـرم صلى الله عليه وآله لا يضمـن شـيئاً لا يتناسـب مـع تعاليمـه ومـع مـا جـاء بـه.

الأمـر الرَّابـع: المرجـو مـن الإخـوة المسـؤولين في الدّولـة تهيئـة جميـع السّـبل لتسـهيل زيـارة الإخـوة مـن خـارج العـراق؛ سـواء كانـت المنافـذ البرّيّـة والجوّيّـة، ومـن الآن عليهـم أن يُهيّئـوا اسـتعداداتهم الكافيـة لاسـتقبال الزَّائريـن بحسـب مـا يرونـه؛ ونحـن لا نقـول: لا تجعلـوا أيّ ضابطـة؛ فهـذا لا نقولـه، وإنَّـما نقـول: حاولـوا أن تُسـهّلوا زيـارة الإخـوة مـن الخـارج إلى داخـل المدينـة، وهـذا يحتـاج إلى زيـادة في الـكادر إذا كان ناقصًـا، وسـهولة المخاطبـات إذا كان فيهـا روتـين كثـير، وتوفـير مـا يمكـن توفـيره مـن قنـوات كثـيرة لأخـذ التأشـيرة إذا كانـت، وأمثـال ذلـك.

دعاءُ المعصومينَ لزوّارِ الإمامِ الحسين عليه السلام

إنّ هذا الحضور المليوني الكبير في زيارة الأربعين لسيّد الشّهداء عليه السلام ولعلَّ كلمات الثّناء والتّعظيم للزائرين مهما عبّرت عن ذلك ستكون قاصرة، ولكن يحضر الإمام الصادق عليه السلام ويبيِّن ما للزائرين الكرام من فضلٍ ومن قيمة حقيقة حيث يتوجه الإمام الصادق عليه السلام بالدعاء لهم، ولعلَّ هذا الكلام أفضل ما يمكن أن يعبَّر بصدق عن هذه المنزلة الرَّفيعة التي بيّنها عليه السلام فقال: ((**اللهُم يَا مَنْ خَصَّنَا بِالْكَرَامَةِ، وَوَعَدَنَا الشَّفَاعَةَ، وَحَمَّلَنَا الرِّسَالَةَ، وَجَعَلَنَا وَرَثَةَ الأَنْبِيَاءِ، وَخَتَمَ بِنَا الأُمَمَ السَّالِفَةَ، وَخَصَّنَا بِالْوَصِيَّةِ، وَأَعْطَانَا عِلْمَ مَا مَضَى وَعِلْمَ مَا بَقِيَ، وَجَعَلَ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْنَا، اغْفِرْ لِي وَلإِخْوَانِي وَزُوَّارِ قَبْرِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام، الَّذِينَ أَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ، وَأَشْخَصُوا أَبْدَانَهُمْ رَغْبَةً فِي بِرِّنَا، وَرَجَاءً لِمَا عِنْدَكَ فِي صِلَتِنَا، وَسُرُوراً أَدْخَلُوهُ عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، وَإِجَابَةً مِنْهُمْ لأَمْرِنَا، وَغَيْظاً أَدْخَلُوهُ عَلَى عَدُوِّنَا، أَرَادُوا بِذَلِكَ رِضْوَانَكَ، فَكَافِهِمْ عَنَّا بِالرِّضْوَانِ، وَاكْلأَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَاخْلُفْ عَلَى أَهَالِيهِمْ وَأَوْلادِهِمُ الَّذِينَ خُلِّفُوا بِأَحْسَنِ الْخَلَفِ، وَاصْحَبْهُمْ وَاكْفِهِمْ شَرَّ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَكُلِّ ضَعِيفٍ مِنْ خَلْقِكَ وَشَدِيدٍ، وَشَرَّ شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَأَعْطِهِمْ أَفْضَلَ مَا أَمَّلُوا مِنْكَ فِي غُرْبَتِهِمْ عَنْ أَوْطَانِهِمْ، وَمَا آثَرُوا عَلَى أَبْنَائِهِمْ وَأَبْدَانِهِمْ وَأَهَالِيهِمْ وَقَرَابَاتِهِمْ. اللهُمَّ إِنَّ أَعْدَاءَنَا أَعَابُوا عَلَيْهِمْ خُرُوجَهُمْ، فَلَمْ يَنْهَهُمْ ذَلِكَ عَنِ النُّهُوضِ وَالشُّخُوصِ إِلَيْنَا خِلافاً عَلَيْهِمْ، فَارْحَمْ تِلْكَ الْوُجُوهَ الَّتِي غَيَّرَتْهَا الشَّمْسُ، وَارْحَمْ تِلْكَ الْخُدُودَ الَّتِي تَقَلَّبَتْ عَلَى قَبْرِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، وَارْحَمْ تِلْكَ الْعُيُونَ الَّتِي جَرَتْ دُمُوعُهَا رَحْمَةً لَنَا، وَارْحَمْ تِلْكَ الْقُلُوبَ الَّتِي جَزِعَتْ وَاحْتَرَقَتْ لَنَا، وَارْحَمْ تِلْكَ الصَّرْخَةَ الَّتِي كَانَتْ لَنَا، اللهُمَّ إِنِّي أَسْتَوْدِعُكَ تِلْكَ الأَنْفُسَ وَتِلْكَ**

الأَبْـدَانَ، حَتَّـى تُرَوِّيَهُـمْ مِـنَ الْحَـوْضِ يَـوْمَ الْعَطَـشِ الْأَكْـبَرِ))[١].

إنَّ هـؤلاء باعـوا الدّنيـا وملذّاتهـا وفي كثـير مـن الأحيـان هـم يعلمـون أنَّ هـذا الطَّريـق هـو طريـق ذات الشّـوكة، ومـن الممكـن أن يُسـتهدفوا مـن قِبـل الأعـداء، لكنّهـم غـير آبهـين لذلـك وتـرى أعدادهـم في تزايـدٍ مستمر نحـو مرقـد الإمـام الحسـين عليه السلام، وقـد ورد نـصّ تاريخـيّ قبـل شـهادة الإمـام الحسـين عليه السلام حـول هـؤلاء الزّائريـن الذيـن يتمتّعـون بالبصـيرة، وحـول الذيـن قـد غرَّتهـم الحيـاة الدنيـا وأعمتهـم، قـال الطـبري في تاريخـه: ((ثُـمَّ وفـد الأحنـف بـن قيـس[٢] وجاريـة بـن قدامـة[٣]، مـن بنـي رَبِيعَـة بـن كعـب ابـن سَـعْد والجـون بـن قَتَـادَة العبشـمي[٤] والحتـات بـن يَزِيـدَ أبـو منـازل[٥]، أحـد بنـي حـوي بـن سُـفْيَان بـن مجاشـع إِلَى مُعَاوِيَـةَ بـن أَبِي سُـفْيَانَ، فأعطـى كلّ رجـل مِنْهُـمْ مائـة ألـف، وأعطـى الحتـات سـبعين ألفًـا، فلـمّا كَانُـوا فِي الطّريـق سـأل بعضهـم بعضًـا، فأخـبروه بجوائزهـم، فـكان الحتـات أخـذ سـبعين ألفـاً، فرجـع إِلَى مُعَاوِيَـةَ، فَقَـالَ: مَـا ردك يَـا أَبَـا منـازل؟ قَـالَ: فضحتنـي

---

١ - كامل الزيارات: ١١٦ - ١١٧.

٢ - الأحنف بْن قيس والأحنف لقب له لحنف كان برجله، واسمه الضحاك، وقيل: صخر بْن قيس بْن معاوية بْن حصين بْن عبادة بْن النزال بْن مرة بْن عبيد بْن الحارث بْن عمرو بْن كعب بْن سعد بْن زيد مناة بْن تميم، أبو بحر التميمي السعدي، أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير(ت: ٦٣٠هـ) المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الأولى: ١/ ١٧٨.

٣ - جارية بْن قدامة التميمي السعدي عم الأحنف بْن قيس، وقيل: ابن عم الأحنف، قاله ابن منده، وَأبو نعيم، إلا أن أبا نعيم، قال: وقيل: ليس بعمه، ولا ابن عمه أخي أبيه، وَإِنما سماه عمه توقيرًا، وهذا أصح، فإنهما لا يجتمعان إلا إِلَى كعب بْن سعد بْن زيد مناة، عَلَى ما نذكره، فإن أراد بقوله: ابن عمه أنهما من قبيلة واحدة، فربما يصح له ذلك، وهو: جارية بْن قدامة بْن مالك بْن زهير بْن حصن، ويقال: حصين بْن رزاح، وقيل: رياح بْن أسعد بْن بجير بْن ربيعة بْن كعب بْن سعد بْن زيد مناة بْن تميم التميمي السعدي، يكنى: أبا أيوب وأبا يزيد، يعد في البصريين، م. ن: ١/ ٥٠٢.

٤ - جون بْن قتادة بْن الأعور بْن ساعدة بْن عوف بْن كعب بْن عبد شمس بْن زيد مناة بْن تميم التميمي يعد في البصريين، قيل: له صحبة، وقيل: لا صحبة له ولا رؤية، وهم فيه هشيم، م. ن: ١/ ٥٨٠.

٥ - الحتات بْن يَزِيدَ بْن علقمة بْن حوي بْن سفيان بْن مجاشع بْن دارم بْن مالك بْن حنظلة بْن مالك بْن زيد مناة بْن تميم التميمي الدارمي قدم عَلَى النَّبِيّ صلى الله عليه وآله في وفد بني تميم، مع عطارد بْن حاجب، والأقرع بْن حابس، وغيرهما، فأسلموا، ذكرهم بْن إِسْحَاق، والكلبي. وآخى رَسُول الله صلى الله عليه وآله بينه، وبين معاوية بْن أَبِي سفيان، م. ن: ١/ ٦٨٧.

فِي بني تميم، أما حسبي بصحيح! أوَلست ذا سن! أوَلست مطاعاً فِي عشيرتي! فَقَالَ مُعَاوِيَة: بلى، قَالَ: فما بالك خسست بي دون القوم! فَقَالَ: إنّي اشتريت من القوم دينهم ووكلتك إِلَى دينك... فَقَالَ: وأنا فاشتر منّي ديني، فأمر لَهُ بتمام جائزة القوم))[1]، فهؤلاء باعوا دينهم فعجَّلوا، وتسبّبوا في استشهاد الإمام الحسين عليه السلام والذين سعوا، واتّبعوا نداء الإمام الحسين عليه السلام على مرِّ التاريخ حين قال: ((**مَنْ لِحَقَ بِي مِنْكُمْ اسْتُشْهِدَ وَمَنْ تَخَلَّفَ لَمْ يُدْرِكِ الْفَتْحَ وَالسَّلَام**))[2] وهذا الفتح الذي أرانا الله بعضه في هؤلاء الذين زحفوا وزاروا، فقد دخلوا في عمقِ السَّفينة الواسعة؛ ألا وهي سفينة سيّد الشّهداء عليه السلام.

إن لزيارة الأربعين دلالات واسعة جدًّا، ولعلَّ من جملتها الاستئناس بمبادئ سيّد الشّهداء والاغتراف من معينه الذي لا ينضب، ففي كلِّ سنة وفي كلِّ عام نستفيد استفادة مختلفة عن العام الماضي ببركة سيّد الشّهداء عليه السلام.

إنَّ هذا الحضور المبارك من قِبل الإخوة الزَّائرين الذين أعطوا شيئًا كثيرًا، وأثبتوا من خلال هذه الرحلة الموفّقة في عشرات الأميال صدق الولاية وصدق هذا الوفاء للإمام الحسين عليه السلام لم يكن يحصل لولا وجود سواعد مؤمنة حافظت على هذا الوجود المبارك بدمائها، فكلّنا مُدانون لتلك الدِّماء الزَّكيّة التي أُريقت وما زالت تُراق من أجل الحفاظ والدِّفاع عن هذا البلد، فأشركوهم في ثواب أعمالكم، فهم يتمنّون أن يكون معكم لكن وظيفتهم من حيث المرابطة والحضور هناك أهم، وتلك الدّماء التي نزفت هي من جعلت هؤلاء الإخوة بهذه الحشود المليونية يأتون، ويزحفون إلى كربلاء حتَّى تدخل

١ - تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري(ت: ٣١٠هـ)، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ)، دار التراث - بيروت الثانية - ١٣٨٧هـ: ٥/ ٢٤٣.

٢ - مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، لابن شهرآشوب: ٤/ ٧٦، مختصر البصائر: ٦٠.

تحت دعاء الإمام الصَّادق عليه السلام.

سلَّم الله الزَّائرين جميعاً ومنَّ عليهم بطول العمر، وإن شاء الله كما هم لم ينسوا الإمام الحسين عليه السلام هنا لن ينساهم يوم القيامة، كما أنَّهم واسوا الزَّهراء عليها السلام فهي تعرف كيف تلتقي بمُحبّيها في ذلك اليوم الذي تشخص به الأبصار إلى رحمة الله تعالى وهي واسعة تسعنا -إن شاء الله تعالى-. أخذ الله بأيدينا جميعاً بما يُحبّ ويرضى، ومنَّ على الجميع بالأمن والأمان، وآخر دعوانا الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على محمد وآله الطَّيبين الطَّاهرين.

المبحث الرابع

الميثاقُ الخالِدُ

زيارة الأربعين حدثٌ كبيرٌ وزيارةٌ عظيمةٌ في نفوس المؤمنين والمؤمنات الذين يعرفون منزلة وحقيقة الإمام الحسين عليه السلام[١]، ولا شكَّ أنَّ الباعث في الحضور عند الإمام الحسين عليه السلام وأداء هذه الزّيارة رجالاً ونساء هو الولاء الصّادق وحبّ النّبي صلى الله عليه وآله وتعظيم الشّعائر التي ندب إليها الشّارع المقدَّس.

إنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام من الأعمال التي رغّب فيها الشّارع المقدّس، وقد ذكرنا أنَّ الأئمّة الأطهار عليهم السلام قد أفردوا جانبًا مهمًّا من كلماتهم الشّريفة لتأكيد زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وسأقف الآن عند رواية واحدة اقتطع منها مقطعاً لبيان بعض ما ورد فيها من الفوائد والوعد الذي بيّنته الكلمات الخاصّة للأئمّة الأطهار عليهم السلام. والرّواية موجودة في كامل الزيارات[٢]، وهو من الكتب المعتبرة التي ذكرت جملة وافرة من الأحاديث في زيارة الأئمّة الأطهار عليهم السلام وتأكيد زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

تُنْقَل الرّواية عن شخصٍ اسمه قدامة بن زائدة[٣] يتحدّث عن أبيه زائدة، ولاحظوا هذا الحوار الذي حصل بين الإمام زين العابدين عليه السلام وبين زائدة، واعتقد أنَّ هذا الكلام يجري على جميع الذين وُفِّقُوا لزيارة الإمام الحسين عليه السلام؛ يقول الإمام السّجاد عليه السلام: **((بَلَغَنِي يَا زَائِدَةُ أَنَّكَ تَزُورُ قَبْرَ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنِ فَقُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَكَمَا بَلَغَكَ، فَقَالَ لِي: فَلِمَاذَا تَفْعَلُ ذَلِكَ وَلَكَ مَكَانٌ عِنْدَ**

---

١ – روي عَنْ هِنْدٍ الْخَنَّاطِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام يَقُولُ: (**مَنْ زَارَ الْحُسَيْنَ عليه السلام عَارِفاً بِحَقِّهِ يَأْتَمُّ بِهِ غَفَرَ [اللهُ] لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ**). ينظر: كامل الزيارات: ١٣٩.

٢ – جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه يكنى أبا القاسم، وكان أبوه يلقب مسلمة بفتح الميم وسكون السين وفتح اللام والميم أيضا والتاء من خيار أصحاب سعد، وكان أبو القاسم من ثقات أصحابنا وأجلائهم في الحديث والفقه، روى عن أبيه وأخيه عن سعد وقال: ما سمعت من سعد إلا أربعة أحاديث، وهو أستاد الشيخ المفيد رحمه الله، ومنه حمل العلم والحديث، وكلما يوصف به الناس من جميل وثقة وفقه، فهو فوقه، له تصانيف ذكرناها في كتابنا الكبير، توفي رحمه الله سنة تسع وستين وثلاثمائة. رجال العلامة الحلي، العلامة الحلي، الحسن بن يوسف(ت: ٧٢٦هـ)، دار الذخائر، النجف١٤١١هـ، الثانية: ٣١.

٣ – قدامة بن زائدة الثقفي الكوفي، أسند عنه. ينظر: رجال الشيخ الطوسي: ٢٧٢.

سُلْطَانِك))[١] والتفتوا إلى متن الرّواية، قال: **((وَلَكَ مَكَانٌ عِنْدَ سُلْطَانِكَ الَّذِي لَا يَحْتَمِلُ أَحَداً عَلَى مَحَبَّتِنَا وَتَفْضِيلِنَا وَذِكْرِ فَضَائِلِنَا وَالْوَاجِبُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ حَقِّنَا، فقلت: وَاللهِ مَا أُرِيدُ بِذَلِكَ إِلَّا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا أَحْفِلُ بِسَخَطِ مَنْ سَخِطَ وَلَا يَكْبُرُ فِي صَدْرِي مَكْرُوهٌ يَنَالُنِي بِسَبَبِه، فَقَالَ: وَاللهِ إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ. فَقُلْتُ: وَاللهِ إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِك، يَقُولُهَا ثَلَاثاً وَأَقُولُهَا ثَلَاثا، فَقَالَ: أَبْشِرْ ثُمَّ أَبْشِرْ ثُمَّ أَبْشِر))**[٢] ثمّ بدأ الإمامُ السّجّاد عليه السلام يشرح لزائدة ما حصل بعد واقعة الطّفّ عندما حُمِل مع العائلة الكريمة أسرى يراد بهم الكوفة، ومرّ على الأجساد وشاهدها، وبدأ الإمام السّجّاد عليه السلام يتألّم لرؤية والده وعمه وإخوته وأهل بيته والأصحاب، والطّريقة التي استشهدوا فيها، فأخذت مأخذًا في نفس الإمام، يقول: وفي أثناء هذه الحالة جاءت عمّتي زينب عليها السلام فقالت: **((مَا لِي أَرَاكَ تَجُودُ بِنَفْسِكَ يَا بَقِيَّةَ جَدِّي وَأَبِي وَإِخْوَتِي))** فيُبيّن الإمام عليه السلام: كيف لا أجزع، وقد رأيت ما رأيت؟ فتنقل زينب عليها السلام للإمام السّجّاد عليه السلام رواية، والقضية مُفصّلة عن أمّ أيمن[٣]، قالت: **((لاَ يُجْزِعَنَّكَ مَا تَرَى))** أي لا تجزع من هذه الحالة والمشاهد التي عليها الإمام الحسين عليه السلام وأبو الفضل وعلي الأكبر والأصحاب وأهل البيت عليهم السلام، **((لَا يُجْزِعَنَّكَ مَا تَرَى فَوَ اللهِ إِنَّ ذَلِكَ لَعَهْدٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله إِلَى جَدِّكَ وَأَبِيكَ وَعَمِّكَ وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ الميثاق [مِيثَاقَ] أُنَاسٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا تَعْرِفُهُمْ فَرَاعِنَةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهُمْ مَعْرُوفُونَ فِي أَهْلِ السَّمَاوَاتِ أَنَّهُمْ يَجْمَعُونَ**

---

١ - كامل الزيارات: ٢٦٠.

٢ - م. ن: ٢٦٠-٢٦١.

٣ - بركة بنت ثعلبة بْن عَمْرو بْن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان. وهي أم أيمن غلبت عليها كنيتها، كنيت بابنها أيمن بْن عبيد، وهي بعد أم أسامة بْن زيد. تزوجها زيد بْن حارثة بعد عبيد الحبشي، فولدت له أسامة، يقال لَهَا مولاة رَسُول الله صلى الله عليه وآله، وخادم رَسُول الله صلى الله عليه وآله. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي(ت: ٤٦٣هـ) المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م: ٤/ ١٧٩٣.

هَـذِهِ الْأَعْضَـاءَ الْمُتَفَرِّقَـةَ فَيُوَارُونَهَـا وَهَـذِهِ الْجُسُـومَ الْمُضَرَّجَـةَ وَيَنْصِبُـونَ لِهَـذَا الطَّـفِّ عَلَـماً لِقَـبْرِ أَبِيـكَ سَـيِّدِ الشُّـهَدَاءِ لَا يَـدْرُسُ أَثَـرُهُ وَلَا يَعْفُـو رَسْـمُهُ عَـلَى كُـرُورِ اللَّيَـالِي وَالْأَيَّـام))[1]، ولا تنتهـي المسـألة عنـد ذلـك، فلاحظـوا قضيـة سـيّد الشّـهداء عليه السلام فيهـا بعـض الحسـابات يعجـز الإنسـان عـن فهمهـا، ثـمَّ قالـت السّـيّدة زينـب عليها السلام: **((وَلَيَجْتَهِـدَنَّ أَئِمَّـةُ الْكُفْـرِ وَأَشْـيَاعُ الضَّلَالَـةِ فِي مَحْـوِهِ وَتَطْمِيسِـهِ فَـلَا يَـزْدَادُ أَثَـرُهُ إِلَّا ظُهُـوراً وَأَمْـرُهُ إِلَّا عُلُـوّا))**[2]، وهـذه الكلمـة (وليجتهـدن) فيهـا تأكيـد أنَّ أئمّـة الكفـر وأشـياع الضَّلالـة يبذلـون الجهـد في محاولتهـم لهـدم قـبر الإمـام الحسـين عليه السلام، والـلام في (ليجتهـدنَّ) لام التّأكيـد، ويجتهـد فعـل مضـارع يـدلّ عـلى التّجديـد، والنّـون نـون التّأكيـد، و(اجتهـد) أي بـذل قصـارى وسـعه، فليسـت المسـألة مسـألة تمـرّ في خاطـر طاغيـة وتمـضي، وإنَّـما هنـاك مخطّـط وجهـد، وكل إمـام مـن أئمّـة الكفـر والضّلالـة يجتهـد ويبـذل الوسـع في محـو قـبر أبي عبـدالله الحسـين عليه السلام، والسّـر في ذلـك أنَّ قضيـة الإمـام الحسـين عليه السلام مقيـاس الهـدى ومقيـاس التّقـوى ومقيـاس التّحـدّي، ورمزيّـة الإمـام الحسـين عليه السلام رمزيـة واسـعة وكبـيرة بـكلّ مـا تحمـل قضيـة الإمـام الحسـين عليه السلام مـن تفاعـل سـواء كان التّفاعـل مـع الدَّمعـة أو مـع العواطـف أو مـع طبيعـة زيـارة الإمـام الحسـين عليه السلام، وكلّ هـذه الأمـور لابُـدَّ أن نحـرص عليهـا، فـإنّ الطّغـاة لا يتركـون اسـتهداف الإمـام الحسـين عليه السلام تـارةً يحرثـون القـبر[3]،

---

١ - كامل الزيارات: ٢٦٠، ٢٦١.

٢ - م. ن: ٢٦١.

٣ - روي عن يَحْيَى بْنُ الْمُغِيرَةِ الرَّازِيُّ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَسَأَلَهُ جَرِيرٌ عَنْ خَبَرِ النَّاسِ، فَقَالَ: (تَرَكْتُ الرَّشِيدَ وَقَدْ كَرَبَ قَبْرَ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَأَمَرَ أَنْ تُقْطَعَ السِّدْرَةُ الَّتِي فِيهِ فَقُطِعَتْ. قَالَ: فَرَفَعَ جَرِيرٌ يَدَيْهِ، فَقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، جَاءَنَا فِيهِ حَدِيثٌ عَنْ رَسُولِ الله(صلى الله عليه وآله) أَنَّهُ قَالَ: لَعَنَ اللهُ قَاطِعَ السِّدْرَةِ، ثَلَاثاً، فَلَمْ نَقِفْ عَلَى مَعْنَاهُ حَتَّى الْآنَ، لِأَنَّ الْقَصْدَ بِقَطْعِهِ تَغْيِيرُ مَصْرَعِ الْحُسَيْنِ عليه السلام حَتَّى لَا يَقِفَ النَّاسُ عَلَى قَبْرِهِ). ينظر: الأمالي، للطوسي: ٣٢٥.

وتارة يقفون ويقطعون الطَّريق على زوّار الإمام الحسين عليه السلام[١]، وتارة يأتون بفتاوى تُريد تدمير قبر الإمام الحسين عليه السلام وتارةً يرسلون المفخّخات لقتل زوار الإمام الحسين عليه السلام، والتفتوا إلى الرّواية (لَيجتهدنَّ) أي هذا الأمر لا ينتهي؛ وتقول السّيدة زينب عليها السلام، وهي التي يقول عنها الإمام السّجّاد عليه السلام إنَّها: **((عَالِمَةٌ غَيْرُ مُعَلَّمَة))**[٢] تقول: **((فَلاَ يَزْدَادُ أَثَرُهُ إِلاَّ ظُهُوراً وَأَمْرُهُ إِلاَّ عُلُوّا))**، بمعنى: كلّما ازداد هؤلاء واجتهدوا كانت النّتيجة عكس ما أرادوا، فهؤلاء يجتهدون لمحوه ولكن (لا يزداد إلّا علوًّا) وفي كلّ عام يعلو أكثر.

إنَّ ظهور الإمام الحسين عليه السلام ظهور لا يُحجَب، وسيلٌ جارف لا يقف عند محاولات بائسة من أقزام لا تفهم شيئًا؛ هذا وعد مولاتنا زينب عليها السلام إذ تقول: عهدٌ من رسول الله صلى الله عليه وآله، ولقد تصوَّر هؤلاء أنَّ السّيّدة زينب عليها السلام بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام سلّمت بانتهاء الأمر ولكن الأمر على العكس فإنَّ الإمام الحسين عليه السلام علّمنا ويُعلّمنا كيف نحيا، وعلّمنا ويُعلّمنا أنَّ الطّاغوت يجب أن يبتعد عن إيذاء زوّار الإمام الحسين عليه السلام فلن يفلح في محاربته عليه السلام، ويجب أن يكفّ الكافر المعاند الضّال عن الوقوف بوجه زوّار الإمام الحسين عليه السلام فإن لم يكف كانت المسألة في صالح المؤمنين وصالح الإمام الحسين عليه السلام، واليوم نُشاهد شيئاً لم تعهده هذه المناسبة على مرّ التّأريخ؛ فهذه القوّة الخارقة الخاصّة الجاذبة من الإمام الحسين عليه السلام تخرج عن الحسابات وأنا شخصيًّا أقف الآن وأُسجّل عجزي تمامًا عن معرفة كثير من الأسرار؛ فهذا وعدٌ، وهذا الوعد مشاهد الآن بالحسّ كأنَّ مولاتنا زينب عليها السلام تتحدّث الآن.

---

١ - أَخبرنا ابن خشيش، عن محمد بن عبد الله، قَال: حدثني علي بن عبد المُنْعِم بن هَارُونَ الخدِيجي الْكَبِير مِن شاطِئِ النيل، قَالَ: حدثني جدي القاسِم بن أحمد بن معمر الْأَسدِيُّ الكوفِي، وكَان لَه عِلم بِالسِّيرَةِ وَأَيام الناس، قَالَ: (بَلَغَ المُتَوَكِّلَ جَعْفَرَ بْنَ المُعْتَصِمِ أَنَّ أَهْلَ السَّوَادِ يَجْتَمِعُونَ بِأَرْضِ نَيْنَوَى لِزِيَارَةِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، فَيَصِيرُ إِلَى قَبْرِهِ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ، فَأَنْفَذَ قَائِداً مِنْ قُوَّادِهِ، وَضَمَّ إِلَيْهِ كِتْفاً مِنَ الْجُنْدِ كَثِيراً لِيَشْعَبَ قَبْرَ الْحُسَيْنِ عليه السلام، وَيَمْنَعَ النَّاسَ مِنْ زِيَارَتِهِ وَالِاجْتِمَاعِ إِلَى قَبْرِهِ). ينظر: الأمالي، للطوسي: ٣٢٨.

٢ ـ الاحتجاج على أهل اللجاج، للطبرسي: ٢/ ٣٠٥.

إنَّ قضية الإمام الحسين عليه السلام خارجة عن المألوف، ودليل ذلك بعض الإحصائيات التي تتلعثم الكلمات أمامها ويقف الحساب عندما نرى هذه الطَّريقة في قضية التّعاطي مع سيّد الشّهداء عليه السلام؛ فالطّفل والشّيخ الكبير والمرأة والشّاب كلّهم يتفاعلون مع الإمام الحسين عليه السلام تفاعلاً خاصًّا، ولو تمسّكنا بالإمام الحسين عليه السلام لحُلّت جميع مشاكلنا؛ فتمسّكوا بسيّد الشّهداء الحسين عليه السلام فهو سبيل النّجاة، وبعض العوائل جلبوا أولادهم الصّغار في هذه العربات لأداء الزّيارة فهنيئًا لهم، وهذا يدلّ على وعيٍ كبيرٍ من هذه الأُسر الكريمة، ويدلّ على محبّة للإمام الحسين عليه السلام، ويدلّ على تخطيطٍ لتربية هذا الجيل أن يكون جيلاً حسينيًّا، فهنيئًا لكلّ من سعى وكلّ من جاء وكلّ من حاول الوصول إلى الإمام الحسين عليه السلام بشتّى ما أوتي، وجزاؤه عند الله تعالى، ولا يمكن أن نُحدّد المثوبة؛ فقد قرأنا، وذكرنا أنَّ الإنسان إذا رفع خطوة أو أنزل أخرى له ما شاء الله تعالى من الحسنات، ومحا الله عنه السّيئات؛ فضلاً عن هذه الفائدة الرّوحية التي يلمسها زائر الإمام الحسين عليه السلام.

الإمام الحسين عليه السلام معلّم الأجيال؛ فقد علّم الطّفل الصَّغير، وعلّم الأب، وعلّم الزّوجة، وعلّم الأخت، وعلّم الرّجل الكبير، وعلّم الرجل المعاق ألّا يستسلم، وأن يتحدّى، وفوق ذلك علّم المظلوم أن ينهض من ظلامته ويتحدّى؛ لأنَّه يمكن أن يصنع إرادته بنفسه، وهذا نصر يبقى ما بقي فينا عرق إلى أن يأتي صاحب الثّأر الحقيقي ويستلم هذه المسألة، لكن تبقى هذه المسألة خارجة عن النَّمط الطّبيعي لاستيعاب المدينة للزائرين بهذه الأعداد الكبيرة، ودعاؤنا لجميع الإخوة أن يتقبّل الله تعالى منهم أعمالهم، وأن يُسدّد هذه الأقدام التي مشت، ويكرم هذه الأكف التي أطعمت الزّائرين قربة الى الله تعالى وصلة للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله؛ فإنَّ الحسين عليه السلام من العترة التي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله أن نتمسّك بها ((**كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي**))[1].

١ - تفسير القمي، علي بن إبراهيم(ت: القرن الثالث الهجري)، دار الكتاب- قم١٤٠٤هـ، الثالثة:١، ١٧٢.

زيارة الأربعين من مواسم التَّكامل

نحن الآن في شهر صفر؛ وشهر صفر هو شهر حزن آل محمد ﷺ، وفي هذا الشّهر مرّت عائلة الإمام الحسين ﷺ بمجموعة مواقف ومواطن زمانية ومكانية أحدثت في أدبنا الشّيعي حالة تُسمّى حالة الأربعين، وهذه الأربعين الموسومة عندنا في عودة العائلة الكريمة إلى المدينة أو إلى كربلاء بعد أنْ انتهت معركة الطّف بالطّريقة التي انتهت إليها من حزن وآلام، وبدأ الطّرف المقابل بالتّنكيل بهذه العائلة.

تعلمون أنَّ مسألة الأَسرِ بنفسها هي حالة ممزوجة بشيء من الذُّلّة، وخلاف الوضع الطّبيعي، وأمَّا إذا كان الأسر مقدّمة لإحياء المذهب أو لإحياء الدّين أو قيمة عُليا؛ فإنَّ الأسر هنا يتحوّل من ذلّ إلى رفعة ومن ضعف إلى قوّة، وهذا ما حدث للسبايا أثناء سبيهم في الكوفة، وثمّ بعد ذلك أُخذوا إلى الشام، وخلال هذا المسير تحمّلت فيه العائلة والإمام السّجّاد ﷺ ما تحمّلوا من ألوان من الإهانة وألوان الذُّل الظّاهري، وحالة من حالات التّشفّي من قبل الطّرف الآخر المنتصر، ثم بعد ذلك عادت هذه العائلة منكسرة إلى كربلاء تجدّد عهدًا لسيّد الشّهداء وأهل البيت ﷺ ثم رجعوا إلى المدينة.

زيارة الأربعين أصبحت تُمثّلُ حالة في الأدب الشّيعي، وتُمثّل حالة من حالات الالتصاق والمودّة مع أهل البيت ﷺ، وهذه الحالة لها فضلٌ كبير علينا جميعًا بسبب ما أفرزت من نتاجات كثيرة وكبيرة، بحيث حصل إصرار من محبّي أهل البيت ﷺ على التّمسّك بهذه الزّيارة من العَالِم ومن المُتعلم ومن الكاسب ومن الشّيخ والمرأة والطّفل في أن يحاولوا ويدفعوا بأقدامهم للوصول إلى الإمام الحسين ﷺ، وهذه الزّيارة تعرّضت في الوقت نفسه إلى حالة من حالات المواجهة العنيفة من قبل السّلطة التي تُحاول منع النّاس من الوصول إلى الإمام الحسين ﷺ.

وأرجو الالتفات أنَّ حالة الإصرار تدلُّ على وجود شيء دافع؛ لأنَّ حالة المنع تدلّ على وجود شيء من الإصرار، وعندما يصرُّ الإنسان على أمر؛ فذلك لأنَّه يرى أنَّ هذا الأمر في منتهى الأهمّيّة، فهو ناشئ من فهم الإصرار وناشئ من إدراك الإصرار، وناشئ من وعي الإصرار، وناشئ من عاطفة هذا الإصرار على مرِّ التاريخ والحقب الطّويلة، وهو ما يجعل الإنسان ينحني تواضعًا ويُطأطئ رأسه للممارسات والمسيرة التي يمارسها محبّو أهل البيت عليهم السلام بهذه الطّريقة؛ مواساةً للإمام الحسين عليه السلام من دون أنْ يُصاب المؤمن بمللٍ أو كلل، فقد وجد فيها حالة من حالات المودّة؛ تبدأ بالإنسان وتدفعه للآخرين بمجرد أنْ يأتي شهر صفر، وتدفعه إلى أنْ يُفكّر في الوسيلة الآمنة التي يستطيع فيها أنْ يصل إلى الإمام الحسين عليه السلام، وبوصوله إلى الإمام الحسين عليه السلام كأنّ المهمة قد انتهت.

هذه الديمومة التي مارسها محبّو أهل البيت عليهم السلام أنتجت ظاهرة تُسمّى ظاهرة زيارة الأربعين؛ وهذه الظَّاهرة غير محصورة في بقعة كربلاء؛ وإنَّما العالم الآن يتهيّأ وكثير من المؤمنين في دول العالم بدأوا يتهيّؤون للمجيء إلى كربلاء على أنَّ الأربعين موسم من المواسم المهمّة لزيارة الإمام الحسين عليه السلام والمكوث عنده في هذا اليوم مواساةً للعائلة الكريمة.

هذا الإصرار شاهدناه في أقسى الظّروف، فهناك إصرار للوصول إلى الإمام الحسين عليه السلام مشيًا وسيرًا على الأقدام، ولكن أمام هذا الإصرار في المقابل مواجهة من قِبل الآخرين عنيفة جدًّا في سبيل منع النّاس من الوصول إلى الإمام الحسين عليه السلام، فكيف تقرأ هذه الحالة؟

قراءةُ الحدثِ

لا تقرأ هذه الحالة إلَّا أنَّ الإمام الحسين عليه السلام شخصيّة قويّة مرتبطة بالله تعالى، وشخصيّة خارج حدود الزّمان والمكان، والذي يقرأ زيارة عاشوراء وبقيّة الزّيارات عندها يتأمّل في الكلمات المنتقاة فيها؛ سواء كانت عن الإمام الباقر أو الإمام الصادق عليهما السلام فيعرف المعنى الدّقيق للإمام الحسين عليه السلام؛ فهي تُمثّل حالة من الذّوبان في الله -تبارك وتعالى- وتماثل الحالة التي كانت عند الإمام الحسين عليه السلام ليس في واقعة الطَّف فحسب بل عند مُحبّيه أيضًا، فالذي يقرأ دعاء عرفة قبل واقعة الطَّفّ يعلم ما هي حالة العشق عند الإمام الحسين عليه السلام لله تعالى، بحيث يُرخّص الإمام نفسه لله تعالى بلا توقّف ولا تأمّل في ذلك، ومن هنا فإنَّ زيارة الأربعين تُبيّن أنَّ هناك صراعًا أزليًّا بين الحقّ وبين الباطل، وبين الخير وبين الشر.

وزيارة الأربعين تُمثّل الوقوف في جانب الحقّ، والطّرف المقابل يُمثِّل الوقوف في صفّ الباطل، وإلّا ما هو تأثير زيارة الأربعين على الطّغاة، فالنّاس تأتي تؤدّي الزّيارة وترجع إلى بيوتها، فأين الضّير في ذلك؟ لكن المسألة ليست مسألة ضير، بل القضية قضية منهج وسلوك، والمجيء للإمام الحسين عليه السلام ليس مسألة ساذجة بحيث يفعلها السُّذَّج من الناس كما يتصوّر بعض المتحذلقين، بل المسألة في منتهى الأدب والكمال واللياقة مع الإمام الحسين عليه السلام، وقد مارسها كافّة الشّرائح؛ فهي بلا شكّ عملية منهج وأدب؛ وحالة حضارية من جهة، وحالة دينية من جهة أخرى، وحالة في منتهى اللياقة مع الإمام الحسين عليه السلام، فأطلب من الإخوة ومن كُلّ من يسمع الكلام أن يتّصفوا بمجموعة من الأشياء ما دام هم قاصدون للإمام الحسين عليه السلام.

مراعاةُ الإخلاصِ

قاصد الإمام الحسين عليه السلام هو كالذي يتوجّه إلى الكعبة المشرّفة في ذلك الطَّريق الطّويل إلى بيت الله الحرام مشيًا على الأقدام، وقبل التّوجّه يُطلب من الحاج مجموعة من الأشياء حتى لا تؤثّر على هذه الشّعيرة المقدّسة؛ كذلك عندما يأتي الإنسان إلى الإمام الحسين عليه السلام يجب عليه أنْ يلاحظ مجموعة أشياء، ولعلّ من أهمّ هذه الأشياء في هذا الوقت أنَّ سير الإنسان كلّما طال يُعطيه المزيد من التّأمّل والخلوة والتّفكّر، وعندما يأخذ كتاب الزّيارة وهو في طريقه ويقرأ بهدوءٍ ويتأمّل ستنطبع كثير من المعارف الحقّة على قلبه وهو متوجّه للإمام الحسين عليه السلام.

إنَّ حالة الوفود إلى الإمام الحسين عليه السلام تحتاج إلى تعاملٍ خاصٍّ؛ لأنَّ الإمام الحسين عليه السلام انتقى أصحابه انتقاءً؛ ولذلك نجح نجاحًا منقطع النّظير، والنّتيجة هذا درس لنا، فعندما أتشرّف بزيارة الإمام الحسين عليه السلام على الأقل أترك مجموعة من العلائق التي تشدّني إلى الأرض ولا ترفعني إلى السّماء، أتركها خلف ظهري؛ لأنّها محطّة روحيّة.

وفي هذا المسير الطّويل والتّأمّل والتّفكّر لعلّنا نصل إلى فهم الإمام الحسين عليه السلام وندخل مع مَن زار الحسين عارفاً بحقّه عليه السلام، فمعرفة الحقّ تحتاج من الإنسان التّأمّل وإعطاء العقل المجال لأنْ يأخذ كفايته من الدّقّة والتّفكّر، هذا أولاً.

أمَّا النّقطة الثّانية التي أُريد أن أنبّه عليها المحافظة على الصّلاة، فالسّائرون أصحاب الأقدام المباركة التي تأتي زحفًا للإمام الحسين عليه السلام يجب أنْ تقترن بالمحافظة على الصّلاة، وأهمّيّة واقعة الطّفّ أنّها حافظت على الصّلاة وباقي فرائض الدِّين، وذلك الرّجل من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام عندما التفتَ إلى أبي عبدالله الحسين عليه السلام في تلك الحالة من الاقتتال وقال للإمام الحسين عليه السلام حان

وقت الصّلاة، وهو يعلم أنَّ الإمام الحسين عليه السلام يذوب في الله تعالى، لكنّه يُريد أنْ يدخل الارتياح إلى قلب الحسين عليه السلام؛ لأنَّ الصّلاة منبع الطّمأنينة؛ وورد في الرّوايات أنَّ النبي صلى الله عليه وآله كان يقول: أَرِحنا يا بلال إذا اقترب وقت الصّلاة، كأنْ لا توجد راحة إلّا في الصَّلاة، فهذا الرّجل يعلم محبّة الإمام الحسين عليه السلام للصلاة، بحيث أشار إلى الإمام بذلك، والإمام أمّنَ ودعا له وقال: ((**جعلك الله من المصلّين الذّاكرين**))[1]؛ لذلك ونحن في هذا الطَّريق المبارك؛ الطَّريق إلى كربلاء من جميع المنافذ يجب أنْ تُكلّل هذه الشَّعيرة بتربية صادقة ومقبولية العمل إنْ شاء الله تعالى عند الإمام سيّد الشّهداء عليه السلام.

أمَّا النقطة الثالثة: إخواني الأعزاء لعلّ ما أراه مهمًّا جدًّا لكلِّ الإخوة هو أنْ نجعل هذه المناسبة وكلّ مناسبة متعلّقة بالإمام الحسين عليه السلام خالصة لصاحبها، وأنا مع اعتذاري لكلِّ الإخوة أتكلّم بمقتضى وظيفتي، وأقول: ليس من الصّحيح أنْ أرفع لنفسي شعارًا أمام شعار الإمام الحسين عليه السلام؛ فمن أنا عندما آتي للحسين عليه السلام وإنَّما يفترض أنْ أترك ذاتي، وأجعل هذه المناسبة خالصة للإمام الحسين عليه السلام حتى أشعر بلذّة هذه الشّعيرة.

من المؤمّل أنَّ العبادات تؤثّر في سلوك الناس تأثيراً سريعاً، وتجعل الإنسان شيئاً آخر غير الذي لا يؤمن بالغيب، وفي الوقت عينه نؤمن أيضًا بأنَّ الإنسان كلّما تعلّق قلبه بالله يشعر بلذّة، ويشعر بسكينة، ويشعر باطمئنان، وهذه الشَّعيرة عندما أبدأها وأجعلها خالصة لله تعالى بأنّها في طاعة الله سبحانه، وعندما آتي أجعل الإمام الحسين عليه السلام هو عنواني، وأَقْدِم للإمام عليه السلام بكلِّ جوارحي، وأخرج نفسي من الاستغلال لجهات أخرى حتّى بمقدار واحدٍ بالمئة.

نحن نعلم أنَّ الرِّياء ليس من الإخلاص في شيء، والله تعالى فقط يعلم هذه

١ - وقعة الطف: ٢٢٩.

المسألة، وليس من حقّي أنْ أحكم أنَّ فلانًا مراءٍ إطلاقًا؛ بل الله -تبارك وتعالى- هو الذي يعلم السّرائر، لكن الإنسان بداخله يعلم أنَّه مراءٍ أو غير مراءٍ، فيجب على كلِّ واحدٍ منّا أنْ لا يرضى أنْ يُستغل في قضيّة الإمام الحسين ﷺ، أو في وضعه الشّخصي، وإنَّما أجعل هذا الهمّ عندما أصل للإمام الحسين ﷺ.

هناك قصّة لأحدِ الإخوة بحسب فهمه، وهو يعلم أنَّ الإمام الحسين له مقام كبير عند الله تعالى ويأتي مشيًا إلى أن وصل إلى الشّبّاك الشّريف، وبعد أن استراح هذا الشَّخص أخذ يُحاكي الإمام الحسين ﷺبالكلام الطّبيعي على فطرته ويُعبر عنه بهذا الكلام ويخاطب الإمام الحسين ﷺ «يا أبا عبد الله أنا لم أضيعك ووصلت عندك ووجدتك فأنت يوم القيامة لا تضيعني».

هذا الكلام عندما ينبع من قلبٍ سليم يكون له تأثيره، فيجب أنْ أعرف من بداية انطلاقي إلى أنْ أتشرّف بلثم أعتاب سيّد الشّهداء الابتعاد عن منافيات الزِّيارة.

أنتم تعلمون عندما يتواضع ذلك الشّاب المفتول العضلات ويأتي إلى الزَّائر لخدمته؛ لأنَّك في مشيكَ منسوب للإمام الحسين ﷺ، فلا تخيّب ظنّه، وحينما يأتي ويضع رجل هذا الزّائر ويحاول أنْ يُخفّف الآلام ويُحاول أنْ يُطعم فلا تخيب ظنّه حتى يشعر أنَّ الحسين بداخلك، وإيّاك أن تخدعه وتضيع تعبك وإنَّما صدّق نيته واجعل عملك للحسين ﷺ حتى تدخل السّرور عليه.

هذه المواسم مواسم رحمة لنا، ومواسم نتكامل فيها حتّى نرتقي ونستفيد منها، وليست مواسم للمزاح والضّحك والتّصرفات غير اللائقة، وكما يحزُّ في نفوسكم أنَّ البعض في مكة وفي ذلك الموسم المعظّم والمشهد الذي حجّ له الأنبياء عمله غير سليم؛ أليس موسم الحج موسم رحمة؟ بل الرّحمة تصبّ فيه صبًّا، وإذا تأملت ستجد في أماكن محدّدة للكعبة الشّريفة هناك أدعية تسقط الذّنوب كيوم ولدته أُمّه، ولا شكَّ أنَّ هذه الأعمال كُلّها أعمال

تحتاج إلى نية صادقة، ونحن نؤمن أنَّ الإمام الحسين عليه السلام كرّمه الله تعالى بإزاء ما أعطى بأن جعل الأئمّة من ذرّيّته، والشّفاء في تربته صدّقت أم لم تُصدّق، وأن يفزع الإنسان إلى ذلك المكان، ويحثّ الخطى وينحني ظهره ويتعب حتّى يصل لتحت هذه القبّة الشّريفة، ويدعو الله تبارك وتعالى بما يتيسّر له، والإمام الحسين يستقبله، وكلّما تعب الإنسان كلّما ازداد أجره.

عندما تأتي زيارة يوم الأربعين يجب أنْ نتهيّأ لإجابة الدّعاء، وأنْ ندخل في ضيافة سيِّد الشّهداء عليه السلام، وإذا فعلنا هذا أعتقد سنشعر بلذّة، وهذه اللذة لا يعرفها إلّا من يتعايش معها كأنّها لذّة الظمآن حين يشعر بلذّة الماء البارد؛ فهو شبيه جدّه المصطفى أنَّه رحمة للعالمين، فلنتفيأ بهذا الظّل المبارك وهذه الرحمة الإلهية وهذا المكان الذي لا يوجد غيره، فعلينا أنْ نحثّ لزيارته، ونطلب من الآخرين الدّعاء عند تلك المراقد الطّاهرة كما طلب الإمام الصّادق عليه السلام من فلان أنْ يذهب ويدعو له عند الإمام الحسين عليه السلام؛ ومعنى ذلك أنَّ هذا موطن خاصّ وسبب لاستجابة الدّعاء عند الله تعالى لدعائنا، وعلى العبد أنْ يأخذ بهذه الأسباب.

أقول لكلِّ الإخوة الزّائرين إنْ شاء الله تعالى يتقبّل منهم ويأتون إلى الإمام الحسين عليه السلام ويرون لذّة العمل الخالص، العمل الذي فيه نيّة إلى الله -تبارك وتعالى- مع تأكيدنا على هذه الشّعيرة وهي زيارة الأربعين، والحثِّ عليها، ودعوتنا لكلِّ الإخوة أنْ لا يُقصّروا في خدمة الزّائرين على الطّرقات أو في داخل المدن، ومعرفة أنَّ هذه رحمة ساقها الله تعالى إلى أبواب بيوتنا، وأن يخدم الإنسان زائرَ الإمام الحسين عليه السلام قربة إلى الله تعالى.

وكذلك المرجوّ من الإخوة المسؤولين وبالخصوص الأجهزة الأمنيّة أنْ لا يُقصّروا بحماية الزّائرين على الطّرقات -وإنْ شاء الله تعالى- يكونون بمستوى المسؤولية كما عوّدونا.

المبحث الخامس

مِن دلالاتِ زِيارَةِ الأَرْبَعين

إذا زرع الإنسان فكرة معيّنة وغذّاها بدمه الطّاهر فلا بُدَّ أن يجني ثمارها؛ ولقد جنى الإمام الحسين عليه السلام ثمار ما فعل؛ فلقد زرع الإمام الحسين عليه السلام في هذه الأرض الطّيّبة وغذّاها بدمه الزّاكي بنفسه الشّريفة وبإخوته وأولاده وصحبه إلى أن أينعت هذه الثَّمرات، ووصلت إلى ما وصلت إليه منهجيّة الإمام الحسين عليه السلام.

ولذلك لا أجد في هذه اللحظة التي تغصّ بها كربلاء بزوّار أبي عبد الله الحسين عليه السلام إلّا أن أدعو صادقًا أن يكحّل الله تعالى أعيننا بغبارهم، وأن يوفّقنا لأن نكون خَدَمة لخدمة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وأحيّيكم أيّها الإخوة الأعزاء على هذا الحضور الكبير، وعلى هذه المشاركة الفعّالة التي بقيت، وتبقى -إن شاء الله تعالى- إلى أن يرث الله سبحانه وتعالى الأرض ومن عليها، وأن يبقينا سويّة إلى أن نطلب ثأر الإمام الحسين عليه السلام مع إمامٍ منصورٍ من آل محمد صلى الله عليه وآله.

إنّ هذا الحضور المليوني يجعلنا نطأطِئ الرّأس، ونلجم في الكلام؛ فإنّ المشاهدات في العيان أقوى من البرهان، وهذا الحضور الكبير لا بُدَّ له من علّة، وفلسفة، وعلى نحو الإيجاز أذكر شيئًا يسيرًا ممّا يتعلّق بهذه المناسبة:

ما هو السّرّ الكبير الذي جعل هذه الملايين تزحف إلى أبي عبد الله الحسين عليه السلام؟

اليوم لو حشّدنا كلّ وسائل الإعلام، وحشّدنا كلّ ما يمكن أن يقع تحت أيدينا من أجل أن نخرج مسيرة بعُشْرِ هذا العدد لما استطعنا، ما الذي أخرج الشّباب والشّيوخ والعجزة والمعوقين والأطفال؟

ما الذي أخرجهم من البصرة إلى كربلاء، ومن الناصرية إلى كربلاء، ومن العمارة إلى كربلاء ومن جميع المحافظات إلى كربلاء؟

وما الذي جعل القلوب تتوجّه إلى كربلاء؟

في بعض بلدان العالم، وكلّ بلدان العالم لا بُدَّ أن تكون لهذا البلد عاصمة، وتارة تكون العاصمة عاصمة سياسية، وتارة أخرى تكون تلك العاصمة تتّسم بالصّبغة

السياحية كما يصطلح عليها، وأمَّا كربلاء فإنَّها عاصمة الدّنيا في أوقاتٍ محدَّدة؛ فهي عاصمة الدّنيا في الخامس عشر من شعبان، وعاصمة الدّنيا في العاشر من محرّم، وعاصمة الدنيا في العشرين من صفر حيث أربعينيّة الإمام الحسين عليه السلام.

إخلاصُ الإمامِ الحسين عليه السلام

إنّ هذا الحضور الكريم للإمام الحسين عليه السلام يكشف لنا عن سرٍّ كبيرٍ؛ وهو أنَّ الإمام الحسين عليه السلام شخصيّة قويّة جدًّا استطاعت أن ترغمنا على المجيء، ونحن نشعر بالاعتذار وبالتّقصير على الرّغم من كلّ ما نقدّم؛ ومن يريد أن يعرف ويقف عند هذا السّرّ الذي اقترن بالإمام الحسين عليه السلام، وعلاقته بالله تعالى؛ فما عليه إلَّا أن يقرأ دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام، وسيصل في النّهاية إلى حقيقة مفادها أنَّ شخصيّة سيّد الشّهداء عليه السلام شخصية خرجت عن المألوف في الشّخصيّات.

إنَّ الإمام الحسين عليه السلام هو ملك الدّنيا، ومن أراد أن يحيا حياة طيّبة فعليه بالإمام الحسين عليه السلام، ومن أراد أن يعرف حقيقة الدّنيا فعليه بالإمام الحسين عليه السلام، ومن أراد أن يدخل إلى الله تعالى من باب لا شكّ فيه فعليه أن يلج من باب الإمام الحسين عليه السلام، ومن أراد الآخرة فعليه بالإمام الحسين عليه السلام.

نحن في هذا الوقت المبارك؛ وإنّما أقول المبارك لعلّةِ أنَّ الإمام الحسين عليه السلام استطاع أن يجمعنا، والإمام الحسين عليه السلام استطاع أن يُعرّفنا، والإمام الحسين عليه السلام استطاع أن يوقظنا.

إنّ هذه المسيرات المليونية لا نجد لها مثيلًا الآن في هذا العصر الحديث، وإنّ حيويّة طائفة أهل البيت عليهم السلام، وهذه الرّوح الفعّالة من أهم أسباب هذا الحضور الجماهيري على مدار السنة مع أئمّتهم عليهم السلام وهذا الفتح هو الذي فتحه الإمام الحسين عليه السلام لنا.

من آثارِ قوّةِ الإرادة

في كلِّ عامٍ لنا أكثر من اثنتي عشرة مناسبة نعرف عن طريقها الأئمّة عليهم السلام واحدًا تلو الآخر، وتعاملنا معهم واحدًا تلو الآخر، وهذا من نتاج جهودٍ مضنية لأتباع أهل البيت عليهم السلام وفي قمّتهم ومقدّمتهم على نحو التّحقيق سيدتنا زينب عليها السلام حين جعلها الإمام الحسين عليه السلام في رَكبه، وجعلها تُكمل المسيرة، وجاءت في أربعينية الإمام الحسين مشاركة جماهيرية كبيرة إبقاءً لهذه الطّائفة، وقد حاول من حاول سابقًا في إعاقة كلّ زائر للإمام الحسين عليه السلام، وذكرنا سابقًا أنَّ هذا المشي على الأقدام -التي أود أن أُقبّلها- لزيارة الإمام الحسين عليه السلام كان يُعَنْوَنُ في زمن النّظام السّابق بأنّه ممارسة دينية خاطئة، وكانت تصدر الأحكام بالسّجن لمدّة ستّة أشهر أو سنة؛ ما هي الجريمة؟ وإذا بالجريمة؛ لقد زار الإمام الحسين عليه السلام مشيًا على الأقدام، ولكن ماذا جنى الآخرون، وما هو مصيرهم؟ وماذا جنى أصحاب وأحباب الإمام الحسين عليه السلام؟ وإذا بالجواب لقد ولّى من حارب الإمام الحسين عليه السلام، وحارب زائريه إلى غير رجعة، وأمّا أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، وأنصاره، فقد ازدادوا قوّة ورفعة تزداد يومًا بعد يوم؛ فالطّفل ذو الثلاث سنوات وأربع سنوات حينما يسمع بعاشوراء الإمام الحسين عليه السلام يلبس السّواد، وأيام الزيارات المليونية تراه يركض شوقًا إلى أن يصل إلى قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

لقد أثبت إصرار شيعة أهل البيت عليهم السلام أنّه مهما حاول الظَّالمون، ومهما فعلوا فإنَّهم مشتبهون، جاهلون، مفضوحون، فقد فضح الإمام الحسين عليه السلام أكذوبتهم؛ ودليلنا قول مولاتنا زينب عليها السلام: ((**إِنَّمَا يَفْتَضِحُ الْفَاسِقُ وَيَكْذِبُ الْفَاجِرِ**))[1]، فعبد الله الرّضيع فضح يزيد، وفضح عمر بن سعد، وإنَّ أحباب الإمام الحسين عليه السلام عندما جاؤوا لأبي عبدالله الحسين عليه السلام وتعرّضوا لرصاصات الغدر التكفيرية، قد فضحوا هؤلاء المجرمين؛ إذ المشي إلى الإمام الحسين عليه السلام وارتباط الناس به عليه السلام له دلالتان:

الدّلالة الأولى: إنّه يدل على عمق الارتباط.

١ - وقعة الطف: ٢٦٢.

والدّلالة الثّانية: يكشف زيف الذي يقف في الصّفّ الآخر.

فمن يقف في الصّفّ الآخر ما الذي يضرّه من الإمام الحسين عليه السلام؟

وما الذي يخيفه من الإمام الحسين عليه السلام؟

و ما الذي جعل بعضهم يفتي بأنّه لا بُدَّ أن نهدم قبور أهل البيت عليهم السلام؟

ممّا لا شكّ فيه أنّهم لم يخافوا البناء؛ بل أخافتهم تلك الرّوح؛ التي قيل في حقّها:

لَبسوا القُلُوبَ على الدروعِ وأقبلوا يَتَهَافتون على ذَهَابِ الأَنْفُسِ[1]

ففي كلّ قلب من قلوبكم بلا شكّ ولا ريب يرتسم نقش غير قابل للزوال؛ إنّها كلمة الإمام الحسين عليه السلام؛ الكلمة التي تُخيفهم، وأيّ إضافة لهذه الكلمة تخيفهم؛ فالمشي للإمام الحسين عليه السلام يخيفهم، وإذا كان الآخرون يواجهوننا بالرّصاص فنحن نلبس ونتدرّع وننقش حسينًا ونمشي ولا يهمّنا أيّ شيء، وأقولها وبصراحة: أيّها المؤمنون أنا لا أستطيع أن أفي بعُشر معشار ما تبذلونه الآن؛ وأنتم تتحمّلون كلّ ما من شأنه أن يُتحمّل لغرض الوصول إلى سيّد الشّهداء عليه السلام، ولا أملك إلّا الدّعاء لكم؛ طيَّب الله تعالى أنفاسكم، ورفع الله سبحانه درجاتكم.

إنّ أمل العراق معقود بهذه الجماهير الكادحة المؤمنة التي تركت كلّ شيء في سبيل أن تصل إلى الإمام الحسين عليه السلام، والأمل أن ينظر الله تبارك وتعالى إلينا بنظرة رحيمة؛ نظرة فيها تمام الفرج في هذه الأيّام، ومن تواجدكم عند قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فقد وردت روايات عديدة أنَّ الدعاء تحت قبّته مستجاب[2]؛ لذا ينبغي أن توظّفوا كلَّ أدعيتكم من أجل بقاء هذه الشّعلة وهّاجة في نفوس الجميع، وأن يكلّل هذه الجهود بالنّصر المؤزّر، وأن يحفظ البلاد من كيد الكاذبين.

---

١ – اللهوف على قتلى الطفوف: ١١٢.

٢ – عن محمد بن مسلم، قال: (سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ وَجَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عليهما السلام يَقُولَانِ: إِنَّ اللهَ(تَعَالَى) عَوَّضَ الْحُسَيْنَ عليه السلام مِنْ قَتْلِهِ أَنْ جَعَلَ الْإِمَامَةَ فِي ذُرِّيَّتِهِ، وَالشِّفَاءَ فِي تُرْبَتِهِ، وَإِجَابَةَ الدُّعَاءِ عِنْدَ قَبْرِهِ، وَلَا تُعَدُّ أَيَّامُ زَائِرِيهِ جَائِياً وَرَاجِعاً مِنْ عُمُرِهِ). ينظر: الأمالي، الطوسي محمد بن الحسن(ت: ٤٦٠هـ)، دار الثقافة، قم١٤١٤هـ، الأولى: ٣١٧.

من عطاء زيارة الأربعين

مما لا شكّ فيه أنّ حياة الإمام الحسين عليه السلام ونهضته لا تختصر بخطبة، ولا تختصر بكتاب، لكن الأئمّة الأطهار عليهم السلام عندما يريدون أن يثيروا بعض القضايا من خلال الزّيارات الشّريفة، وحينما يريدون أن يقفوا بالناس عند بعض النّقاط حتّى يعرفوا الإمام الحسين عليه السلام عن طريق الأطروحة التي قدّمها الأئمّة عليهم السلام وزيارته عليه السلام.

ولا يخفى على حضراتكم أنَّ تُراث أهل البيت عليهم السلام الغني بتعدّد الزّيارات للإمام الحسين عليه السلام إلى درجة أنَّ الأئمّة الأطهار عليهم السلام أي فرصة تأتي للحديث عن كربلاء يُبيّنوا فضلها، وفضل الإمام الحسين عليه السلام ويحثوا الزَّائر على أن لا يترك زيارة الإمام الحسين عليه السلام ما استطاع حتَّى وإن كان من بعد؛ وهناك بعض المقاطع التي لها ربط بمنهج الإمام الحسين عليه السلام أحببت عرضها؛ وهي من الزّيارة المشهورة بزيارة الأربعين عن صفوان الجمال، ومن جملة ما ذكر الإمام الصادق عليه السلام قال: تزور عند ارتفاع النَّهار، وتقول: ((**السَّلَامُ عَلَى وَلِيِّ اللهِ وَحَبِيبِهِ السَّلَامُ عَلَى خَلِيلِ اللهِ وَنَجِيبِهِ السَّلَامُ عَلَى صَفِيِّ اللهِ وَابْنِ صَفِيِّهِ السَّلَامُ عَلَى الْحُسَيْنِ الْمَظْلُومِ الشَّهِيدِ السَّلَامُ عَلَى أَسِيرِ الْكُرُبَاتِ وَقَتِيلِ الْعَبَرَاتِ اللهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّهُ وَلِيُّكَ وَابْنُ وَلِيِّكَ وَصَفِيُّكَ وَابْنُ صَفِيِّكَ الْفَائِزُ بِكَرَامَتِكَ أَكْرَمْتَهُ بِالشَّهَادَةِ وَحَبَوْتَهُ بِالسَّعَادَةِ وَاجْتَبَيْتَهُ بِطِيبِ الْوِلَادَةِ وَجَعَلْتَهُ سَيِّداً مِنَ السَّادَةِ وَقَائِداً مِنَ الْقَادَةِ وَذَائِداً مِنَ الذَّادَةِ وَأَعْطَيْتَهُ مَوَارِيثَ الْأَنْبِيَاءِ وَجَعَلْتَهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِكَ مِنَ الْأَوْصِيَاءِ فَأَعْذَرَ فِي الدُّعَاءِ وَمَنَحَ النُّصْحَ وَبَذَلَ مُهْجَتَهُ فِيكَ لِيَسْتَنْقِذَ عِبَادَكَ مِنَ الْجَهَالَةِ وَحَيْرَةِ الضَّلَالَةِ وَقَدْ تَوَازَرَ عَلَيْهِ مَنْ غَرَّتْهُ الدُّنْيَا وَبَاعَ حَظَّهُ بِالْأَرْذَلِ الْأَدْنَى وَشَرَى آخِرَتَهُ بِالثَّمَنِ الْأَوْكَسِ وَتَغَطْرَسَ وَتَرَدَّى فِي هَوَاهُ وَأَسْخَطَ نَبِيَّكَ وَأَطَاعَ مِنْ عِبَادِكَ أَهْلَ الشِّقَاقِ وَالنِّفَاقِ**))[1]؛ أنا في الحقيقة أحبّ أن

١ - تهذيب الأحكام: ٦، ١١٣.

أتبرّك بذكر هذه المقاطع، وكون الإنسان سيّد قومه لا شكّ أنَّ هناك مسؤولية تقع على عاتقه بأيّ نحوٍ من أنحاء السّيادة؛ والنَّتيجة يشار له أنَّ هذا سيّد، والزّيارة الشّريفة تُبيِّن أنَّ هذه الكرامة من الله تعالى، وأنَّ الله تعالى جعل الإمام الحسين عليه السلام سيّدًا من السّادة بأيّ نحوٍ من الأنحاء؛ سواء أكان السّيّد النّسبي، أو السّيّد الذي هو زعيم قومه، ثم قال: **(وَقَائِداً مِنَ الْقَادَةِ وَذَائِداً مِنَ الذَّادَةِ)**؛ وهذا التّعبير (قائد) نادرًا ما يستعمل مع الإمام الحسين عليه السلام والإمام الصّادق عليه السلام استعمله بهذا البيان وبهذا الأسلوب، وجعل الإمام الحسين عليه السلام قائدًا من القادة؛ والزّيارة ليس فيها حصرٌ على أن لا قائد إلّا الإمام الحسين عليه السلام، ولا سيّد إلّا الإمام الحسين عليه السلام، ولا ذائد إلّا الإمام الحسين عليه السلام وإنّما إشارة إلى مجموع سلسلة من السّادة كان الإمام الحسين عليه السلام من ضمنهم، والقيادة عندما تتمثّل بالإمام الحسين عليه السلام ليس المقصود بها هي القيادة الحربية، وإنَّما قائد من القادة؛ والقائد هو الذي يرجع له الناس في أمورهم، وهو زعيمهم، وعنه يصدر الحكم؛ ثمّ قال عليه السلام جعله ذائدًا من الذّادة؛ وحينما يذود الإنسان فممّا لا شكّ فيه أنَّه يحامي عن بصيرة، ولا يجبن، ويتّصف بالشّجاعة، ويتحلّى بهذه الصّفة كونه ذائدًا عن الشّيء، والإمام الحسين عليه السلام ذاد عن الدّين، وذاد عن الشّرف، وذاد عن البيت النّبوي، وفي كلّ هذه الصّفات النّبيلة،كان الإمام الحسين عليه السلام بلا منازع هو السّيّد في ذلك، والإمام الصّادق عليه السلام هنا إمّا في مجال التّأكيد أو بيان لمن يغفل عن مقام الإمام الحسين عليه السلام، فأخذ ببيان أنَّ هذه مناقب مهمّة جدًّا للإمام الحسين عليه السلام فقال: **(أَعْطَيْتَهُ مَوَارِيثَ الْأَنْبِيَاءِ)** ولاحظوا نحن دائمًا عندما نزور الإمام الحسين عليه السلام بزيارة وارث المشهورة إنَّما تبدأ من نبيّ الله آدم عليه السلام، ثم وارث نوح، ثم وارث إبراهيم، ثم وارث بقيّة الأئمّة عليهم السلام إلى وراثة النّبي صلى الله عليه وآله، وهذا المقام أن يكون الإنسان وريث الأنبياء عليهم السلام فهذا أمر ليس بمقدور واستطاعة الإنسان

كسبه ما لم تكون هناك عناية خاصّة بهذا الشَّخص.

عندما يرث الإنسان من النَّبي عليه السلام معنى النّبوّة؛ فهذه الوراثة ليس لها علاقة بالمعنى النّسبيّ، والمعنى النّسبيّ لا يورث للإنسان من النّبي إلّا الأموال إن كانت لديه أموال، أما معنى الوراثة المختصّ بالنّبوة فهذه وراثة خاصّة، ولذلك عندما نزور الإمام الحسين عليه السلام بهذه الزّيارة نتسلسل أنَّ النّبي صلى الله عليه وآله كان هو مجمع الأنبياء، وقد أورث النّبي صلى الله عليه وآله هذا المعنى إلى أوصيائه؛ إلى أمير المؤمنين عليه السلام وإلى الإمام الحسن عليه السلام، وإلى الإمام الحسين عليه السلام، والإمام الحسين عليه السلام أيضاً أورثها لأوصيائه من بعده عليه السلام، ثم قال عليه السلام (وَجَعَلْتَهُ حُجَّةً عَلى خَلْقِكَ مِنَ الأَوْصِياءِ ، فَاَعْذَرَ فِي الدُّعاءِ وَمَنَحَ النُّصْحَ)؛ وهنا أرجو الالتفات إلى نقطة اعتقد أنَّها في غاية الأهمّيّة:

عندما نقول: فلان حجّة من الله تعالى؛ فإنَّ الله تعالى يحتجّ بها علينا، وليس من السّهل على الإنسان أن يكون حجّة لله تعالى، ويحتجّ بسلوكه وقوله وعمله، وإذا أراد الإنسان أن يعرف التّكاليف الشّرعية من أين يأخذها؛ فهنا لابُدَّ من وجود جهة تنتمي إلى الله تعالى؛ وهذه الجهة هي التي تُحدّث عن الله تعالى من دون خطأ أو اشتباه حتّى لا يقع الأخذ من هذه الحجّة في أخطاء، والإمام الحسين عليه السلام بنصّ الإمام الصَّادق عليه السلام قال: (وَجَعَلْتَهُ حُجَّةً عَلى خَلْقِكَ مِنَ الأَوْصِياءِ)؛ وفي المقابل كان الإمام الحسين عليه السلام حريصاً جدًّا في نهار عاشوراء أن يخطب في القوم أكثر من خطبة لعلّ فيهم من كان مشتبهًا، أو فيهم من كان غافلاً، أو كان فيهم من كان جاهلاً، والإمام عليه السلام بيّن حقيقة نفسه أوّلاً، وحقيقة دعوته ثانيًا، بشكلٍ واضحٍ في كلِّ مناسبة يخطب في القوم، وتارة أخرى يلبس لباس رسول الله صلى الله عليه وآله ويأخذ المصحف الشَّريف بيده، وكذلك كان يركب على بغلة أو دابّة رسول الله صلى الله عليه وآله، وينسب نفسه إلى النّبي صلى الله عليه وآله حتّى يعذر في أنّه تكلّم مع القوم بمقدار ما سيكون حجّة عليهم، وهذا في غاية الشّفقة للإمام الحسين

عليه السلام على هؤلاء مع أنَّهم تصدّوا في لحظة الحرب تصدوا للقتال، ولكن الإمام الحسين عليه السلام مع ذلك لم يَأْلُ جَهْدًا أن يُبيّن، ويوضّح بأنّه عليه السلام لا يريد عقوبة هؤلاء، وإنَّما يريد هدايتهم؛ نعم إذا كان الشّخص لا يهتدي، ولا يعطي النّصيحة؛ فهو من يتحمّل عاقبة أمره، وفعلاً تحمّل هؤلاء أوزارهم، والزّيارة الشَّريفة تُعبّر عنهم: (**وَبَاعَ حَظَّهُ بِالْأَرْذَلِ الْأَدْنَى**) ثمَّ قال عليه السلام: (**وَبَذَلَ مُهْجَتَهُ فِيكَ**) وهذا المقطع أحب أن أربطه مع حديث الإمام الحسين عليه السلام نفسه عندما خطب الإمام الحسين عليه السلام خطبة في مكّة المعظّمة، وبيّن في هذه الخطبة الخطوط العريضة لمسيرته؛ إذ قال عليه السلام فيها: ((**خُطَّ الْمَوْتُ عَلَى وُلْدِ آدَمَ مَخَطَّ الْقِلَادَةِ عَلَى جِيدِ الْفَتَاةِ**))[1] وهذا الرَّبط بهذا النَّص للإمام الحسين عليه السلام يحتاج إلى تأمّل: ((**مَنْ كَانَ فِينَا بَاذِلًا مُهْجَتَهُ وَمُوَطِّناً عَلَى لِقَائِنَا نَفْسَهُ فَلْيَرْحَلْ فَإِنِّي رَاحِلٌ مُصْبِحاً إِنْ شَاءَ اللهُ**))[2] والمهجة[3] من كلّ شيء خالصه يُسمّى مهجة؛ فالرّوح تُسمّى مهجة، والدّم يُسمّى مهجة، وتُعبّر الزّيارة الشَّريفة بهذا التَّعبير قال عليه السلام: (**وَبَذَلَ مُهْجَتَهُ فِيكَ**)، وبعد ذلك لاحظوا الفضل الذي بَيّنه الإمام الحسين عليه السلام، أو الذي صنعه الإمام الحسين عليه السلام في هذا البيان.

إنَّ الإنسان في حياته يمكن له إرشاد الآخرين، وأن يوضّح للآخرين، وأن يتصدَّى لبيان المطالب الإلهيّة الشَّرعيّة عقائديًّا أو فقهيًّا، وقد تنتهي هذه المسألة بموته.

---

١ - كشف الغمة في معرفة الأئمة: ٢/ ٢٩. نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، الحلواني، حسين بن محمد بن حسن بن نصر، مدرسة الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجة الشريف، قم١٤٠٨هـ، الأولى: ٨٦.

٢ - كشف الغمة في معرفة الأئمة: ٢/ ٢٩.

٣ - المُهْجَةُ: دم القلب، ولا بقاء للنَّفْسِ بعد ما تُراقُ مُهْجَتُها، وقيل: المُهْجَةُ الدَّمُ؛ وحكي عن أعرابي أنه قال: دَفَنْتُ مُهْجَتَه أي دمَه؛ ويقال: خَرَجَت مُهْجَتُه أي روحُه. وقيل: المُهْجةُ خالِصُ النفْس. لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم(ت: ٧١١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- دار صادر- بيروت١٤١٤هـ، الثالثة: ٢/ ٣٧٠.

من أهداف سيّد الشّهداء عليه السلام

يُشير الإمام الصّادق عليه السلام إلى أنَّ الإمام الحسين عليه السلام كان عنده هدف آخر فضلاً عن الهداية في حياته، ورسم حياة أخرى بعد استشهاده عليه السلام، وهذا المعنى دقيق جدًّا في حياته عليه السلام، وحينما يريد أن يصف الإمام الحسين عليه السلام يصفه قائدًا، ويصفه ذائدًا ويصفه سيّدًا ويصفه حجّة؛ إذن هو على بصيرة من أمره، وهو يعلم ماذا يفعل؟ والإمام عليه السلام عندما يسير بهذه الكوكبة الخيّرة من أهل بيته قد يسأل البعض ماذا يفعل؟ وبعض المقرّبين للإمام الحسين عليه السلام، كانوا يعلمون نتيجة الذّهاب إلى كربلاء، كما تعرفون أنَّ النَّبي صلى الله عليه وآله قد أخبر حول مصير الإمام الحسين عليه السلام وإنَّه سيستشهد في كربلاء، وكذلك بيّن أمير المؤمنين عليه السلام ذلك أيضًا، وهكذا الإمام الحسن عليه السلام أوضح ذلك بقوله: ((**لَا يَوْمَ كَيَوْمِكَ يَا أَبَا عَبْدِ الله**))[1]. إذن هناك مشروع، وهناك حالة من حالات الإنقاذ للدّين الإلهي؛ لأنَّه تعرّض إلى مشاكل وخطر ما، والإمام الحسين عليه السلام عندما يقول: (**مَنْ كَانَ فِينَا بَاذِلًا مُهْجَتَهُ وَمُوَطِّناً عَلَى لِقَائِنَا نَفْسَهُ فَلْيَرْحَلْ**) فهنا تلاحظون عمليّة استثارة لمن له القدرة على بذل هذه المهجة، وهذه الرّوح في هذه النّخبة؛ لأنَّ هذه النّخبة هي مسؤولة عن تغيير الأوضاع.

إنَّ الإمام الصَّادق عليه السلام عندما يقول: (**وَبَذَلَ مُهْجَتَهُ فِيكَ لِيَسْتَنْقِذَ عِبَادَكَ مِنَ الْجَهَالَةِ وَحَيْرَةِ الضَّلَالَةِ**) فقد أشار إلى أنَّ هذا البذل أنتج فائدة استنقاذ العباد، وحينما يقرأ الإنسان واقعة الطف لا يقرأها من غير استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وعندما يقول قائل إنَّ الإمام الحسين عليه السلام إن لم يستشهد ماذا كان سيحصل؟ هل كان يمكن أن يحفظ الدّين، وهذه بالطَّبع قراءة ناقصة؛ فالإمام عليه السلام هنا يُبيّن أنَّ حفظ الدِّين جاء عن طريق استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وبذل

١ – مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ابن شهرآشوب المازندراني، محمد بن علي(ت: ٥٨٨هـ)، علامة، قم١٤٢١هـ، الأولى: ٤، ٨٦.

المهجة حتى يستنقذ العباد، وفعلاً العباد استنقذوا بشهادة الإمام الحسين عليه السلام على الرغم من فداحة هذا الحدث الذي حدث في واقعة الطَّف، لكن هذا الحدث الذي حصل كان بمستوى إنقاذ الدّين عن طريق الإمام الحسين عليه السلام؛ وبعبارة أخرى إنَّ المشهد الكربلائي لا يُقرأ من زاوية واحدة؛ وإنَّما يُقرأ من شخصية القائد والسّيّد والإمام والذّائد عن الدّين، ويقرأ المشهد الكربلائي من مجموعة أصحابه الخيرين، ويقرأ من خلال العائلة ودورها، ويقرأ من خلال طبيعة الطّغاة الذين عاش معهم الإمام الحسين عليه السلام والذين جاهدوه والذين قاتلوه والذين تآزروا ضدّه، وقد كانوا أصحاب طبيعة بشريّة سلب منها كلّ شيء إلّا الجانب الحيواني والجانب الغضبي وما شئت فعبّر، ولكن هذا المشهد تحقّقت منه الفائدة على جسامة ما وقع فيه من أحداث، والإمام الصّادق عليه السلام يُبيّن أنَّ الإمام الحسين عليه السلام له مشروع كبير وأنَّ المسألة تحتاج إلى بذل مهجهم؛ ولذلك كثير من المفكّرين عندما يأتون إلى نصوص تاريخية يجدونها بخيلة؛ بل قد يكون فيها تشويش؛ ومن هنا أدعو الإخوة إلى إعادة النّظر بقراءة التأريخ؛ فالتأريخ فيه أخطاء جمّة، ولا ينسجم حجم هذه الأخطاء مع طبيعة ما حدث؛ أي إنَّ الجغرافية التي تحرّك فيها الإمام الحسين عليه السلام لابُدّ أن تكون مؤهّلة لصناعة الحدث الذي أراده الإمام الحسين عليه السلام، وقد يثير الإخوة الأعزاء من المفكّرين طبيعة ما حدث في واقعة الطّفّ، وهذه النّصوص نصوص تُريد بيان أنَّ الإصلاح لا يكون إلّا عن طريق بذل المهجة، ولا يمكن ولو بألف خطبة أن يرجع الأعداء عن سفك دماء الإمام الحسين عليه السلام وبالطّريقة التي حدثت وفي كربلاء؛ لا في اليمن ولا في مكّة ولا في شعابها، وإنَّما هذا المشهد الذي صنعه الإمام الحسين عليه السلام قد بيّنه الإمام الصّادق عليه السلام بشكلٍ واضحٍ، وكذلك كشف عن الأهداف من تلك التّضحية.

إنّ الإمام الصّادق عليه السلام بدأ يُلخّص المطلب الذي جاء به الإمام الحسين عليه السلام في بعض فقراته قال: (**لِيَسْتَنْقِذَ عِبَادَكَ مِنَ الْجَهَالَةِ وَحَيْرَةِ الضَّلَالَةِ**) وهنا تكمن الحجّة؛ فالعباد الآن ليس كلّهم في هداية، وكذلك هناك من العباد في حيرة، وهناك من هو جاهل ولايزال في العباد من هو ضال، وهذه المسألة حتّى مع الله تعالى؛ وقد أرسل الله تعالى الرّسل، وأرسل الكتب وأنزل القرآن، لكن لايزال هناك من لم يسمع؛ لكن الأمر المهم أنَّ الحجّة تمّت على بني آدم ﴿**فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ**﴾[1].

إنَّ الإمام الحسين عليه السلام له مدد إلهيّ إلى يومنا، وها نحن نعيش ذكرى الأربعين وهي خير شاهد على ما ندّعي، واقرأوا الزّيارات للأئمّة الأطهار بتدبّر وتفكّر، وستتّضح صور كثيرة للإمام الحسين عليه السلام من خلال هذه النّصوص؛ لأنَّ الإمام الحسين عليه السلام هو إمام مثله، وكلمات الإمام عليه السلام محسوبة ولا زيادة فيها أو نقصان؛ وإنَّما كلام معصوم بيّن الأمور بتمام الدِّقّة.

من نورِ زيارةِ الأربعين

روى الشّيخ في التّهذيب والمصباح عن صفوان الجمّال قال: قال لي مولاي الصّادق عليه السلام في زيارة الأربعين: تزور عند ارتفاع النّهار وتقول وذكر له زيارة الأربعين ومنها هذه العبارة: « ... **وَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ مُنْجِزٌ ما وَعَدَكَ، وَمُهْلِكُ مَنْ خَذَلَكَ، وَمُعَذِّبُ مَنْ قَتَلَكَ** ...»[2].

هذه كلمة خالدة من الإمام الصّادق عليه السلام يعلّم تلميذه البار صفوان؛ ومن خلال هذه الكلمة سنقف عند مجموعة من المحاور المهمّة للغاية:

---

١ - الأنعام: ١٤٩.

٢ - بحار الأنوار: ٩٨، ٣٣١.

المحور الأوّل: مما لا شكَّ فيه مع هذه المواسم، ومع هذا الحضور الذي يصعب عدّه إنّ الله تبارك وتعالى أنجز ما وعد الإمام الحسين عليه السلام؛ وأعطى للإمام الحسين عليه السلام منازل عديدة وعظيمة؛ منها في الدّنيا؛ ومنها في الآخرة؛ ومنزلة الإمام عليه السلام يوم القيامة لها صورة أخرى تختلف عن الكل؛ فإذا كانت للعباس عليه السلام منزلة يغبطه بها جميع الشهداء[1]؛ فما بالك بمنزلة الإمام الحسين عليه السلام؛ ولا شكّ إنَّ منزلة الإمام الحسين عليه السلام أعلى؛ لكن هذا الوعد وهذا الإنجاز الذي نراه الآن يستدلّ به أنَّ الإمام الحسين عليه السلام ملك قلوب الدّنيا؛ فالناس كلّها تتوجّه الى كربلاء لإحياء ذكرى أربعينية الإمام الحسين عليه السلام؛ وهذه العواطف الجيّاشة إنّما هي بداية التّحوّل إلى مواقف مشابهة لمواقف الإمام الحسين عليه السلام؛ وما هذه المواقف التي نلمسها، ولمسناها إلّا مواقف ستتحوّل إلى مواقف عظيمة ومواقف مشرّفة، ويكون رائدها الإمام الحسين عليه السلام؛ نعم إنَّها مواقف رافضة للظلم، ورافضة للاستبداد، ورافضة لكلّ ما يمكن أن يعكّر العلاقة بين الإنسان وربّه. إنَّ بطل هذه المواقف بلا منازع هو الإمام الحسين عليه السلام.

إنَّ الإمام الحسين عليه السلام له القدرة، وله القوة أن يجذبنا هذه الجذبة الرّوحية الخاصّة المميزة التي تختلف عن كلّ جذبه سواء في العدد، أو في النّوع؛ بل وفي طبيعة المشاركة؛ فهذا بعض ما وعد الله سبحانه وتعالى وأعطاه للإمام الحسين عليه السلام.

المحور الثاني: عندما نمر سريعًا سواء بالمعسكر الذي قابل الإمام الحسين عليه السلام في يوم الطّف، وانتشى هذا المعسكر بنزوة النّصر؛ ولكن بعد ذلك أخجلته السّيّدة زينب عليها السلام ببعض الكلمات في عقر ديارهم؛ ولاحظوا لو الآن يعرض لنا مشهد دمشق في تلك الفترة؛ لرأينا أنَّ السّيّدة زينب الحوراء عليها السلام هي التي أزرد يزيد بهذا الكلام الذي تلعثم، وحاول أن يتبرّأ؛ ولم يتجرّأ أن يُحافظ على اتزانه؛ وإنَّما أخرج

١ - الخصال: ٦٨.

العائلة خوف الفتنة؛ وقبل ذلك هذا ما حدث مع مُعسكر يزيد في تلك اللحظة؛ حيث ببضع كلمات تزعزع ذلك البناء الذي نسجه من بيت العنكبوت إلى يومنا هذا؛ ألا ترون أنَّ كلَّ من خذل الإمام الحسين عليه السلام حلَّت به اللعنات.

إنّ تلك الأدوار التي عاشها الإمام الحسين عليه السلام، وأهل بيته وأصحابه كانت صعبة للغاية؛ فقد كان الظلم شرسًا؛ ومن الصّعب تحمّله؛ ولكن من يتأمّل اليوم يرى الإمام الحسين عليه السلام دائماً منتصرًا، وقويًّا ويمدّ الآخرين بالقوّة والثّبات؛ والقدرة على إزاحة الظلم وإن طالت ليالي الظّلم؛ ولكن مصيرها الانجلاء.

المحور الثالث: القتل له صور متعدّدة؛ فتارة يقتل الشّخص وتارة أخرى يقتل منهج تلك الشّخصية؛ وكلاهما قتل؛ وهكذا حاولوا مع الإمام الحسين عليه السلام فقد قتلوه، وبعد ذلك حاولوا قتل منهجه؛ وكما أنَّ الله تعالى يُعذّب من قتل شخص الإمام الحسين عليه السلام؛ كذلك سيُعذب من يريد أو يُحاول قتل منهج الإمام الحسين عليه السلام؛ وقد تحقّق هذا مع كلّ من حاول أن يتصدّى للإمام الحسين عليه السلام؛ وأرانا الله تعالى فيهم ذلّة ليس بعدها ذلّة؛ ويوم القيامة سيذلون أكثر وأكثر؛ خاصّة حينما يركسوا على رؤوسهم في حصب جهنّم.

إنَّ تحقّق وعود الله تعالى للإمام الحسين عليه السلام يدعونا إلى التّمسّك، والتّشبّث بالإمام الحسين عليه السلام والذي يتمسّك بالإمام الحسين عليه السلام فمعنى ذلك أنَّه يتمسّك بالنّبيّ صلى الله عليه وآله، ومن تمسّك بالنّبي صلى الله عليه وآله فهو من سيحصل على الفوز في الدّنيا والفوز في الآخرة.

كلمةٌ لا بُدَّ منها

وأخيرًا نوجّه الشّكر والامتنان لكلِّ الإخوة الذين ساهموا، ويُساهمون في نجاح هذه الزّيارة، وتوفير الخدمات؛ سواء من الأجهزة الرّسميّة أم من غيرها من الحكومة المركزيّة، أو المحلّيّة وأذكر على سبيل المثال؛ لا الحصر قوى الأمن الدَّاخلية والمقصود بها وزارة الدِّفاع والدَّاخلية والأمن الوطني، وكذلك الصّحّة والبلديّة والتّجارة والنّقل والنّفط، وأصحاب المواكب والهيئات الحسينية، وأصحاب المنازل والدّور الذين فتحو أبوابهم للزائرين وإلى الأبطال الأشاوس والرجال الأوفياء من منتسبي العتبات المقدّسة، وما بين الحرمين الشّريفين، وإلى مواكب الطّرقات العامّة والمزارع والبساتين الذين وقفوا وقفة يعجز الإنسان عن وصف روعتها وبراعة تنظيمها ودقّة منهجها وسخاء كرمها، حتى أنَّ حاتم لو بُعث حيًّا لاستحى من لقب ألصق وهو حقّ لهذه المواكب ومفخرة لنا أيّها الإخوة.

إنَّنا نعجز عن توجيه الشّكر لكلِّ الإخوة خصوصًا الجنود المجهولة الذين وقفوا هذه الوقفة، وفي الوقت نفسه أحب نيابة عنكم أن أوضّح مطلبًا مختصرًا على الإعلام في هذا الوقت الحسّاس أن يبثّ رسالة واضحة إلى كلّ العالم على أنَّ هذه المدينة بكلِّ ما تحتمل وبكلِّ ما تحتوي من هذه الإمكانات البسيطة بالقياس إلى هذه الجموع، وأن ينقلوا هذه الأعداد المليونية .

xzأسأل الله سبحانه وتعالى أن يقع هذا العمل بإخلاص في صحيفة أعمال جميع الإخوة.

وفي حقيقة الأمر يعجز الإنسان عن وصف هذا المشهد؛ فهنيئًا لكلِّ الزَّائرين وكلّ المُحبّين.

هنيئاً لهذا البلد بهذه الجموع المليونيّة الزَّاحفة الرَّافضة للباطل، والمُحبّة

للحق.

السلام على الحسين، السلام علي بن الحسين، السلام على أولاد الحسين، السلام على أصحاب الحسين.

اللهم اغفر لنا ما سلف من أعمالنا، واعصمنا فيما يأتي من آجالنا إن قدَّرتها لنا، واحفظ الإخوة بحفظك ببركات محمّد وآلِ محمّد ﷺ.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم
١. إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، الشيخ الحر العاملي، محمد بن حسن(ت: ١١٠٤هـ)، الأعلمي، بيروت١٤٢٥هـ، الأولى.
٢. الاحتجاج على أهل اللجاج، الطبرسي، أحمد بن علي(ت: ٥٨٨هـ)، نشر المرتضى، مشهد١٤٠٣هـ، الأولى.
٣. أحوال الرجال، إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق السعدي الجوزجاني، أبو إسحاق(ت: ٢٥٩هـ) المحقق: عبد العليم عبد العظيم البَستوي دار النشر: حديث اكادمي - فيصل آباد، باكستان: ٨٢.
٤. الاختصاص، المفيد، محمد بن محمد(ت: ٤١٣هـ)، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، إيران؛ قم ١٤١٣هـ، الأولى.
٥. اختيار المصباح الكبير، السيد النقيب مجد الدين علي بن الحسين ابن باقي القرشي الحلي، من اعلام القران السابع الهجري، تحقيق: مهدي دليري، عمران، الأولى١٤٣٢هـ.
٦. أدب الطف، شعراء الحسين عليه السلام من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر الهجري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت١٣٨٨هـ، الأولى.
٧. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، المفيد، محمد بن محمد(ت: ٤١٣هـ)، مؤتمر الشيخ المفيد، قم ١٤١٣هـ، الأولى.
٨. أساس البلاغة، الزمخشري، محمود بن عمر(ت: ٥٨٣هـ)، دار صادر، بيروت١٩٧٩ م، الأولى.
٩. أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلمي، حسن بن محمد(ت: ٨٤١هـ)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم١٤٠٨هـ، الأولى.
١٠. أعيان الشيعة، محسن الأمين(ت: ١٣٧١هـ)، حققه واخرجه: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٤٠٣هـ.
١١. إقبال الأعمال، ابن طاووس، علي بن موسى(ت: ٦٦٤هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران١٤٠٩هـ، الثانية.
١٢. أمالي المرتضى، علي بن الحسين(ت: ٤٣٦هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة١٩٩٨ م، الأولى.
١٣. الأمالي(للصدوق)، ابن بابويه، محمد بن علي(ت: ٣٨١هـ)، كتابچي، طهران١٤١٨هـ، السادسة.
١٤. الأمالي، الطوسي، محمد بن الحسن(ت: ٤٦٠هـ)، دار الثقافة، قم١٤١٤هـ، الأولى.
١٥. الأمالي، المفيد، محمد بن محمد(ت: ٤١٣هـ)، مؤتمر الشيخ المفيد، قم١٤١٣هـ، الأولى.
١٦. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي(ت: ١١١٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٣هـ، الثانية.

١٧.بصائر الدرجات في فضائل آل محمّد صلّى الله عليهم، الصفار، محمد بن حسن(ت: ٢٩٠هـ)، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، إيران؛ قم١٤٠٤هـ، الثانية.
١٨.تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري(ت: ٣١٠هـ)، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، ت: ٣٦٩هـ)، دار التراث بيروت، ١٣٨٧هـ: الثانية.
١٩.التعجب من أغلاط العامة في مسألة الإمامة، الكراجكي، محمد بن علي(ت: ٤٤٩هـ)، دار الغدير، قم١٤٢١هـ، الأولى.
٢٠.التعليقة على أصول الكافي، الميرداماد، محمد باقر بن محمد(ت: ١٠٤١هـ)، الخيام، إيران؛ قم١٤٠٣، الاولى.
٢١.تفسير العيّاشي، محمد بن مسعود(ت: ٣٢٠هـ)، المطبعة العلمية، طهران١٤٢٢هـ، الأولى.
٢٢.تفسير القمي، علي بن إبراهيم(ت: القرن الثالث الهجري) دار الكتاب، قم١٤٠٤هـ، الثالثة.
٢٣.التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، الحسن بن علي(ت: ٢٦٠هـ)، مدرسة الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجة الشريف، إيران؛ قم١٤٠٩هـ، الأولى.
٢٤.تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم(ت: ٣٠٧هـ)، مؤسسة الطبع والنشر في وزارة الإرشاد الإسلامي، طهران١٤١٠هـ، الأولى.
٢٥.تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، القمي المشهدي، محمد بن محمد رضا(ت: ١١٢٥هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، مؤسسة الطباعة والنشر، طهران١٤١٠هـ، الأولى.
٢٦.تفسير نور الثقلين، العروسي الحويزي، عبد علي بن جمعة(ت: ١١١٢هـ)، إسماعيليان، قم١٤١٥هـ، الرابعة.
٢٧.تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الشيخ الحر العاملي، محمد بن حسن(ت: ١١٠٤هـ)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، ١٤٠٩هـ، الأولى.
٢٨.التمحيص، ابن همام الإسكافي، محمد بن همام بن سهيل(ت: ٣٣٦هـ)، مدرسة الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجة الشريف، إيران؛ قم١٤٠٤هـ ، الأولى.
٢٩.تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، ورام بن أبي فراس(ت: ٦٠٥ هـ)، مكتبة الفقيه قم١٤١٠ هـ، الأولى.
٣٠.التوحيد، الصدوق ابن بابويه، محمد بن علي(ت : ٣٨١هـ)، جماعة المدرسين، إيران؛ قم١٣٩٨هـ، الأولى.
٣١.تهذيب الأحكام، الطوسي، محمد بن الحسن(ت: ٤٦٠هـ)، تحقيق: الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٤٠٧هـ، الرابعة.
٣٢.تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني(ت: ٨٥٢هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٣٣.ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ابن بابويه، محمد بن علي(ت: ٣٨١هـ)، دار الشريف الرضي للنشر،

قم١٤٠٦هـ، الثانية.
٣٤.جامع الأخبار، الشعيري، محمد بن محمد، اعلام القرن السادس الهجري، المطبعة الحيدرية، النجف، الأولى.
٣٥.الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم(ت: ٣٢٧هـ) الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند دار إحياء التراث العربي - بيروت، الأولى ١٢٧١هـ.
٣٦.الجعفريات، ابن الأشعث، محمد بن محمد، اعلام القرن الرابع الهجري، مكتبة النينوى الحديثة، طهران، الأولى.
٣٧.الجواهر السنية في الأحاديث القدسية، الشيخ الحر العاملي، محمد بن حسن(ت: ١١٠٤هـ)، منشورات دهقان، طهران١٤٢٢هـ، الثالثة.
٣٨.حجر وطين، الشيخ محمد تقي الفقيه العاملي، د.مطبعة، ١٤٠٨هـ-١٩٨١م.
٣٩.الحدائق الوردية في مناقب الأئمّة الزيدية، حميد الشهيد بن أحمد بن محمد المحلّي(ت: ٦٥٢هـ)، تحقيق: المرتضى الحسني، مكتبة بدر- صنعاء، الأولى ١٤٢٣هـ.
٤٠.الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، سعيد بن هبة الله(ت: ٥٧٣هـ)، مؤسسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، قم١٤٠٩هـ، الأولى.
٤١.الخصال، ابن بابويه، محمد بن علي(ت: ٣٨١هـ)، جماعة المدرسين، قم١٤٠٣هـ، الأولى.
٤٢.خصائص الأئمةﷺ، الشريف الرضي، محمد بن حسين(ت: ٤٠٦هـ)، الروضة الرضوية المقدسة، مشهد١٤٠٦هـ، الأولى.
٤٣.دعائم الإسلام و ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام، ابن حيون، نعمان بن محمد المغربي(ت: ٣٦٣هـ)، مؤسسة آل البيت ﷺ، قم١٤٢٧هـ، الثانية.
٤٤.الدعوات، قطب الدين الراوندي، سعيد بن هبة الله(ت: ٥٧٣هـ)، منشورات مدرسة الإمام المهدي(عجل الله تعالى فرجه الشريف)، قم١٤٠٧هـ، الأولى.
٤٥.ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي(ت: ١٣٣٣هـ)، صححها وشرحها وترجم لاعلامها ورتبها: عبد الغفار الحبوبي، دار الرشيد للنشر ١٤٠٠هـ.
٤٦.ديوان لبيد بن ربيعة، شرح الطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١٤هـ، الأولى.
٤٧.رجال الطوسي، الطوسي، محمد بن الحسن(ت: ٤٦٠هـ)، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، قم ١٤١٥هـ، الثالثة.

٤٨.رجال العلامة الحلي، الحسن بن يوسف(ت: ٧٢٦هـ)، دار الذخائر، النجف١٤١١هـ، الثانية.
٤٩.رجال الكشي، الكشي، محمد بن عمر، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم١٤٠٤هـ، الأولى.
٥٠.رجال النجاشي، النجاشي، أحمد بن علي(ت: ٤٥٠هـ)، مؤسسة النشر الاسلامي التابعه لجماعة المدرسين بقم المشرفة ١٤٠٦هـ، السادسة.
٥١.الرجال، لابن داود الحلي، الحسن بن عليّ بن داود(ت: ٧٠٧هـ)، جامعة طهران١٣٨٤هـ، الأولى.
٥٢.روضة الواعظين وبصيرة المتعظين، فتال النيشابوري(ت: ٥٠٨ هـ)، منشورات الرضي، إيران؛ قم ١٤١٧هـ، الأولى.
٥٣.سحر بابل وسجع البلابل، السيد جعفر الحلي النجفي(ت: ١٣١٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمد ال كاشف الغطاء، الشريف الرضي، الأولى، ١٤١١هـ.
٥٤.السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي، ابن إدريس، محمد بن أحمد(ت: ٥٩٨هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم١٤١٠هـ، الثانية.
٥٥.سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي(ت: ٧٤٨هـ)، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ.
٥٦.شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني(ت: ٧٩٦هـ)، دار مصر للطباعة، القاهرة١٤٠٠هـ، العشرون.
٥٧.شرح الكافي- الأصول والروضة، المازندراني، محمد صالح بن أحمد(ت: ١٠٨١هـ)، المكتبة الإسلامية، طهران١٤٢٤هـ، الأولى.
٥٨.شرح فروع الكافي، للمولى محمد هادي بن محمد صالح المازندراني(ت: ١١٢٠هـ)، دار الحديث للطباعة والنشر، قم ١٤٢٩هـ، الأولى.
٥٩.شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله(ت: ٦٥٦هـ)، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤٠٤هـ، الأولى.
٦٠.شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الحسكاني، عبيد الله بن عبد الله(ت: ٤٩٠هـ)، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران١٤١١هـ، الأولى.
٦١.صحيفة الإمام الرضا عليه السلام، علي بن موسى، مؤتمر الإمام الرضا عليه السلام العالمي، مشهد١٤٠٦هـ، الاولى.
٦٢.الصحيفة السجادية، الإمام علي بن الحسين عليه السلام(ت: ٩٤ أو٩٥هـ)، نشر الهادي، قم١٤١٨هـ، الأولى.
٦٣.الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، العاملي النباطي، علي من محمد بن علي بن محمد بن يونس(ت: ٨٧٧هـ)، المكتبة الحيدرية، النجف١٤٢٦هـ، الأولى.

٦٤.طبّ الأئمةعليهم السلام، ابنا بسطام، عبد الله وحسين، اعلام القرن الرابع الهجري، دار الشريف الرضي، قم١٤١١هـ، الثانية.
٦٥.عدة الداعي ونجاح الساعي، ابن فهد الحلي، أحمد بن محمد(ت: ٨٤١هـ)، دار الكتب الإسلامي١٤٠٧هـ، الأولى.
٦٦.علل الشرائع، ابن بابويه، محمد بن علي(ت: ٣٨١هـ)، مكتبة داوري، قم١٤٢٧هـ، الأولى.
٦٧.عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار، ابن بطريق، يحيى بن الحسن(ت: ٦٠٠هـ)، جماعة المدرسين بقم، مؤسسة النشر الإسلامي، قم١٤٠٧هـ، الأولى.
٦٨.عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، ابن أبي جمهور، محمد بن زين الدين(حي في ٩٠١هـ)، دار سيد الشهداء للنشر، قم١٤٠٥هـ، الأولى.
٦٩.عيون أخبار الرضاعليه السلام، ابن بابويه، محمد بن علي(ت: ٣٨١هـ)، نشر جهان، طهران١٤٢٠هـ، الأولى.
٧٠.عيون الحكم والمواعظ، الليثي الواسطي، علي بن محمد(ت: القرن السادس)، دار الحديث، قم١٤١٨هـ، الأولى.
٧١.الغارات، الثقفي، إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال(ت: ٢٨٣هـ)، دار الكتاب الإسلامي، قم١٤١٠هـ، الأولى.
٧٢.غرر الحكم ودرر الكلم، التميمي الآمدي، عبد الواحد بن محمد(ت: ٥٥٠هـ)، دار الكتاب الإسلامي، قم١٤١٠هـ، الثانية.
٧٣.الغيبة، للنعماني، محمد بن إبراهيم(ت: ٣٦٠هـ)، نشر الصدوق، طهران١٣٩٧هـ، الأولى.
٧٤.فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام في النجف، ابن طاووس، عبد الكريم بن أحمد(ت: ٦٩٣هـ)، منشورات الرضي، إيران؛ قم، الأولى.
٧٥.الفصول المختارة، المفيد، محمد بن محمد(ت: ٤١٣هـ)، مؤتمر الشيخ المفيد، قم١٤١٣هـ، الأولى.
٧٦.فضائل أمير المؤمنينعليه السلام، ابن عقدة الكوفي، أحمد بن محمد(ت: ٣٣٢ هـ) ،دليل ما ،إيران؛ قم ١٤٢٤هـ ، الأولى.
٧٧.الفقه المنسوب إلى الإمام الرضاعليه السلام(ت: ٢٠٣ هـ) ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، مشهد١٤٠٦ هـ، الأولى.
٧٨.فهرست كتب الشيعة وأصولهم وأسماء المصنّفين وأصحاب الأصول، للطوسي، محمد بن الحسن(ت: ٤٦٠هـ)، ستاره، قم، ١٤٢٠هـ، الأولى.
٧٩.الكافي، الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق(ت: ٣٢٩هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٤٠٧هـ، الرابعة.

٨٠.كامل الزيارات، ابن قولويه، جعفر بن محمد(ت: ٣٦٧هـ)، دار المرتضوية، النجف١٣٩٧هـ، الأولى.
٨١.كتاب التوابين، موفق الدين، ابو محمد بن احمد بن محمد بن قدامة المقدسي.
٨٢.كتاب المجروحين من المحدثين، ابن حبان(ت: ٣٥٤هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد، الأولى ١٤٢٠هـ.
٨٣.كتاب سليم بن قيس الهلالي، الهلالي، سليم بن قيس(ت: ٧٦هـ)، الهادي، إيران؛ قم١٤٠٥هـ، الاولى.
٨٤.كشف الأسرار في شرح الاستبصار، الجزائري، نعمة الله بن عبد الله(ت: ١١١٢هـ)، مؤسسة دار الكتاب، قم١٤٠٨هـ، الأولى.
٨٥.كشف الغمة في معرفة الأئمة، الإربلي، علي بن عيسى(ت: ٦٩٢هـ)، بني هاشمي، تبريز١٤٢٣هـ، الأولى.
٨٦.الكشف الوافي في شرح أصول الكافي، الشريف الشيرازي(ت: ١٠٨١هـ)، دار الحديث، قم١٤٣٠هـ، الأولى.
٨٧.كفاية الأثر في النصّ على الأئمة الإثني عشر، الخزاز الرازى، علي بن محمد(اعلام القرن الرابع الهجري)، بيدار، قم١٤٠١هـ.
٨٨.كمال الدين وتمام النعمة، ابن بابويه، محمد بن علي(ت: ٣٨١هـ)، الإسلامية، طهران١٣٩٥هـ، الثانية.
٨٩.كنز الفوائد، الكراجكي، محمد بن علي(ت: ٤٤٩هـ)، دار الذخائر- إيران؛ قم١٤١٠هـ، الأولى.
٩٠.اللهوف على قتلى الطفوف، ابن طاووس، علي بن موسى(ت: ٦٦٤هـ)، ترجمة: الفهري الزنجاني، جهان، طهران١٣٨٩هـ، الاولى.
٩١.مأساة الحسين عليه السلام بين السائل والمجيب، عبد الوهاب الكاشي، دار الزهراء – بيروت/ لبنان، الأولى.
٩٢.متشابه القرآن ومختلفه، ابن شهرآشوب المازندراني، محمد بن علي(ت: ٥٨٨هـ)، دار بيدار للنشر، قم١٣٦٩هـ، الأولى.
٩٣.المجازات النبوية، الشريف الرضي، محمد بن حسين(ت: ٤٠٦هـ)، قم١٤٢٢هـ، الأولى.
٩٤.مجمع البيان في تفسير القرآن، أمير الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي(ت: ٤٦٨هـ)، دار المرتضى- بيروت، ١٤٢٧هـ، الأولى.
٩٥.مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي(ت: ٨٠٧هـ) المحقق: حسام الدين القدسي الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة ١٤١٤هـ.
٩٦.المحاسن، البرقي، أحمد بن محمد بن خالد(ت: ٢٨٠هـ)، دار الكتب الإسلامية، قم١٣٧١هـ، الثانية.

٩٧.محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى(ت: ٥٠٢هـ)، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم -بيروت،١٤٢٠هـ، الأولى.
٩٨.المزار الكبير، ابن مشهدي، محمد بن جعفر(ت: ٦١٠هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين،قم ١٤١٩هـ، الأولى.
٩٩.مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، النورى، حسين بن محمد تقي(ت: ١٣٢٠هـ)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم١٤٠٨هـ، الأولى.
١٠٠.المسترشد في إمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، الطبري الآملي الكبير، محمد بن جرير بن رستم(ت: ٣٢٦هـ) كوشانپور، إيران؛ قم ١٤١٥هـ، الأولى.
١٠١.مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام، الحافظ البرسي، رجب بن محمد(ت: ٨١٣هـ)، الأعلمي، بيروت١٤٢٢هـ، الأولى.
١٠٢.مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، الطبرسي، علي بن الحسن(ت: ٦٠٠هـ)، المكتبة الحيدرية، النجف١٣٨٥هـ، الثانية.
١٠٣.مصباح الشريعة، منسوب إلى جعفر بن محمد عليه السلام(ت: ١٤٨هـ) الأعلمي، بيروت١٤٠٠هـ، الأولى.
١٠٤.مصباح المتهجّد وسلاح المتعبّد، الطوسي، محمد بن الحسن(ت: ٤٦٠هـ)، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت ١٤١١هـ، الأولى.
١٠٥.مصباح المتهجّد وسلاح المتعبّد، الطوسي، محمد بن الحسن(ت: ٤٦٠هـ)، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت١٤١١هـ، الأولى.
١٠٦.مطلع البدور ومجمع البحور، شهاب الدين احمد بن صالح(ت: ١٠٩٢هـ)، تحقيق: عبد الرقيب مطهر، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، صعدة- اليمن/ الأولى١٤٢٥ه.
١٠٧.معاني الأخبار، ابن بابويه، محمد بن علي(ت: ٣٨١هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسي، قم١٤٠٣هـ، الأولى.
١٠٨.معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي(ت: ٦٢٦هـ) الناشر: دار صادر، بيروت الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م.
١٠٩.معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس(ت: ٣٩٥هـ)، مكتب الإعلام الإسلامي، قم١٤٠٤هـ، الأولى.
١١٠.معدن الجواهر ورياضة الخواطر، الكراجكي، محمد بن علي(ت: ٤٤٩هـ)، المكتبة المرتضوية، طهران ١٣٩٤هـ، الثانية.

١١١.مفتاح الفلاح في عمل اليوم والليلة من الواجبات والمستحبات، الشيخ البهائي، محمد بن حسين(ت: ١٠٣٢هـ)، نشر دار الأضواء، بيروت١٤٠٥هـ، الأولى.
١١٢.مقتل الحسين، أبي المؤيد بن الموفق بن أحمد المكي الخوارزمي(ت: ٥٦٨هـ)، تحقيق: العلامة الشيخ محمد السماوي، انوار الهدى، قم ١٤١٨هـ، الأولى.
١١٣.مكارم الأخلاق، الطبرسي، الحسن بن الفضل(ت: القرن ٦)، الشريف الرضي، قم ١٤١٢هـ، الرابعة.
١١٤.من لا يحضره الفقيه، ابن بابويه، محمد بن علي(ت: ٣٨١هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ١٤١٣هـ، الثانية.
١١٥.مناقب آل أبي طالب، لابن شهرآشوب، محمد بن علي(ت: ٥٨٨هـ)، علامة، قم١٤٢١هـ، الأولى.
١١٦.النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن أثير الجزري، مبارك بن محمد(ت: ٦٠٦هـ)، مؤسسة إسماعيليان للمطبوعات، قم١٤٠٩هـ، الرابعة.
١١٧.نهج البلاغة(صالح)، الشريف الرضي، محمد بن حسين(ت: ٤٠٦هـ)، قم١٤١٤هـ، الأولى.
١١٨.وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، بن خلكان(ت: ٦٨١هـ)، حققه الدكتور احسان عباس، دار صادر- بيروت.

المحتويات

المحتويات

الفصل الرابع: أضواء على زيارة عاشوراء ٧

المبحث الأول: مِن علومِ نصوصِ الزّيارة ٩

المبحث الثاني: ظلمُ المراتبِ والدَّرجات الإلهيّة ٢٧

المبحث الثالث: حقائقُ حولَ اللّعن ٣٧

المبحث الرابع: التَّبرّي والمعارفُ الحسينيّة ٥٣

المبحث الخامس: ثمنُ الولايةِ لآلِ محمَّدٍ عليهم السلام ٦٧

المبحث السادس: ميزانُ السّلمِ والحرب ٨٣

المبحث السابع: التَّوفيقُ لمحيا ومَماتِ المعصومِينَ عليهم السلام ٩٧

المبحث الثامن: عِلَّةُ فَرَحِ الظَّالمينَ ١١١

الفصل الخامس: من أهداف زيارة الأربعين ١٢٣

المبحث الأول: العطاءُ الاستثنائيّ ١٢٥

المبحث الثاني: مِن خصائِصِ الإمامِ الحُسين عليه السلام ١٣٩

المبحث الثالث: آدابُ الزِّيارَةِ ١٥٣

المبحث الرابع: الميثاقُ الخالِدُ ١٦٣

المبحث الخامس: مِن دلالاتِ زِيارَةِ الأَرْبَعين ١٧٧

المصادر والمراجع ١٩٥